

المستفهم

كِتَابُ

الْحَقَائِقِ السَّيْرَاءِ

[يَسْتَبْرِئُ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

.....
..... (*) [.....

[١-١] / بَنَى لِي الْمَجْدَ آبَاءَ كِرَامٍ وَرَثْنَا مَجْدَهُمْ بِأَعَا فَبَاعَا
وَهَدَيْتَنِي الْإِبَاءَ قَفَاتٍ طِرْفِي^(١) وَكُلُّهُ بَعْدُ يَجْرِي مَا اسْتَطَاعَا
وَقَبْلَهُمَا مِمَّا يَصِلُ حَبَاهُمَا وَيُصِفُ فُضَاهُمَا :

وَمَا لِلنَّاسِ مِنَّا غَيْرُ رَعْيٍ يُفِيدُهُمْ رِقَاهَا وَاتْتِفَاعَا
فِيْمَنْعُهُمْ وَمَا شَعَبُوا مَضَامَا^(٢) وَيُوسِعُهُمْ وَمَا سَغَبُوا اتْتِجَاعَا

وَلَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَسَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْهُمْ :

أَجِبْ دَاعِيَتَيْهَا فَالنجيبُ يُجيبُ وَشُبَّ لظَاهَا فَالنجيبُ^(٣) يُنجيبُ

(*) ذكرنا في المقدمة أن المخطوط تنقصه أوراق من أوله ، قد لا تزيد على اثنتين ، هما أول الفاتحة ، ويبدأ الكلام في المخطوطة بهذه الأبيات ، وهما من شعر أبي زكريا الحفصي الذي أهدي إليه ابن الأبار هذا الكتاب . وقد حاولت العثور على أصول هذه الأشعار ، فوجدت بعضها ولم أجد الباقي . ومن الواضح أن ابن الأبار تحدث في الصفحات الضائعة عن شعر الأبرار وكيف أنه دليل على امتيازهم وذكائهم وعلمهم ، وهو معنى سيعود إليه أكثر من مرة في سياق الكلام ، وقد بينا ذلك في المقدمة . وقد وضعت نقطا بين حواصر مكان البياضات في الأصل ، واكتفيت بهذه الإشارة هنا تحاشياً لتكرار عبارة : « بياض في الأصل » .

(١) الطرف : الكريم من الخيل .

(٢) في الأصل : وما شغبوا مضاهها ، وقد قومناه كما في المتن . ومعنى الشطر على هذا هو أنه

يحميهم ، ومن تفرق منهم من الضميم (انظر مادة شعب في لسان العرب ، ١ / ٤٧٩ - ٤٨٠) .

(٣) النخب : الجبان .

وَشِمَّ عَزْمَةً لَا يَفْنِزُ^(١) الْعَجْزُ مَتْنَهَا
 وَلَا تَبْتَغِرُ الْقَلِيَاءُ إِلَّا بِأَبْيَضٍ
 وَأَسْمَرَ غِرِّ شَيْبِ الْوَقْعِ رَأْسَهُ
 وَإِنْ شَتَّ قُلْتَ النِّجْمُ تَوَجَّ رَأْسَهُ
 يُنْضِضُ صِلًا ثُمَّ يَهْوَى كَأَنَّهُ
 وَصَفْرَاءَ دَرَبَتِهَا الْجُيُوبُ^(٢) وَرَاوَحَتْ
 إِذَا عَيْجَ مَتْنَهَا أُقِيمَتْ شَبَاتُهَا^(٣)
 فَإِنْ سَدَّكَتْ بِالْكَفِّ^(٤) أَوْ قَلَّ خَطْوُهَا
 وَأَجْرَدَ يَسْتَجْلِي بِأَوْضَاحِهِ الْوَعَى
 فَذُو الْعَزْمِ فِي الْيَوْمِ الصَّعِيبِ يُصِيبُ
 لِفَرَّيْبِهِ فِي هَامِ الْكَلِمَةِ غُرُوبُ
 إِلَّا إِمَّا بَعْدَ الْقَشِيبِ مَشِيبُ
 فَلَاحَ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ ثُقُوبُ
 رِشَاءَ لَهُ قَلْبُ الْكَمِيِّ قَلِيبُ
 ذَوَائِبَهَا فَوْقَ الْجُبُوبِ جَنُوبُ
 فَمِنْهَا سَرُوبٌ لَا يُرَى وَرَسُوبُ
 نَخَطُوبُ بَنِيهَا فِي الْحُرُوبِ رَحِيبُ
 وَقَدْ جَنَّا يَوْمَ الرُّكُوبِ عَكُوبُ^(٥)

(١) في الأصل : يغمق ، وقد صوبها ماركوس مولر (ص ١٦٢) : يغمز ، وهو

صحيح .

(٢) هذا البيت من مشكلات هذه القطعة نظراً للجناس اللفظي الذي أراده الشاعر . والبيت كله يدور حول القوس ووصفها . وقد ورد لفظ « الجيوب » هنا واضحاً في الأصل ، فلم نر ما يدعو إلى تغييره . وقد عدله مولر (ص ١٦٢) إلى « الجيوب » . وكذلك جعله حسن حسنى عبد الوهاب عندما أورد هذه القطعة في كتابه « المنتخب المدرسي من الأدب التونسي » (الطبعة الثانية ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩٤٤) ص ١٠١ . والجيوب هو الفرس المجيب أي المحجل إلى ركبتي يديه وعرقوبي رجله . وأعتقد أن الأصوب هنا « الجيوب » والمراد بها الصدور . وسيرد لفظ الجيوب في المصراع الثاني من البيت ، ولهذا فقد استبعدت أن يكرره الشاعر في بيت مرتين .

(٣) في الأصل : بناتها . وقد جعلها حسن حسنى عبد الوهاب بناتها ، وفسر اللفظ بأنه قوائم الفرس ، وعلى هذا الأساس فسر « سرور » و « رسوب » . وأعتقد أن الشاعر لا يزال يصف القوس ، وعلى هذا فقد صوبت اللفظ إلى « شباتها » ، وباقي البيت مفهوم على هذا التفسير .

(٤) أي شدت باليد .

(٥) المكوب : العبار .

إذا ما استحرَّ الضربُ واشتَجَرَ القنا
 له من سَعَالِي الجِنِّ خَلَقَ مُطَهَّمٌ (١)
 بِتِلْكَ مُنَالُ الوِثْرِ لَوْ حَالِ دُونَهُ
 / قَدَعَ عَنكَ أبنَاءَ الزمانِ فَكَلَّهْمُ
 فلا تُورِدَنَهُ وِرْدَكَ الصَّفْوَةَ إِنَّهُ
 [...] ساوى الرجالِ قَبائِمٌ
 [...] قَرِيبِي يَعْرُدُ هَائِبًا
 [...] إلى الخليلِ مَحَلَّةً
 [...] يَدِيكَ فَإِنَّهُ
 [أَلَا] اسْتَعْنِ بِاللهِ إِنَّهُ
 بَدَأَ وَهُوَ فِي حَالِ [...]
 يَرُوعُ ، وَمِنْ هُوجِ الرِّياحِ هُبُوبٌ
 سُهوبٌ ، وَحَالَتْ عَن مَدَاةِ لُهُوبٍ (٢)
 لَهُ عِنْدَ تَمَحِيصِ الغُيُوبِ عُيُوبٌ [١ - ب]
 شَرُوبٌ وَعِنْدَ الحادِثَاتِ سَرُوبٌ
 لَهُ عِنْدَ هَبَّاتِ الخُطُوبِ خُطُوبٌ
 وَيَبْأَى إِذَا الحَقَّ النُّوبُ يُوُوبٌ
 وَقَد جَعَلْتِ [...]
 سِوَا قَرِيبٍ فِي الوَرَى وَغَرِيبٌ
 لَفَتَحَ بِتَقْدِيرِ الرُّقِيبِ قَرِيبٌ

ولهم — أيدهم الله — في استقبال حضرتهم العلية من بعض غزواتهم الميمونة :

تَقَرَّ جَفُونَ عَيْنِكَ بِالقَرَارِ
 أَلَا حَ البرقُ مُعْتَرِضًا فَعَارَتُ
 خَفَى بِسَرِي وَظَلِ الدَّمْعُ يَجْرِي
 وَهَابَ البَدْرُ أَنْ يَفْرَى دِجَاهُ
 وَسَاءَلِ مَسْنَدًا يَرُويهِ عَنِّي
 سَقَى أَعْلَامَ تُونِسَ فَالْحَنَائِيَا
 فَوَا كِيدَاهُ مِنْ شَوْقِ تَفَاءَتُ
 وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا
 وَمِنْ شَرَطِ الهَوَى رَعَى الدَّرَارِي
 نَجُومُ الأفقِ مِنْ مَاءِ وَارٍ
 فَوَا حَرَابَهُ مِنْ سَارٍ وَجَارٍ
 فَالِ عَنِ الشَّرَارِ إِلَى الشَّرَارِ
 فَخَدَّاهُ الزَّفِيرُ عَنِ ادِّكَارِ
 فَمُقْتَبِلِ العَشِيَّةِ وَالعَرَارِ
 نَهَائِيَتُهُ عَلَى قُرْبِ المَزَارِ
 إِذَا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

(١) كذا في الأصل . وقد قرأها ح . ح . عبد الوهاب : مطهر ، وكذلك فعل مولر (نص ١٦٣) .

(٢) لهوب جمع لهب ، وهو هنا : مهواة ما بين كل جبلين (اللسان ، ٢٤١/١) .

ومن قلائد المزريّة بقلائد العقيان ، المرّبيّة على فرائد الجمان^(١) :

وحوراء تستعلي بنهدين أشرعاً ولا غرو أن يدعو هواها فأتبعه
تقول ، وقد رقت لما بي : أجازع وأنت جري والأسنّة مشرّعه ؟
[٢ - ١] / فقلت لها : جفناك عزّاً تجلدي ونهداك هدّاً نفس هيّان موجعه
وما زلت ألقى القرن يعمل^(٢) ربحه فمن لي بمن يلقى الفؤاد بأربعة ؟
صدر هذا عنهم ، دامت سعادتهم . وقد أنشد بمجلسهم العليّ للقاضي
أبي بكر بن العربي في مداعبه له من فتيان المثلثة هز ربحه عليه وأوماً به إليه :

يهزّ على الرمح ظبيّ مهيفٌ لعوبٌ بألباب البرية عابثٌ
فلو كان ربحاً واحداً لانتقيته ولكنّه ربحٌ وثالثٌ وثالثٌ
كذا قرأت في ديوان شعرهم ، أدام الله تأييد أمرهم . وما عندي للقاضي
أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية^(٣) ، أنشدنيهما القاضي أبو سليمان داوود
ابن سليمان بن حوط الله الأنصاري الحارثي^(٤) بمدينة بكنسيّة ، وهو إذ ذاك يتولى

(١) يشير ابن الأبار هنا إلى كتابي « قلائد العقيان » لابن خاقان و « فرائد الجمان » أو « الفرائد الجمانية » (طبع في القاهرة سنة ١٩٠١) لمعين الدين أبي فسر أحمد بن عبد الرزاق الطنطراقي المتوفى سنة ٤٨٠ / ١٠٨٧ (انظر بروكلمان ، ملحق ١ ص ٤٤٦) .

(٢) عسل الرمح : هزه .

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحارثي ، من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد . ترجم له ابن بشكوال في « الصلة » (رقم ٨٢٥ ج ١ / ٣٨٠) ووصفه بأنه « كان واسع المعرفة قوى الأدب . متفتناً في العلوم ، أخذ الناس عنه » . توفي سنة ٥٤٢ / ١١٤٧ - ١١٤٨ .

(٤) هو داوود بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن سليمان بن خلف . . بن حوط أخته الأنصاري الحارثي من أهل أفدة^{ههه} (٥٥٢ - ٦ ربيع الآخر ٦٢١) ، من أكبر فقهاء الأندلس في عصره وأوسعهم علماً وأكثرهم رحلة وشيوخاً . وهو من شيوخ ابن الأبار ، وقد ترجم له ترجمة واسعة في تكملة الصلة ، رقم ٢٠٥ ص ٦٣ - ٦٥ . ولم يرد لأبي محمد عبد الحق بن عطية ذكر في هذه الترجمة ولا في تكملة الصلة .

قضاءها . قال : « أنشدنا الشيخُ أبو الحسين سراجُ بن عبد الله العثماني^(١) — مراتٍ — للفقير القاضى أبي محمد عبد الحق بن عطية » ؛ وذكر البيتين ، إلا أن صدر أولهما فى هذه الرواية « يهددنى بالرمح ظبي مهيف » ، وصدر ثانيهما « فلو كان ربحاً واحداً لا تقيته » ، وباقيهما سواء^(٢) . ولمن كان منهما ذلك فقد عدل به عن جادة الإجابة والزيادة .

ومن لزومياتهم السنية فى غزلياتهم السلطانية :

بذت لك فى ثوب يشف منجم أزيق — يا لله للحسن ! — أزرقا
ولاحت ، وبدر الأفق فى الأفق كامل فلم أدر أى راعى حين أشرقا
خلا أنه لما رأى حسن وجهها تأتى قليلاً حين شام فأبرقا
ودونهما صنوف الغدير مستسلاً فأقسم لولا رقة الوصل أحرقا
ولما رنا نحو السجندجل وجهها أطل على متن الغدير فأطرقا
وزرت عليه الشهب ثوب سمانه فقارب فى التشبيه منها وأغرقا
ونازعها ثوباً ولونا ورفعاً وبعداً وإشراقاً ووجهاً ترققا

ومن رفيع الرصف وبديع الوصف قولهم ، لا زال يجارى الأقدار عدلهم
ويبارى الأمطار طولهم :

/أعد نظراً حيث الرياض كأنها خدود الغواني أو قدود الكواكب [٢ - ب]

(١) سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج من أهل قرطبة ، يكنى أبا الحسين . ترجم له ابن بشكوال فى الصلة (رقم ٥١٤ ، ج ١ / ٢٢٦) ولم يذكر نسبه للعثمانية ، وقال عنه : « وكانت له عناية كاملة بكتب الآداب واللغات والتقييد لها والضبط لمشكلها ، مع الحفظ والإتقان لما جمعه منها » . ولد سنة ١٠٤٧/٤٣٩ وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ١٠١٧/٥٠٨ . أما هذه النسبة العثمانية فنرجع إلى ولاء أسرته لبنى أمية وذكر ذلك القاضى عياض .

(٢) روى البيهقي المذكورين هنا أحمد بن محمد المقرئ فى نفع الطيب (طبعة محيى الدين عبد الحميد ، ص ٢٠٣ فى ترجمة أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربى) بالصورة التى وردا بها فى النص ؛ وقد نسبها إليه .

تميل وليست بين كأس وقينة
وسال نَميرُ الماء بين اخضرارها
وإلا كما شق الكنهور بارق
قد اطردت فيه المذائب دائماً
وللترجس النضر اصفرار تخاله
يدبُ إليك الحسنُ في جنباتها
وللياسمين الغضُّ في خضر بسطها
وللسوسن المبيض إصغاه ألف
وقد كللت أغصانُ نارنجها، فقل
وعطر منها النثرُ ما بَلل الندى
والماء في الدولاب - إن رمت وصفه -
تضمن سقى الروض رفها يعله
مقطرة الأردان يفعم ففحها
سما، وجرى الماء فيها مَجْرَّة
قدوتكها تختال زهواً ونضرة

ولم - خلد الله سلطانهم - في طبق مملوء تثار زهر الفارنج والخابور،

وأكثر هذا التشبيه على البديهة :

بفتها وذكي العرف الحنفا
كأنما الزهر والخابور جزعه
قد راق منظره حسناً لمليفت
ورق مخبره عرفاً لمنشيق

بردين من وضح الإصباح والشفق

شدر تثار في در من العنق

ورق مخبره عرفاً لمنشيق

(١) ورد هذا البيت الأخير في الهامش بخط مخالف .

/ولهم - ظاهر الله نعمه لديهم - مما كتبتُه بين الكريمين يديهم : [١-٣]

خُذَهَا كَمَا تَمَّ عَرَفُ الرُّوضِ بِالسَّحَرِ وَأَيْقَظَ الطَّلُّ رَبِّيَا نَأْمَ الزَّهْرِ
حَمَاءَ تَرْفُلٍ فِي أَثْوَابٍ بِهَجَّتْهَا تَفْتَرُّ عَنِ لَوَائِجِ عَذْبٍ وَعَنْ أَشْرِ^(١)
زَفَقَتْهَا وَرَوَاقِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلٍ كَانَهَا شَفَقٌ فِي هَالَةِ الْقَمْرِ

ومن الغازم ، وسمت منهم رضى الله عنهم :

سَحَرْتُ أَعْيُنُ الْجَاذِرِ لَبِّي وَاسْتَبَاحْتُ حَمَى فَوَادِي وَقَلْبِي
[.] مِنْهَا اشْتَبَاهُ فَانظُرَنَّ التَّصْحِيفَ مِنْ بَعْدِ قَلْبٍ

وقد استوفوا حروف المعجم في هذا الباب ، فأتوا - أيدهم الله - [بما فيه]
عبرة لأولى الألباب .

ولهم في الرثاء ، أدام الله أيامهم كما جعل مفاتيح الأقاليم سيوفهم وأقلامهم :
تَصَبَّرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَوْلَى بِذِي حَجْرٍ وَإِنْ كَانَ حَجْرًا فَالْعَلَامُ إِلَى الْحَجْرِ^(٢)
وَمَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَفْدُو عَلَى الْفَتَى فَطَوْرًا عَلَى بَشْرٍ وَطَوْرًا عَلَى بَشْرٍ^(٣)
وَإِنْ سَأَلْتِ ، وَالظُّلْمُ مِنْهَا سَجِيَّةٌ فَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تَفَرَّ وَأَنْ تُقْرَى
مَرَى^(٤) الْحَزْنَ دُمِي أَنْ أَمْرًا حِبَالَهُ وَكَانَ قَدِيمًا لَا يُبْرُ وَلَا يَمْرَى
وَعَهْدِي بِهَذَا الدَّمْعِ يَا عَيْنُ وَافِيَا فَهَلْ لَكَ فِي الْقَدْرِ الْمَبْرُحِ مِنْ عُدْرٍ ؟
أَلَا مَنْ لَعِينٍ لَا يُنْهِنُهُ غَرْبُهَا أَلَا مَنْ لَسَحَرٍ لَا يَمَلُّ مِنَ السَّحَرِ ؟
أَلَا تِلْكَ شَمْسُ الْجَوْفِ فِي الدَّوِّ^(٥) فَاعْجَبُوا أَلَا تِلْكَكُمْ إِدْمَانَةُ الْعَفْرِ فِي الْقَفْرِ

(١) تأشير الأسنان تحزيرها وتحديد أطرافها .

(٢) الحَجْرُ الأولى والثانية بمعنى العقل ، والثانية بمعنى حرام .

(٣) بَسْرُ الرَّجْلِ وَجْهَهُ : كَلْحٌ .

(٤) مَرَأَ حَقَّهُ : جَعَدَهُ .

(٥) الدَّوُّ : الْمَفَازَةُ .

أَسْأَلُو وَهَذَا شَخْصُهَا حَشَوُ مُقْلَتِي وَأَنْسَى وَمَا تَنْفَكْتُ مِنْي عَلَى ذِكْرِ ؟
 لَنْ ضَمَّ مِنْكَ اللَّحْدُ ذَاتًا زَكِيَّةً لَقَدْ حُنَيْتُ مِنْي الضَّلُوعُ عَلَى جَمْرٍ
 سَابِكِيكَ مَا أَنْتَ فَقِيدَةٌ بِكِرْهَا وَحَفَّتْ إِلَى وَكْرِ مُطَوَّقَةُ النَّحْرِ
 / أَطَارِحُهَا شَجْوِي فَيُسْعِدُ شَجْوَهَا فَتَحْسَبُنَا إِلَيْنِي مُصَابٍ لَدَى وَكْرِ
 وَمَالِي وَمَالِ الْعَيْدِ لَوْلَا تَحَقُّلٌ يُكَلِّفُنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الصَّبْرِ
 فَمَنْ كَانَ ذَا هَدْيٍ وَهَدْيٍ لَعَيْدِهِ فَعَنْدِي هَدْيٌ مِنْ مَدَامَعِي الْحُمْرِ
 يُفَادُونَهَا قُرْتِي لِنَحْرِ ثَلَاثَةً وَدَمْعِي مِنْ تَشْكَابِهِ الدَّهْرِ فِي بَحْرِ
 وَعَنْدِي وَلَا رَدٌّ زَفِيرٌ مُرَدَّدٌ تَهْدِي لُظَاهِ جَانِبِ الْبِشْرِي
 وَتَصْدِيقُ إِيْمَانٍ وَإِقْرَارُ مَوْقِنٍ وَتَسْلِيمُ مَرْيُوبٍ لَدَى الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ

ومن تصنيف لهم في الزهد جليل ، هو على انفرادهم في الكمال وسحر
 الكلام أوضح دليل :

يَعَجَّلُ الْإِنْسَانُ بِالْشَيْءِ ، وَهَلْ خَلِقَ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ عَجَلٍ ؟
 وَلِيَدِي الْعَدْلُ قِضَاءٌ فِي الْوَرَى يَتَقَاضَاهُ كِتَابٌ وَأَجَلٌ
 إِنَّ ظُفْرَ اللَّيْثِ يَدْمِي مِنْ رَدِّي مِثْلَ خَدِّ الْخَوْدِ يَدْمِي مِنْ خَجَلٍ
 وَأَخُو النَّفْسِ فِي غَفْلَتِهِ إِنَّ بَكَتْ وَرَقَاهُ غَنَى وَارْتَجَلُ

وإنما أورد منه الفرائد ، وأقصد إليه من القصائد ، وها هي تضييق عنها
 المهارق^(٢) ، وتضيء منها المغرب والمشرق ، وإيما هذا إلماع بما أعوز العلماء ،
 وإسماع لما أسكت الحكماء .

ولما ظفرت من هذا المقصود الأحمد ، وسبقت إليه سبق الجواد إذا استولى
 على الأمد ، قصرته على ملوك إفريقية وبلاد المغرب المضافة إليها ، وقدمت

(١) كذا في الأصل ، ولعله يقصد بالأولى البشارة وبالثنائية السرور .

(٢) الصحف .

القادمين في المائة الأولى من السلف الأول عليها ، لأنها من أوائل فتوح الإسلام ، ثم من منازل بدرٍ التمام مولانا الخليفة الإمام ، أدام الله لهم نصر الألوية والأعلام . وفي المائة الثانية صارت الأندلس دارَ إيمان ، فواليتُ ذكر ولايتها من ذلك الزمان ، ليوقفَ على جلاله شانهم ، ويعرف تمكن محلهم من البلاغة ومكانهم ، وذكرتُ أبناءهم ، واختصرتُ أبناءهم ، هرباً من التطويل ، ورهباً للثقل ، إلا نكناً لها بانتخابها أحسن المواقع/وعيوناً هي باقتضابها أجولُ في المحافل [٤-١] وأولجُ في المسامع . وربما عرض ما يدعو إلى البسط فانتقض حُكم هذا الشرط ، ولا غرو أن أوقع المحذور ، فللكلام اضطرار يُبديح المحذور . وأبرزته مسوقاً على الحقب ، منسوقاً بحسب الرتب ؛ أعين للصدور صدر كل مائة ، وأبين من تميز في جماعة أو تحيز إلى فئة ، ليستوفي المتأدين ، حتى من المتوثبين .

والذين ما عثرت على أشعارهم ، أفردت باباً لأخبارهم ، ولم أعرض لمن أعرضت عنهم الدولة الحفصية بالخلعان ، وانتزعت ما كان بأيديهم تراثاً لها من الملك والسلطان .

ثم [.]^(١) الاسم الذي من خصائصه التأمين والتأمين وأشبهه [.]^(٢) النضير والمشرع النمير حضرة مولانا الأمير [.]^(٣) الأسد الأطهر الأرضي أبو يحيى ولي عهد المؤمنين^(٤) ، وعهد الولي في متابعات السنين ،

(١) بياض بقدر كلمتين .

(٢) بياض بقدر كلمتين .

(٣) هنا مكان كلمتين مبشورتين من الأصل ، وآثار البشر واضحة .

(٤) كذا في الأصل ، وصحته أبو زكريا يحيى وهو ابن أبي عبد الله محمد الحفصي الملقب بالمستنصر ثاني أمراء الحفصيين (٦٤٧ - ٦٧٥ / ١٢٤٨ - ١٢٧٧) . وفي خدمة المستنصر عمل ابن الأبار . والإشارة هنا إلى ولي عهده أبي زكريا يحيى الذي خلفه على العرش سنة ٦٧٥ / ١٢٧٦ - ١٢٧٧ وتولى بعده وتلقب بالوائق . وقد فرغ ابن الأبار من « الحلة للسراء » خلال سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ أو بعدها بقليل ، أي أيام كان أبو زكريا يحيى الوائق ولياً للعهد . (انظر : ابن خلدون ، تاريخ ٢٩٦/٦) .

والملي^(١) وقد [...] مكارم الآباء بإنجاب كرام البنين . أجهد^(٢) في الاستظهار
 على شكر نعمته ، وأجهر آناء الليل وأطراف النهار بأن [يكون]^(٣) العمل خادماً
 النية في خدمته . وأقصى المأمول أن تأذن له^(٤) سيادته في القرب من سُدَّته ،
 وتقابل وفادته بالقبول ليسعد مداه بسعادة مدته . أبقاه الله ولوأوه منصور ، وكرم
 الخلال فيه منصور ، وشرف الكمال عليه مقصور ، والعيون والقلوب إليه ميل^(٥)
 وصور ، بمنه .

(١) كذا في الأصل ، وصحة هذا اللفظ تتضح إذا عرفنا ما بعده ، وهو مضطرب في
 نسختنا .

(٢) يياض بقدر كلمة في معنى : عهدهات .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٤) الضمير هنا عائد على العمل .

المائة الأولى من الرحبرة

١ - عمرو بن العاصي، أبو عبد الله

قرأت بخط أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب « أنساب الأشراف » من تأليفه : قال محمد بن سعد : قال الواقدي من خبر عمرو ابن العاصي إنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً في صفر سنة ثمان - قبل فتح مكة بأشهر ؛ وكان الفتح في شهر رمضان - فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ثمان إلى ذات السلاسل في سرية ، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عن جميعهم^(١) . قال : ثم بعث به إلى ابني الجندى بُعْان فأسلما ، وكان أميراً عليها . فلم يزل عمرو بُعْان حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وعمرو بن العاصي هو الذي فتح مصر ونواحيها في خلافة عمر / وعزله [٤ - ب]
عُمانُ عنها .

وقال غير البلاذري : ثم صار من مصر حتى قدم تَرْقَةَ ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية ، على أن يبيعوا من أبنائهم

(١) انظر طبقات ابن سعد (طبعة دار صادر ودار بيروت . بيروت ١٩٥٧) :

في [جزيتهم « ما أحبوا بيعه »]^(١) [وعلى يديه تم فتح المسلمين]^(٢) لبرقة .
ثم غزا في سنة ثلاث وعشرين إطرابلس ، فحاصرها شهراً لا يقدر منها على شيء ،
ثم افتتحها في قصة غريبة ذكرها أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم
في تاريخه^(٣) ، وغنم ما فيها ولم يفلت الروم إلا بما خفَّ لهم في مراكبهم . وأراد
أن يُوجِّه إلى المغرب فكتب إلى عمر رضى الله عنه : « إن الله عز وجل فتح
علينا إطرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين
أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعَلَّ »^(٤) ، فكتب إليه عمر ينهاه عن ذلك .
الظاهر من هذا الخبر تحيُّزُ إطرابلس من إفريقية^(٥) ، ولم تزل من أعمالها
قديماً وحديثاً . قال ابن عبد الحكيم : « كان سلطان جرجير من إطرابلس إلى
طنجة » . وبهذا الاعتبار ساغ لي ذكر عمرو رضى الله عنه في هذا الكتاب .
ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد — أخا خالد بن الوليد — عند النجاشي ،

(١) أضفت كلمة « جزيتهم » هنا للسياق ، وأكلت النص من فتوح ابن عبد الحكيم
(طبعة تورى) ص ١٧٠ - ١٧١ وفتوح البلدان للبلاذري (القاهرة ، بدون تاريخ) ص ٢٢٤ .
(٢) عبارة الأصل هنا مضطربة . فبعد البياض الذي سددها (راجع الهامش السابق)
وردت كلمتا : « لبرقة إطرابلس » ، وهي عبارة غير صحيحة ، لأن برقة — إذ ذاك —
لم تكن تابعة لإطرابلس ، ومن ثم فهي لا تنسب إليها . ولما كانت كلمة إطرابلس ترد في آخر
السطر في المخطوط ، فقد رجحت أن ناسخاً أضافها كعنوان صغير في الهامش ، ثم أدرجها من أتي
بعده في المتن ، فاختلف المعنى . فاستغنيت عنها ، وقومت النص بحسب ما أعرف عن فتح العرب
للمغرب .

(٣) راجع هذه القصة في فتوح ابن عبد الحكيم ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، وانظر عنها
كتابنا « فتح العرب للمغرب » (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧) ص ٦١ .
(٤) راجعت النص على أصله عند ابن عبد الحكيم (فتوح ، ص ١٧٢) وبقية النص :
« فكتب إليه عمر : لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة (أيضاً : الغادرة)
منذور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت » .

(٥) يريد أن إطرابلس داخلة في حوز إفريقية ، أي تبع لها .

وكانت قريش بعثتهما إليه يكلمانه في مَنْ قدم عليه من المهاجرين رضی الله عنهم^(١) :

تَعَلَّمَ عُمَارُ أَنْ مِنْ شَرِّ شُبُهَةِ^(٢) لِثَلَاثِكَ أَنْ يَدْعَى ابْنَ عَمٍّ لَه انْتَمَى^(٣)
لئن كنتَ ذا بُرْدَيْنِ أَخْوَى مَرَجَلًا فَلَسْتَ بَرَاءَ لابنِ عَمِّكَ مُحْرَمًا
إذا المرءُ لمْ يتركْ طعامًا يُحِبُّهُ ولمْ يَنْهَ قَلْبًا هَانِمًا^(٤) حَيْثُ يَمَّا
قَضَى وَطْرًا مِنْهُ^(٥) ، وَغَادِرَ سُبُهَةٍ إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمَلُّ الْقَمَا

وقال أيضاً في حروب صفين :

شُبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَتُ لَهَا مَفْرَغَ الْحَارِكِ^(٦) مَحْبُوكَ السَّبَجِ

(١) روى البلاذري في «أنساب الأشراف» (طبعة الدكتور حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩) ٢٣٣/١ - ٢٣٤ هذه الأبيات في خبر ما وقع بين عمرو بن العاص وعمار بن الوليد في الحبشة . وكان عمرو قد بعثه قريش مع عبد الله بن أبي ربيعة إلى الحبشة ليكيدا للمهاجرين المسلمين هناك ويفريا النجاشي بالتخلي عن حمايتهم ، بل القضاء عليهم . أما عمار بن الوليد فكان قد خرج إلى الحبشة في تجارة له ، وركبا نفس السفينة ، وكانت مع عمرو امرأته ، فسمى عمار في الاتصال بها . ووقع الخصام بين الرجلين ، فلما وصلا إلى الحبشة استطاع عمار أن يتصل ببعض نساء النجاشي . ويبدو أنه كان جميلا مفتونا بنفسه ، فلم يزل عمرو بن العاص يحتال عليه حتى حصل منه على ما يشبت اتصاله بتلك المرأة ، ثم أسرع بالأمر إلى النجاشي ، فغضب على عمار ويقال إنه قتله . وفي هذه الأبيات يلوم عمرو بن العاص صاحبه عمار على ما سولته له نفسه من العدوان على امرأة ابن عمه عمرو . والخبر كله مشكوك في صحته ، والأبيات - بالتالي - مشكوك في أصالتها .

(٢) في «أنساب الأشراف» : شيمة .

(٣) في «أنساب الأشراف» : ابنا ، وهي قراءة غير صحيحة .

(٤) في «أنساب الأشراف» : غاويًا .

(٥) في «أنساب الأشراف» : منها .

(٦) الحارك من الفرس : كاهله .

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّ إِذَا وَنَتِ الخَيْلُ مِنْ الشَّدِّ مَعَجُ
جُرْشُوعُ أَعْظَمُهُ جَفْرَتُهُ إِذَا ابْتَلَّ مِنَ الْمَاءِ حَدَجٌ^(١)

وقال يخاطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

مُعَاوِيَّ إِنِّي بَعْتُ دِينِي وَلَمْ أَنْلِ^(٢) به منك دنيا^(٣) ، فأنظرن كيف تصنع
وما الدين والدنيا سواي ، وإني لأخذ ما تعطي ورأسي مقنن
فإن تُعْطِنِي مِصْرًا فَأَرْبِحُ بِصَفْقَةٍ أخذت بها شيخاً يضر وينفع^(٤)

[• - ١] / قال عمرو وهذا لأنه شرط على معاوية لما تجيز إليه - وكان معه في حروبه
لعلي رضي الله عنهم - أن يوليه ، إذا ظهر ، مصر طعمة ؛ فوفى له بذلك .

وروي أن عتبة بن أبي سفيان دخل على معاوية أخيه وهو يكلم عمراً
في مصر ، وعمرو يقول له : « إنما بعثتك بها ديني » ، فقال له عتبة : « أئمن
الرجل بدينه فإنه صاحب من أصحاب محمد »^(٥) .

(١) لم أجد هذه الأبيات في كتاب « وقعة صفين » لنصر بن مزاحم المنقري (طبعة
عبد السلام هارون) ، القاهرة ١٣٦٥ ، وهو يضم أكبر مجموع من الشعر قيل أثناء معارك صفين .
(٢) وردت هذه الأبيات في « وقعة صفين » ص ٤٤ . وقد ورد فيه هذا المصراع هكذا :
« معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل » .

(٣) في « وقعة صفين » : بذلك دنيا ، وفي مخطوط آخر : به منك .

(٤) وردت هذه الأبيات بنظام آخر في « وقعة صفين » ، وها هي بعد البيت الأول :

فإن تعطيني مصرأ فأربح بصفقة أخذت بها شيخاً يضر وينفع
وما الدين والدنيا سواء ، وإني لأخذ ما تعطي ورأسي مقنن
ولكنني أغضى الجفون ، وإني لأخدع نفسي ، والمخادع يُخدع
وأعطيك أمراً فيه للملك قوة وإني به إن زلت النسل أضرع
وتمنعي مصرأ وليست برغبة وإني بذنا المنوع قدماً لمسولع

وقد ورد المصراع الثاني من البيت الرابع هكذا :

والنبي به إن زلت النعل اصرع

(٥) أورد نصر بن مزاحم المنقري حديث معاوية بن أبي سفيان مع عمرو بن العاص
وكلام عتبة بن أبي سفيان بتفصيل (ص ٤٤) وهو هناك يختلف في معناه ومبناه عما هو هنا .

فأقام على مصر إلى أن توفي في خلافة معاوية^(١) . ومما يُعزى إليه :
 وَأَغْضَى عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قَلْتُهَا وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أَبْقِ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا
 فَإِنْ كَانَ عُودِي مِنْ نَضَارٍ فَإِنِّي لِأَكْرَهُ يَوْمًا أَنْ أَحْطِمَ خِرْوَعًا^(٢)
 وأنشد له ابن إسحاق صاحب « المغازي » في يوم أُحُد ما لم أر وجهًا لذكره .

٢ - ابنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أبو محمد

ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي في الداخلين إفريقية من الصحابة
 رضى الله عنهم^(٣) ، وهم قريب من ثلاثين رجلا . وكان يخلف أباه على إمارة
 مصر، إذ وليها عمرو في خلافة عمر بن الخطاب [و] في خلافة معاوية . وهو صلى
 على أبيه عند وفاته ، ثم صلى بالناس يوم الفطر . ولم يكن بينه وبين أبيه في السن
 إلا اثنتا عشرة^(٤) سنة ، وأسلم قبله ، وكان أحد فقهاء الصحابة وفضلائهم ،
 والمكثرين من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) .

(١) ورد بالهامش مقابل هذا السطر ما يلي : توفي بمصر ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين
 وهو ابن تسعين سنة ، ودفن بالمقطم من ناحية « الفج » ، وكانت طريق الناس إلى الحجاز .
 صح : من در السحابة للجلال الأسيوطي (كذا) .

(٢) جاء في « اللسان » : ... وكل نبت ضعيف يتشنى خروج : ٤٢٠/٩ .

(٣) انظر « رياض النفوس » لأبي بكر بن أبي عبد الله محمد المالكي (بتحقيق ناشر

هذا الكتاب ، ١ ، القاهرة ١٩٥١) رقم ٤ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) في « رياض النفوس » (ص ٤٣) : وكان بينه وبين أبيه في العمر ثلاث عشرة سنة .

(٥) ورد في الهامش مقابل هذا السطر بخط مختلف عن خط المخطوط : « ط . توفي بمصر

ودفن بداره سنة سبع وسبعين في خلافة عبد الملك وسنه اثنتان وسبعون سنة . صح : من در
 السحابة » .

قال أبو محمد بن حزم الفقيه : روى عبد الله بن عمرو بن العاصي سبعاثة حديث .

وفي تاريخ ابن عبد الحكم أن عثمان رضي الله عنه كتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يؤمره على مصر [سنة خمس وعشرين] فجاءه الكتاب بالفيوم بقرية منها تدعى « دموشة » ، فجعل لأهل الجواب^(١) جُعلا على أن يصبخوا به الفسطاط في موكبه . فقدموا به الفسطاط قبل أن يصبح [الصبح ، فأشار]^(٢) إلى المؤذن فأقام الصلاة حين طلع الفجر ، وعبدُ الله بن عمرو بن العاصي ينتظر المؤذن يدعو إلى الصلاة ، لأنه كان خليفة أبيه ، فاستنكر الإقامة ، فقيل له : صلى عبدُ الله بن سعد بالناس .

قال ابن عبد الحكم : يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربي المسجد [ب - ٥] بين يديه شمعة ، وأقبل عبدُ الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمعة . فالتفت عند القبلة فأقبل عبدُ الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله بن سعد فقال : هذا بَغِيكُ ودَسُّكُ ! فقال عبدُ الله بن سعد : ما فعلتُ . وقد كنتَ أنتَ وأبوك تحسداني على الصعيد ، فتعالَ حتى أوليك الصعيد ، وأوّلِي أباك أسفلَ الأرض ، ولا أحسدكما عليه .

وكان عزل عمرو بن العاصي عن مصر وتولية عبد الله بن سعد في سنة خمس وعشرين ، صدرَ خلافة عثمان رضي الله عنه . ومن شعر عبد الله بن عمرو في صفين :

فلو شهدتُ جُبلَ مَقامِي ومَشهدِي بصفين يوماً شابَ منه الذوائبُ
عَشِيَّةَ جَا^(٣) أهلُ العراقِ كأنهم سحابُ ربيعٍ دَفَعْتَهُ الجنائبُ^(٤)

(١) في الأصل : الطواف ، والتصحيح من ابن عبد الحكم وأبي الحسن بن تغري بردي .

(٢) سقطت كلمات هنا ، فأضفت ما بين الحاصرتين ليتصل السياق .

(٣) في « وقعة صفين » لنصر بن مزاحم المنقري (ص ٤٢١) : غداة غدا .

(٤) في نفس المصدر : من البحر موج بله متراكب .

وجئناهم نَزْدِي^(١) كأنَّ صفوفنا من البحرِ مَدُّ مَوْجُهُ مُتْرَاكِبُ^(٢)
 إِذَا قُلْتَ : قَدْ وَاوَّ اسِرَاعًا ، بَدَتْ لَنَا كِتَابُ مِنْهُمْ فَارْجَحَنْتُ كِتَابُ^(٣)
 فِدَارَتْ رَحَانًا وَاسْتِدَارَتْ رِحَاهُمْ سَرَاةَ النَّهَارِ مَا تُؤَلَّى الْمَذَاكِبُ
 وَقَالُوا لَنَا : إِنَّا نَرَى أَنْ تُبَايَعُوا^(٤) عَنِّيَا ، فَقُلْنَا : بَلْ نَرَى أَنْ تُضَارَبُوا^(٥)

هكذا وجدت هذا الشعر منسوباً إليه ، وخلاف هذه الحال كان [....] .^(٦)
 على أن أبا الفتوح الطائي البغدادي قد حكى في كتابه « الأربعين حديثاً »
 مِنْ جَمْعِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ صَفَيْنَ ، وَكَانَ يَضْرِبُ بِسَيْفَيْنِ .
 وَالْأَصْحَحُ هُوَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ [فِي خَبَرِ يَسْنَدِهِ]^(٧) إِلَى ابْنِ

(١) رَدِّي فِي الْبَيْتِ إِذَا سَقَطَ فِيهَا أَوْ تَهَوَّرَ مِنْ جِبَلٍ . وَفِي « وَقَعَةُ صَفَيْنَ » : نَمَشَى .

(٢) وَرَدَّ هَذَا الْبَيْتُ فِي « وَقَعَةُ صَفَيْنَ » هَكَذَا :

وجئناهم نمشي صفوفا كأننا سحاب خريف صففته الجنايب
 وبعد هذا البيت بيت لم يورده ابن الأبار هو :

فطار إلينا بالرمح ككاهم وطرفنا إليهم والسيوف قواضب
 (٣) فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ وَالصَّفْحَةِ وَرَدَّ هَذَا الْبَيْتُ هَكَذَا :

إِذَا قُلْتَ يَوْمًا : قَدْ وَنَوْنَا ! بَرَزَتْ لَنَا كِتَابُ حَمْرٍ وَارْجَحَنْتُ كِتَابُ
 (٤) وَرَدَّ هَذَا الشَّطْرُ عِنْدَ نَصْرِ بْنِ مَزَاحِمِ الْمُنْقَرِيِّ هَكَذَا :

فقالوا : نرى من رأينا أن تباعوا .

وفى الأصل : أن تضارب ، ولا تستقيم به القافية ، فجعلته كما هو في المتن .

(٥) أورد نصر بن مزاحم بعد هذا ثلاثة أبيات :

فأبنا وقد نالوا سراة رجالنا وليس لما لا قسوا سوى الله حاسب
 فلم أر يوماً كان أكثر باكياً ولا عارضاً منهم كياً يكالب
 كأن تلالى البيض فينا وفيهم تلالؤ برق في تهامة ثاقب

(٦) بياض بقدر كلمتين .

(٧) أضفت هذه الكلمات للسياق . والخبر وارد في « الاستيعاب في معرفة الأصحاب »

لأبي عمر يوسف بن عبد البر انمري (طبعة المطبعة التجارية على هامش « الإصابة في تمييز الصحابة » لأحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر . القاهرة ١٩٣٩) ٢ / ٢٤٠ .

أبي مُائِكَة أن عبد الله بن عمرو بن العاصي كان يقول : « مالي ولصفيين ؟ مالي ولقتال المسلمين ؟ والله لو ددت أني متُّ قبل هذا بعشر سنين » . ثم يقول : « أما والله ما ضربتُ فيها بسيف ، ولا طعنتُ برمح ، ولا رميتُ بسهم ، ولو ددت أني لم أحضر شيئاً منها . وأستغفر الله عز وجل من ذلك وأتوب إليه » . قال أبو عمر : « إلا أنه ذكر أنه كانت بيده الراية يومئذ ، فندمَ ندامة شديدة على قتاله مع معاوية . قال : وأقسم أنه إنما شهدها لعزيمة أبيه عليه في ذلك ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أطع أباك » . ذكر أبو عمر هذا^(١) في كتاب « الاستيعاب في الصحابة » من تأليفه ، ولكن الشعر — مع هذا — مذكور له في مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وغيره .

٣/ — عبد الله بن عباس ، أبو العباس^(٢)

[١ - ٦]

غزا إفريقيَّة مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان سنة سبع وعشرين وشهد فتحها ؛ ذكر ذلك أبو سعيد بن يونس في تاريخه . ثم ولى إمارة البصرة في خلافة علي رضي الله عنه حين استعمل أخويه عبَّيد الله على اليمن ومعبداً على مكة . وكان لعبد الله بن العباس من عمر بن الخطاب مكان . وقال لعبد الرحمن بن عوف ، وقد كلفه في حُظوته لديه : « إنه من حيث علمت » .

(١) انظر المصدر السابق ، ٢/٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) فوق هذا العنوان بخط مختلف عن خط المخطوط : « ط. توفي رحمه الله بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة . وكان يسمى البحر لسعة علمه . صح . من در الصحابة » .

وكان يقول : « ابن عباس فتى الكهول ، له لسان سؤول وقلب عقول » ؛
ويقول إذا سأل [ابن عباس] في الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : [كيف تلومونني عليه بعد ما ترون ؟]^(١)

وفي كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني أن عيئة بن مرداس
[ابن فسوة] الشاعر ، وهو المعروف بأبي فسوة ، أتى عبد الله بن العباس — وهو
عامل لعلي بن أبي طالب على البصرة ، وتحت يومه شميثة بنت جنادة بن
أبي أزيهر^(٢) الزهرانية ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود الشلي — فاستأذن
عليه فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه .
فلما دخل على ابن عباس قال له : « ما جاء بك [إلي] يا ابن فسوة ؟ » فقال له :
« وهل دونك مقصدًا^(٣) أو وراءك معدى ؟ جئتك لتعينني على مروءتي وتصل
قرايتي » ، فقال له ابن عباس : « وما مروءة من يعصى الرحمن ويقول البهتان
ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ؟ والله لئن أعطيتك لاعينتك على الكفر
والعصيان ! انطلق ! فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هوت أحدًا من العرب
لأقطعن لسانك » ، فأراد الكلام فمنعه من حضر ، وحبسه يومه ذلك . ثم أخرجه
عن البصرة ، فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي [عليه السلام] ، فلقى الحسن [بن
علي] عليه السلام [وعبد الله بن جعفر] عليهما السلام [فسألاه عن خبره مع ابن
عباس فأخبرها ، فاشترى عرضه بما أرضاه ، فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس
من أبيات :

(١) استعنت في سد فراغ هذا الخبر بما ذكره ابن سعد في طبقاته في سيرة ابن عباس :
« أخبرنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كان
عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم . قال : فذكر أنه سأله وسأله ، فأجابه ،
فقال لهم : كيف تلومونني عليه بعد ما ترون ؟ » الطبقات ٣٦٥/٢ .

(٢) في الأغاني ١٤٣/١٩ : شميثة بنت جنادة بن بنت أبي أزيهر الزهرانية .

(٣) في الأغاني ١٤٣/١٩ : وهل عنك مقصرا .

لقيت^(١) ابنَ عباسٍ فلم يقض حاجتي ولم يرجُ معروفى ولم يخشَ منكرى
فلو كنتُ من زهران لم ينسَ حاجتى ولكننى مولى جميلِ بنِ مَعْمَرِ
فليتَ قَلُوصى أغربتْ أو رحلتُها^(٢) إلى حَسَنِ فى داره وابنِ جعفرِ
[١-ب] / إلى ابنِ رسولِ الله يأسرُ بالثقى وللدِينِ يدعو والكتابِ المطهرِ
إلى معشرٍ لا يخصِفون نعالهم ولا يلبسون السَّبْتَ ما لم يُخصِرِ
فلما عرفتُ اليأسَ منه وقد بدتْ أيادى سبَا الحاجاتِ للمتذكِرِ
تسَنمتُ حرَّ جُوجاً كأنَّ بُغامها أُجيجُ^(٣) ابنِ ماء فى يراعٍ مَفجِرِ
فما زلتُ فى التسيارِ حتى أَنَحَّتها إلى ابنِ رسولِ الأُمّةِ المتخَيِّرِ
فلا تدعُننى إذ رحلتُ إليكمُ بنى هاشمٍ أن تصدرونى بمصدرِ^(٤)

قال أبو الفرج : كان عُيَيْنَةُ هَذَا شاعراً خبيث اللسان مخوف المعرة
فى جاهليته وإسلامه ، وكان يقدم على أمراء العراق وأشرف الناس فيصيب منهم
بشعره . قال : وكان حليفاً لجميل بن مَعْمَرِ القُرَشى . ومن شعر عبد الله بن العباس ،
وكان أبوه العباس أيضاً شاعراً :

إذا طارقاتُ الهَمُّ ضاجمتِ الفتى وأعمل فكرَ الليلِ ، والليلُ عاكرُ
[وباكرنى]^(٥) فى حاجةٍ لم يجدُ لها سواى ولا من نكبة الدهرِ ناصرُ

(١) هذه الأبيات واردة فى « الأغاني » : ١٤٤/١٩ . ولم يوردها ابن الأبار على
تواليها ، وإنما اختار منها .

(٢) عند أبى الفرج الأصبهاني : « فليتَ قَلُوصى عريت أو رحلتُها » . والقُلُوص من
النوق : الشابة .

(٣) الأغاني : أُجيج .

(٤) الأغاني : لمصدر .

(٥) يياض بالأصل ، وقد أكلته من كتاب « العمدة » لابن رشيق (طبعة محيى الدين

عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤) ، ٢٣/١ .

فَرَجْتُ بِمَالِي هَمَّهُ مِنْ مُتَمَامِهِ وَزَايِلِهِ هَمُّ طَرَوْقِ مَسَامِيرُ
 وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى بَطْنِهِ بِي الْخَيْرِ ، إِي لِلَّذِي ظَنَّ شَاكِرُ
 وَقَالَ أَيْضًا وَقَدْ عَمِيَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ : قَالَ أَبُو عَمْرٍ
 ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا فَنِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نَوْرُ
 قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلِي وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَيْفِ مَأْثُورُ
 وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ تَحْسِينِ مَا يَقْبُحُ
 وَقَدْ جُمِعَتْ قِطْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ فِي تَأْلِيفِي لِلخَزَانَةِ الْعَالِيَةِ الْإِمَامِيَّةِ ، الْمَوْسُومُ بِـ « قِطْعُ
 الرِّيَاضِ فِي بَدَعِ الْأَغْرَاضِ » . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ :

عَمِيْتُ جَنِينًا ، وَالذِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ مُصِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثَلًا
 / وَغَاضُ صَفَاءِ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَاوِدًا بِقَلْبِي إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا [٧ - ١]
 وَشِعْرُ كَفَوْرِ الرَّوْضِ لَامَسْتُ نَظْمَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلًا
 وَقَالَ آخِرُ ، وَيُرْوَى لِأَبِي الْعَلَاءِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْحُضْرِيِّ :
 وَقَالُوا : قَدْ عَمِيْتُ ، فَقُلْتُ : كَلَّا وَإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرْتُ مِنْ بَصِيرِ
 سَوَادُ الْعَيْنِ زَارَ سَوَادَ قَلْبِي لِيَجْتَمِعَا عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْقُرْطُبِيُّ النُّجُومِيُّ - الْمَعْرُوفُ بِدَرُودٍ ، وَيُقَالُ
 دَرِيُودٌ - وَكَانَ أَعْمَى (١) :

تَقُولُ : مَنْ لِلْعَمَى بِالْحُسْنِ ؟ قُلْتُ لَهَا : كَفَى عَنِ اللَّهِ فِي تَصْدِيقِهِ الْخَبِيرُ

(١) تَرْجَمَ لَهُ الْحَمِيدِيُّ فِي جَدْوَةِ الْمُقْتَبَسِ رَقْمَ ٥٥٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ وَالزُّبَيْدِيُّ فِي
 طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ (بِتَحْقِيقِ مُحَمَّدِ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ ، الْقَاهِرَةَ ١٩٥٥) ص ٣٢٣ ،
 وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْآخِرِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ اسْتَأْذَنَهُ لِأَبْنَائِهِ ، وَتَوَفَى سَنَةَ ٣٢٤ /

القلب يدرك ما لا عين تدركه والحسن ما استحسنته النفس لا البصر
وما العيون التي تعمى إذا نظرت بل القلوب التي تعمى بها النظر
ومن جيد العذر - لولا شوبه بالهجر - قول الآخر :

قالوا : العمى منظرٌ قبيحٌ قلت : بفقدى لهم يهونُ
تالله ما في الأنام شيء تأسى على فقد العيونُ

كأنه أخذه من قول سعيد بن المسيب وقد نزل الماء في عينيه ، فقيل له :
« لو قدحتهما » ، فقال : « وعلى من أفتحهما ؟ . . » . ومثل هذا قول المعري ،
وهو عندي من المنشد :

أبا العلاء بن سائمانا إن العمى أولاك إحساناً
لو أبصرت عيناك هذا الوري لم ير إنسانك إنساناً

٤ - عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو خبيب

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح في خلافة عثمان . وهو الذي ولي قتل
جرجير^(١) ملكها واحتز رأسه وجعله في رحبه ، وكبر فانهزم الروم في خبر طويل
ذكره مصعب بن الزبير في كتاب « قریش »^(٢) من تأليفه ، فوجه به ابنُ

(١) كذا ورد الاسم مضبوطاً بكسر الأول ، والشائع جرجير بضم الجيم . وهو
البطريق جريجوريوس الذي كان قد استبد بأمر إفريقية بعد موت الإمبراطور هرقل وقبيل
فتح المسلمين للمغرب .

(٢) يريد أبا عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب الزبيرى وكتابه « نسب قریش »
(نشره ليثى پروفنسال ، سلسلة ذخائر العرب ، رقم ١١ - القاهرة ١٩٥١) وأعاد نشره
في صورة أكل ومع فهارس أوفى الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٢) والخبر
وارد فيه في ص ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

أبى سرح / بشيراً إلى عثمان ، فقدم عليه ، فأخبره بفتح الله ونصره ، وخطب [٧ - ب] يومئذ بذلك في مسجد المدينة على المنبر . قال مصعب : وُبشّر عبدُ الله مقدمه من إفريقيّة بابنه خُبَيْب بن عبد الله ، وهو أكبر ولده .

وقال ابن عبد الحكم : « بعث عبدُ الله بن سعد بالفتح عُقْبَةَ بن نافع ، ويقال بل عبد الله بن الزبير ، وذلك أصح — فيقال إنه سار على راحلته إلى المدينة من إفريقيّة في عشرين ليلة »^(١) . قال : « وقد قيل إن عبد الله بن سعد كان قد وجه مروان بن الحكم إلى عثمان من إفريقيّة ، فلا أدري أفي الفتح أم بعده ؛ والله أعلم »^(٢) .

ثم ولى ابنُ الزبير الخلافة بالحجاز والعراق وأكثر الشام ، بعد موت معاوية ابن يزيد بن معاوية . وكان قد خرج من المدينة مع الحسين بن عليّ — إثر موت معاوية بن أبي سفيان ، لمتمنعا من بيعة ابنه يزيد — وأقام يسلمّ عليه بالخلافة تسع سنين ، ثم قتله عبدُ الملك بن مروان على يد الحجاج سنة ثلاث وسبعين من الهجرة .

وحكى الزبير بن بكار في كتاب « نسب قريش »^(٣) له ، عن هشام بن

(١) انظر ابن عبد الحكم : « كتاب فتوح إفريقية والأندلس » طبعة جزئية من فتوح ابن عبد الحكم اقتصرت على فتح إفريقية والأندلس نثرها ألبير جاتو ALBERT GATEAU مع ترجمة فرنسية عنوانها : *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne* . وهي المجلد الحادى عشر من سلسلة Bibliothèque Arabe - Française التى تنشر في الجزائر ، وهى طبعة جيدة ، تمتاز بتعليقات وترويح قيمة وفهارس دقيقة . والخبر المشار إليه وارد فيها فى ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

(٣) المراد كتاب « جمهرة نسب قريش وأخبارها » لأبى عبد الله الزبير بن بكار (١٧٢ - ٢٥٦/٧٨٨ - ٨٧٠) وهو ابن أخى أبى عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى (١٥٦ - ٢٣٦/٧٥٤ - ٨٥٦) صاحب كتاب « نسب قريش » الذى سبقت الإشارة إليه . وقد نشر =

عروة ، قال : كان أول ما أفصح به عمى عبدُ الله بنُ الزبير - وهو صبي -
السيف ، وكان لا يضعه من فمه . فكان الزبير بن العوام إذا سمع ذلك منه يقول :
أما والله ليكونن له منه يوم ويوم وأيام .

ومن شعره المشهور عنه :

وكم من عدوٍ قد أراد مساءتي بغيبٍ ، ولو لاقيتُه لاندما
كثير الضنا ، حتى إذا ما لقيتُه أصرَّ على إثمٍ وإن كان أقسما

وقال أيضا ، أنشده له أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب « العمدة » من
تأليفه ؛ قال غيره : ويروى لعبد الله بن الزبير (بفتح الزاي وكسر الباء)^(١) :

لا أحسبُ الشرَّ جاراً لا يفارقني ولا أحزُّ على ما فاتني الودجا
وما لقيتُ من المكروه منزلةً إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان كتب إليه :

رأيتُ كرامَ الناس إن كُفَّ عنهمُ بحلمٍ ، رأوا فضلاً لمن قد تحلماً

/ولا سيما إن كان عفواً بقدره فذلك أحرى أن يجلَّ ويعظماً [١ - ٨]

= الأستاذ محمود محمد شاكر الجزء الأول من القسم الذي عثرنا عليه منه : وهو نصف الكتاب
تقريباً (القاهرة ١٩٦٢) محققاً تحقيقاً جديراً بكل تقدير وثناء . وقدّم له بمقدمة وافية عن
الزبير بن بكار وحياته ومؤلفاته ، وقارن بين كتابه في أنساب قريش وكتاب عمه في نفس
الموضوع ، وقارن كذلك بينه وبين كتاب « جمهرة أنساب العرب » لأبي محمد علي بن أحمد
ابن حزم . ومن أسف أن القسم الذي ينقل عنه ابن الأبار هنا لم نعثر عليه بعد ، وهو الجزء الثاني عشر
من الكتاب - بحسب تجزئة الأصل - وأول الجزء الثالث عشر ، وهو يناول أخبار عبد الله
ابن الزبير (راجع ص ٥ من الكتاب ، وهامش ١) . والمقصود هو عبد الله بن الزبير .

(١) واضح أن المراد هنا رجل آخر غير ابن الزبير ، وقد راجعت هذه الفقرة
على أصلها في « العمدة » لابن رشيق (طبعة محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤) ح ١
ص ٢٤ .

ولستُ بذى لؤمٍ فتعذر بالذى أتيت من الأخلاق ما كان الأما
وإني لأخشى^(١) أن أنالك بالتي كرهت ، فيخزي الله من كان أظلماً
فراجعه ابن الزبير :

ألا سمع الله الذى أنا عبده وأخزى إله الناس من كان أظلماً
وأجراً^(٢) على الله العظيم بجرمه وأسرعته فى الموبقات تقحماً
أغرك أن قالوا حلیمٌ بقدره وليس بذى حلمٍ ولكن تحلماً
وأقسم لولا بيعة لك لم أكن لأتقضها ، لم تنج منى مسلماً

ومما روئته من طريق ابن أبي الحسن بن صخر فى فوائده ، وقرأته على
الحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم النكلاعى بإسناده إلى عبد الله بن
المبارك ، قال : حدثنى يونس عن الزهرى ، قال : اجتمع مروان وابن الزبير عند
عائشة رضى الله عنها ، قال : فذكر مروان بيتاً من شعر ليبيد :

وما المره إلا كالشهابِ وضوئه يعود رماداً بعد إذ هو ساطع
فتمعجب منه . قال ابن الزبير : « وما تعجبك ؟ لو شئت قلت ما هو
أفضل منه :

فقوض إلى الله الأمور إذا اعترت فبالله - لا بالأقربين - تدافع
قال مروان :

وداؤِ ضمير القلب بالبرِّ والتقى ولا يستوى قلبان : قاسٍ وخاشع

(١) فى الأصل : لا أخشى ، والصواب ما أثبتناه . وقد صوبه كذلك على هذا النحو
ماركوس مولر ، ص ١٨٧ .

(٢) فى الأصل : وأجرى ، والصواب ما أثبتناه ، والمزاد أجراً .

وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبد مصّلم^١ عُمَّلٌ لأرحام الأقراب قاطع

قال مروان :

وعبدٌ تجافى جنبه عن فراشه بيت يناجى ربه وهو راكم

قال ابن الزبير :

وللخير أهل يُعرفون بهديهم إذا جمعهم في الخطوب المجامع

قال مروان :

وللشر أهل يُعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

فسكت ابن الزبير ، فقالت له عائشة : « ما سمعتُ مجادلة قط أحسن من هذه ، ولكن لمروان إرث في الشعر ليس لك » .

٥/ - مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك

[٨ - ب]

غزوا إفريقيّة مع ابن أبي سرح ، ووجهه إلى عثمان رضى الله عنه ، على ما ذكره ابن عبد الحكم حسبما تقدم . وكان ابن أبي سرح قد كتب إلى عثمان يستأذنه في غزوا إفريقيّة ، فندب عثمانُ الناس بعد المشورة في ذلك . فلما اجتمعوا أمر عليهم الحارث بن الحكم^(١) أخا مروان ، إلى أن يقدموا على عبد الله بن سعد بن أبي سرح بمصر فيكون الأمر إليه .

(١) عند النويرى ، نهاية الأرب ، الجزء الخاص بالمغرب ، مخطوط رقم ٢٢ بدار الكتب بالقاهرة ، ورقة ١٦٣ : الحارث .

ومن شعر مروان :

اعمل وأنت من الدنيا على حذرٍ واعلم بأنك بعد الموت مبعوثُ
واعلم بأنك ما^(١) قدمت من عملٍ مُحصَى عليك ، وما خَلَفْتَ موروثُ
وقد أوردت ما دار بينه وبين عبد الله بن الزبير قبل هذا ؛ وهو القائل
أيضا بين يدي خلافته عند موت معاوية بن يزيد بن معاوية واضطراب
الأمور بالشام :

إني أرى فتنةً تغلي مراجها والمُلك بعد أبي ليلى لمن غلبا
وذكر له الزبير بن بَكَّار وغيره رجلاً في قتل الحسين بن علي حين قدم
برأسه على المدينة ، تركتُ ذكره ؛ وكان أخوه عبد الرحمن بن الحكم من
فحول الشعراء .

٦ — ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد

غزا إفريقيَّة مع معاوية بن حُدَيْج سنة أربع وثلاثين في آخر خلافة عثمان ،
وبعثه معاوية هذا إلى مدينة يقال لها « جُلُولَا »^(٢) في ألف رجل . « فحاصرها

(١) في الأصل : قد ، وصوبناه للمعنى .

(٢) جلولا أو جلولاء ، مدينة على بعد ٢٤ ميلا عن القيروان . وكانت مدينة كبيرة
فيها حصن بيزنطى قديم ، أصل اسمها Cululis . وقد وصفها البكرى بأنها كانت مدينة
غنية كثيرة الأشجار والثمار ، وبها قصب السكر (وصف إفريقية ، طبعة دي سلان ،
الجزائر ١٩١٠) ص ٣١ و ٣٣ و ٥٨ . وقد ذكرها الإدريسي باسم جُلُولَه ، ص ٢٠ .

عبد الملك أياماً فلم يصنع شيئاً ، فانصرف راجعاً . فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقية الناس غباراً شديداً ، فظن أن العدو قد طلبهم ، فكرياً بجاعة من الناس لذلك ، وبقي من بقي على مصافهم ، [وتسرع سرعان الناس] ، فإذا مدينة جلولاً قد وقع حائطها ، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها ، [وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج] « (١) .

ولعبد الملك في تمنيهِ الخلافة وإجابة دعائه بذلك خبر غريب يدخل في باب الأمانى الصادقة ، وقد رويته عن الحافظ أبي الربيع بن سالم بقراءتي عليه من طريق أبي علي بن سُكرة الصدفي بإسناده إلى الشَّعْبِي ، قال : لقد رأيت عجبا : كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير (٢) وعبد الملك بن مروان . فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني/ ويسأل الله حاجته ، فإنه يُعطي من سعة ؛ قم يا عبد الله ابن الزبير فإنك أول مولود وُلد في الهجرة . فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك عظيم تُرجي لكل عظيم ، أسألك بجرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ألا تميّنتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم عليّ بالخلافة ؛ وجاء حتى جلس . فقالوا : قم يا مصعب بن الزبير ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء . ألا تميّنتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سُكَيْنَةَ بنت الحسين ؛ وجاء حتى جلس . وقالوا : قم يا عبد الملك بن مروان ، فقام وأخذ بالركن اليماني فقال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النبت بعد القفر ، أسألك بما سألك

(١) نقل ابن الأبار هذه الفقرة عن فتوح ابن عبد الحكم (طبعة توري ، ص ٩٣) وقد راجعتها على أصلها هناك وأكلت نقصها منه .

(٢) ورد في الهامش مقابل هذا السطر : ومصعب بن الزبير ، مع إشارة يفهم منها أن هذا الاسم ينبغي أن يدرج في المتن .

عبادك المطيعون لأمرك ، وأسألك بجرمة وجهك ، وأسألك بحقك على جميع خلقك ،
وبحق الطائفين حول بيتك ، ألا تميتني من الدنيا حتى توليني مشرق الأرض
ومغربها ، ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه ، ثم جاء حتى جلس . ثم قالوا :
قم يا عبد الله بن عمر ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك رحمان
رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك
ألا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي : فما ذهبت عيناي من
الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطى ما سأل ، وبُشر عبد الله بالجنة ، ورؤيت
له . ومن شعر عبد الملك ، وقد هم بقتل بعض أهله ثم صفح عنه :

هممتُ بنفسى هَمَّةً لو فعلتها لكان كثيراً بعدها ما ألومها
ولكنني من أسرى عَبَسَمِيَّةٍ إذا هي هَمَّتْ أدركتها حلومها

ويُروى أنه لما بلغه إسراف الحجاج بن يوسف في القتل ، وتبذيره الأموال
بعد ظهوره على عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، كتب إليه ينهاه ويتوعده ، وكتب
في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها وتطلب رضاي بالذي أنت طالبة
وتخشى الذي لم يخش مثلك لم تكن كذي الدرر رد الدر في الضرع حالبة
/ فإن تر مني وثبة أموية فهذا وهذا — كل ذا — أنا صاحبه [٩ - ب]
وإن تر مني غفلة قرشية فيأربما قد غص بالماء شارب
فلا تأمنني والحوادث جممة فإنك تجزي بما أنت كاسبه
وإني لأغضى جفن عيني على القذى وأزور بالأمر الذي أنا راكبه
وأملئ لذي الذنب العظيم كائني أخو غفلة عنه وقد جب غاربه
فإن آب لم أعجل عليه ، وإن أبي وثبت عليه وثبة لا أراقبه

فجاوبه الحجاج برسالة وكتب معها :

إذا أنا لم أطاب رضاك وأتقى
وما لأمري يعصى الخليفة جنة
أسالم من سالت من ذي مودة
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة
وإن أنا لم أذن النصيح لنصح
وأعطى المواسي [...]
فمن يتقى بؤسى ويرعى مودتى
فأسرى إليك اليوم : ما قلت قلته
ومهما تُرد منى فإنى أريده
[...] بي على الرضا
أذاك ، فيومي لا تُوارى كواكبهُ
تقيه من الأمر الذى هو ركبهُ
ومن لم تُسأله فإنى مُحاربهُ
فقامت عليه بالصياح نوادبه
وأقص الذى دبّت على عقاربهُ
ترد الذى ضاقت على مذاهبهُ
ويخشى [الردى] والدهر جم مجائبهُ
وما لم تَقْلُهُ لم أقل ما يقاربهُ
وما لم تُرد منى فإنى مجائبهُ
مدى الدهر حتى يرجع الدرّ حالبه

والذى أوردته من أبيات فمنقول عن إثبات ، ومجموع من تصنيفات أشقات ؛
وما كان مقولا عليهم ومنحولا إليهم ، فأنا برىء من عهده .

المائة الثانية

٧ — أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمد بن علي

ابن عبد الله بن العباس

دخل لإفريقية في أيام بني أمية — وهو إذ ذاك سوقة — فراراً منهم ،
وملكها في خلافته بعد أخيه أبي العباس السفاح ، وخُلع فيها وقتاً ، ثم عادت
إليه وولّاها الأغلِب بن سالم التميمي ، جدّ الأغالبة المتداولين مُلكها إلى أن غلبهم
عليها عبّيد الله الشيعي فاقترضوا به .

وكان يقال لأبي جعفر في صغره « مِقْلَاص » ، أُقْب بذلك تشبيهاً بالمقلاص
من الإبل ، وهي الناقة التي تسمن في الصيف وتهزل في الشتاء ، وكذلك كان
أبو جعفر . حكى ذلك أبو الوليد القاسمي ، قال : وهو مقلوب العادة . وليس
في خلفاء بني العباس أعلم من أبي جعفر المنصور وعبد الله المأمون ، ثم بعدها
الرشيد والواثق ، ومن متأخريهم المسترشد بن المستظهر^(١) ؛ وأشعرهم أبو العباس
الراضي بن المقتدر .

(١) في الأصل : المسترشد من المستظهر ، والصواب ما أثبتناه . وهو أبو منصور
الفضل المسترشد بالله بن أبي العباس أحمد المستظهر بالله ، وهو التاسع والعشرون من خلفاء
بني العباس في بغداد (٥١٢ - ٥٢٩ / ١١١٨ - ١١٢٥) .

وأبو جعفر معدود في السكّلة من الملوك ، وكان يفرط في دعواه الاطلاع^(١) ،
ويقرّط بتقريظ نفسه الأسماع ، فمن قوله في بعض خطبه : « الملوك أربعة :
معاوية وكفاه زيادُه ، وعبد الملك وكفاه حجاجُه ، وهشام وكفاه مواليه ،
وأنا ولا كافي لي ! » . ولما عزم على الفتك بأبي مسلم صاحب دولتهم والقائم
بدعوتهم - وقد حُذّر من عاقبة ذلك - كتب إليه عيسى بن موسى بن علي
ابن عبد الله بن العباس مشيراً عليه بالأناة ، وكان قد شاوره فيه :

إذا كنتَ ذارأيَ فكن ذاتدثرٍ فإن فسادَ الرأي أن يتعجلاً
فقال المنصور يجيبه :

إذا كنتَ ذارأيَ فكن ذاعزيمةٍ فإن فسادَ الرأي أن يُترددا
ولا تهمل الأعداء يوماً بقدريةٍ وبادرم أن يملكوا مثلها غدا
وينظر إلى هذا قول عبد الله بن المعتز :

وإن فرصةً أمكنت في العدا / فإن لم تليج بآبها مسرعا [١٠ - ب]
فلا تبدّ فِعْلَكَ إلا بها / أتاك عدوك من بابها
وإيلك من ندمٍ بعدها / وتأميل أخرى ، وأنى بها ؟

وقال المنصور :

تَقَسَّمتي أمران لم أفتحهما / يحزَم ولم تترك قُوَاي الكراكر
وما ساور الأحشاء مثل دفينية / من ألم رَدَّتْها عليك المصادر
وقد علمت أبناء عدنان أني / لدى ما عرا مقدامة متجاسر

وقال أيضا يخاطب محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، حين خرجا عليه بالمدينة والبصرة :

بني عمنا ، لا نصرَ عندكم لنا ولكنكم فينا سيوفٌ قواطعُ
فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتمُ وبالله أحى عنكم وأدافع
لكنتم ذُنَابِي آلِ مروانٍ مثلما عهدناكم ، والله معطيٌ ومانعُ

٨ - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

الداخل إلى الأندلس ، ويقال له « صقر قریش » - سماه أبو جعفر المنصور بذلك - وكنيته أبو المطرف ، وهو الأشهر في كنيته ، وقيل أبو زيد ، وقيل أبو سليمان .

هرب في أول دولة بني العباس إلى المغرب ، وتردد بنواحي إفريقية ، وأقام دهرًا في أخواله « نَفْرَةَ » من قبائل البربر ، وكانت أمه منهم « راح » ، ثم لحق بالأندلس في غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهزم أميرها يوسف ابن عبد الرحمن الفهري في يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة من هذه السنة ، واستوسقت له الخلافة ليوم^(١) آخر يوم الجمعة يوم الأضحى وهو ابن ست وعشرين سنة .

ودعا لنفسه عند استغلاظ أمره واستيلائه على دار الإمارة قُرْطُبَةَ ، ويقال إنه أقام أشهرًا دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور ، متقيلاً في ذلك يوسف

(١) أي أن الأمر استقر له في مدى يوم واحد بعد انتصاره على يوسف الفهري: انتصر عليه يوم الخميس ٩ ذي الحجة ١٣٨ واستقر له الأمر في نهاية اليوم التالي وهو يوم الجمعة ١٠ ذي الحجة ١٣٨ .

[١١ - ١] الفِهْرِيُّ الوالى قبله ، إلى أن أفرد نفسه / بالدعاء ؛ ويقال إن عبد الملك بن عمر ابن مروان بن الحَكَم^(١) أشار عليه بذلك عند خلوصه إليه فقبله ؛ إلا أنه لم يَعُدْ اسمَ الإمارة ، وسلك الأسماء من وَلَدِهِ سُنْتَهُ في ذلك إلى عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، فهو الذى تَسَمَّى بالخِلافة بعد سنين من ساطانته ، ودُعِيَ بأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لما استفحل أمرُهُ واستبان له ضعف ولد العباس وانتار سلطانهم بالمشرق ، وذلك في آخر خلافة المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد منهم . ذكر ذلك أبو مروان حَيَّان بن خلف بن حَيَّان صاحب « تاريخ الأندلس » .

ومن شعر عبد الرحمن بن معاوية يتشوق معاهده بالشام ، أنشده الحَمِيدِيُّ في تاريخه :

أيها الراكبُ الليمُّ أرضي أقرِّ من بَعْضِ السَّلامِ لِبَعْضِ^(٢)
 إن جسمى كما علمتَ بأرضِ وفؤادى ومالكه بأرضِ
 قُدِّرَ البينُ بيننا فافترقنا وطوى البينُ عن جفونى عُغْضِ
 قد قضى الله بالفراقِ علينا فعى باجتماعنا سوف يقضى

وقال أيضاً في حَيَوَةِ بن مُلَيسِ الحَضْرَمِيِّ^(٣) من جند حمص النازلين
 إشبيلية ، وكانت له منه منزلة لطيفة في أول ملكه :

(١) راجع : المصعب الزبيرى ، نسب قریش ، ص ١٦١ .

وابن حزم ، جهرة أنساب قریش (بتحقيق ليثى بروثنسال ، القاهرة ١٩٤٨) ص ٨٠ .

(٢) الأصل : إلى بعض ، والتصويب من « المعجب » لعبد الواحد المراكشى ، طبعة

دوزى ، ص ١٢ .

(٣) كذا ورد الاسم في « البيان المغرب » أيضا (طبعة ليثى بروثنسال وكولان ، لايدن

١٩٥١) ٥١/٢ . ولم يظل حيوة على ولاقه لعبد الرحمن ، إذ أنه ثار عليه حوالى ١٤٥ / ٧٦٢

وتغلب على إشبيلية واسترجعها وأكثر الغرب ، فخرج إليه عبد الرحمن وقاتله قتالا عنيفا بضعة أيام .

وقد كاد عبد الرحمن أن ينهزم أول الأمر ، ولكنه ثبت حتى ملك ناصية المعركة فانهزم حيوة

ومن معه من أهل اليمن ، وهرب إلى ناحية فریش شمالى قرطبة ، ومن هناك كتب إلى عبد الرحمن

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا غاب عنها حيوة بن ملامس
 أخو السيف، قارى الضيف، حقاً يراها عليه، ونافى الضيم عن كل بائس^(١)
 وحكى عيسى بن أحمد الرازى أن عبد الرحمن بن معاوية — أول نزوله
 منية الرصافة بقرطبة واتخاذها لها — نظر إلى نخلة مفردة، فهاجت شجنه وتذكر
 بلد المشرق فقال بديهاً :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
 فقلت : شبيهى في التغرب والنوى وطول التناى عن بنى وعن أهلى
 نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلى
 سقتك غوادي العزن من صوبها الذي يسح ويستمري السماكين بالوبل
 / وقال أيضاً فيها :

[١١ - ب]

يا نخل أنت غريبة مثلى في الغرب نائية عن الأصل
 فابكى ، وهل تبكى مكبسة عجماء لم تطبع على خبل ؟
 لو أنها تبكى ، إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل
 لكنها ذهلت ، وأذهلني بغضى بنى العباس عن أهلى

وقد قيل إن الأبيات الأربعة الأولى لعبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن
 بشر بن مروان بن الحكم ، قالها عند دخوله الأندلس فراراً من بنى العباس
 في صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية . وقيل في الأبيات الأخيرة إنها لعبد الملك

= يسأله العفو عنه . وثورة حيوة بن ملامس حلقة من صراع عبد الرحمن الداخل مع اليميين الذين
 ظنوا بعد وصوله إلى الإمارة بفضلهم (مع البربر) أن الدولة ستكون لهم ، وساءهم أن وجدوا
 عبد الرحمن يريد أن ينتهج السياسة التي تتفق ومصالح العرش الذي أقامه ، سياسة إنصاف
 ومساواة بين السكان جميعاً . وقد انتهت ثورات اليميين بعبد الرحمن إلى الانصراف عنهم جملة ،
 والميل إلى الشامية وتفضيلهم .

(١) كذا في الأصل ، وقد قرأها دوزى ، ص ٣٤ : يائس .

ابن عمر بن مروان بن الحكم ، وقد اجتاز في قصده قرطبة ، حضرة الأمير عبد الرحمن بن معاوية - [على] ما حكى الحافظ - بمدينة إشبيلية ، فرأى في موضع منها - يعرف بـ « النخيل » إلى اليوم - نخلة مفردة ، فاجتته^(١) رقة عند النظر إليها ، وقال بديهاً الأبيات المذكورة .

ومما يرُد هذا القول ويقوى نسبتها - أعنى الأبيات الأخيرة - لعبد الرحمن ابن معاوية ، ما حكى الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في تاريخه ، وقرأته على القاضي أبي الخطاب أحمد بن محمد بن واجب القيسى بمدينة بالنسية عنه قراءةً عليه محضرة قرطبة ، قال : قال أبو بكر محمد بن موسى بن فتح ، يُعرف بابن القَرَّاب^(٢) : دخلت يوماً على أبي عثمان بن القَزَّاز وهو يعلِّقُ فقلت له : رأيت الساعة في توجهي إليك القاضي والوزراء والحكام والمدول قد نهضوا بجمعهم إلى حيازة^(٣) الجنة المعروفة بـ « رَبْنَالِش »^(٤) ، وهبها هشام المظفر بن أبي عامر . قال : فقال لي ابن القَزَّاز : إن هشاماً لضعيف ، هذه الجنة المذكورة

(١) العبارة ابتداءً من « حضرة الأمير » إلى هنا وردت في الهامش بخط مختلف مع إشارة في المتن إلى موضعها حيث جعلناها . وعند كلمة « الحافظ » كتب نفس الكاتب كلمة « صح » دون أن يعين اسم الحافظ الذي كتب عنده هذا اللفظ ؛ وينبغي على ظني أن المراد هنا أبو يوسف عمر بن عبد البر .

(٢) كذا في الأصل ، وقد جعلها دوزي ، ص ٣٥ : القَرَّاب ، والصحيح ما أثبتناه .
(٣) الأصل جيازة ، وقد قرأها دوزي حيازة وفسرها بالحنق أو الفصيل (une digue) اعتماداً على ما ذكره فييسر زُ Weijers في شروحه على القطع التي نشرها من كلام ابن خاقان بعنوان *Locis Ibn Khacanis* ص ٢٣ وتعليق رقم ٦٦ ص ٨٣ .

(٤) الأصل : رَبْنَالِش ، وقرأها دوزي رَبْنَالِش والصحيح رَبْنَالِش وهي Rabanales ، ولا زال هذا الاسم يطلق على منطقة حدائق على خمسة كيلومترات شمال شرقي قرطبة .

cf : LÉVI PROVENÇAL, *L'Espagne musulmane au X^e siècle*, (Paris, 1932), p. 225, note 3.

وقد روى نفس الخبر ابن بشكوال في الصلة في ترجمة سعيد بن عثمان بن أبي سعيد بن محمد ابن سعيد بن عبد الله بن يوسف البربري اللغوي الذي يعرف بابن القَزَّاز المذكور هنا (رقم ٤٦٢ ص ٢٠٦-٢٠٧) .

هي أول أصل اتخذها عبد الرحمن بن معاوية ؛ وكان فيها نخلة أدركتها بسني ، ومنها توالت كل نخلة بالأندلس . قال : وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن معاوية ، وقد تنزه إليها ، فرأى تلك النخلة فحنَّ : « يا نخل أنت غريبة مثلي » ، وذكر الأبيات إلى آخرها .

وحكى أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الحداثق » المؤلف للحكم المستنصر بالله من أشعار الأندلسيين ، قال : بانفى أن بعض الوفود من قريش كتب إلى الإمام عبد الرحمن بن معاوية — رحمه الله — يستعظم حقه عليه بالرحم ويستقل حظه منه بالمستطعم^(١) ، فوقَّع في ظهر كتابه :

[١٢ - ١] / شتان^(٢) من قام ذا امتعاضٍ مُنتَضِي الشفرتين نَصَلًا
فجَاب قفراً ، وشق بجرأ مُسَامِيَا لجةً ومَحَلًا
فشاد مجدأ وبز مُلْكَا^(٣) ومنبرأ للخطاب فصلا^(٤)
وجنَّد الجنْدَ حين أودى ومصرَ المِصرَ حين أخلى^(٥)
ثم دعا أهله جميعاً^(٦) حيث اتأوا ، أن : هلم أهلاً^(٧)

(١) كذا في الأصل . وقد قرأها دوزي (ص ٣٥) بالمستطيع ، وهي قراءة أركب^١ بما في الأصل . وفي نفس المناسبة يقول ابن عذارى : « ومن شعره البديع الرائق ، ما كتب به إلى بعض من طرأ عليه من قريش ، وكان قد استقل جرايته (في نسخة : جزايتيه) واستطال بقرابته ، وسأله الزيادة له والتوسعة ، فكتب إليه بهذه الأبيات . . . » . البيان المغرب ، ٥٩/٢ .
(٢) قرأها دوزي هنا : سيان (ص ٣٥) وكذلك قرأ ليئي پروفنسال وكولان . انظر البيان المغرب ، ٥٩/٢ .

(٣) ورد هذا الشطر في صور شتى . في نفتح الطيب : دبر ملكا وشاد عزا .

وعند ابن عذارى (٥٩/٢) : فبز ملكا وشاد عزا .

وفي مخطوطة أخرى من البيان : فشاد ملكا وشاد عزا .

(٤) عند ابن عذارى (٥٩/٢) : وناثرا للخطاب فصلا .

(٥) عند ابن عذارى (٥٩/٢) : وأجلا .

(٦) في نفتح الطيب : ثم دعا أهله إليه .

(٧) الأصل : انتأوا ، وكذلك عند ابن عذارى .

فجاء^(١) هذا طريد جوع شريد سيف أباد قتلا
فقال أمنا ، ونال شبعاً وحاز مالاً ، وضم شملاً
لم يكن حقاً ذا على ذا أعظم من منعم ومولى ؟
وبعض هذا الشعر عن ابن حبان ، وأوله عنده :

شتان من قام ذا امتعاضٍ فشال ما قل^(٢) واضمحلاً
ومن غدا مضلتاً لعزمٍ مجرداً للعِداة نصلاً
فجاء قفراً ... البيت .

وبعده :

* فبز ملكاً وشاد عزاً *

إلا أن ابن حبان ذكر عن معاوية بن هشام الشيبانسي^(٣) ، أن جلساء
عبد الرحمن القادمين عليه من فل^(٤) أهل بالشام ، حدثوه يوماً ما كان من

(١) الأصل : فجاد .

(٢) الأصل : قال ، وقد صوبه دوزي كما أثبتناه في المتن ، وهو أصح .

(٣) هو معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
القرشي المرواني ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الرحمن ويعرف بابن الشيبانسيّة ، من جلة
الفقهاء والعلماء على أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ، توفي سنة ٢٩٨ / ٩١٠ - ٩١١ (ابن
الأبار ، التكلة ، رقم ١٠٧٧ ص ٣٧٩) . ويعرف أيضاً بالشيبانسي ، وهي نسبة حملها نفر
من سلالة هشام الرضا ثاني أمراء بني أمية في الأندلس ، أول من نعرفه منهم معاوية هذا ثم ابن
أخيه معاوية بن هشام بن محمد بن هشام ، وهو مؤرخ ومؤلف معروف ينسب إليه كتاب
في تاريخ دولة بني مروان في الأندلس وكتاب في نسب العلوية وغيرهم من قریش سباه بـ «التاج
السنى في نسب آل على» (انظر التكلة لابن الأبار ، رقم ١٠٧٨) . وقد ذكر ابن حزم
في « الطوق » من أبناء هذا البيت أبا محمد قاسم بن محمد القرشي المعروف بالشيبانسي . وقد ذهب
سانثيث البورنووث إلى أن الشيبانسي معرب عن sapientia أي العلم ، ولكن الغالب أنه نسبة إلى
موضع يسمى شيبانيس ، وواضح أن الربط بين الشيبانسي والشبانسية ولفظ ساپینتیا مفتعل .
(٤) الأصل : جل ، وقد قرأها دوزي : من جواله أهله (ص ٣٦) .

الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ابن عمه أيام محنتهم ، وكلامه للعباس الساطي بهم — ونسب ذلك إلى عبد الله بن علي ؛ وفي « الأوراق » للصولي أن السفاح عبد الله بن محمد بن علي تولى قتل الغمر ، وقد نخر في مجلسه بمناقب قومه — وكثر القوم في وصف ذلك وعجبوا به ، فكان الأمير عبد الرحمن احتقر ذلك في جنب ما كان منه هو في الذهب بنفسه لاقتطاع قطعة من مملكة الإسلام عن عدوه ، وقام من مجلسه فصاغ هذه الأبيات بديهة .

قال ابن الفرج^(١) : وأناه في بعض غزواته آت بمن كان يعرف كلفه بالصيد ، فأخبره عن غرائيق واقعة^(٢) في جانب من مضطرب السكر وحر الكه إلى اصطيارها ، فقال :

دغنى وصيد وقَّع الغرائق / فإن هتمى في اصطيار المارق [١٢ - ب]
في نفقٍ إن كان أو في حالقٍ / إذا التظت لوافح الضوائق
كان لِفَاعِي^(٣) ظلَّ بندٍ خافقٍ / غنيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاققٍ

(١) المراد ابن فرج الجياني صاحب « كتاب الخدائق » وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني من أهل جيان ونزيل قرطبة ، وكان من شعراء عصر الحكم المستنصر ، وكان أخواه سعيد وعبد الله أيضاً شاعرين . ولا نعرف عن حياته إلا ما ذكره ابن خاقان في المطمح (القاهرة ١٣٢٥) ص ٨٦ من أنه كان عنيف الخلق شديد الزهو بنفسه خليعاً ، وقد قربه الحكم المستنصر ثم بدرت منه بادرة دفعت الحكم إلى إيداعه السجن فظل فيه إلى أن مات . وقد ألف ابن فرج الجياني كتابه معارضاً لكتاب الزهرة لمحمد بن داوود الأصفهاني وإظهاراً لفضل أهل الأندلس على المشاركة .

انظر : الضبى ، بغية ، رقم ٣٣١ . المقرئ ، نفح الطيب (طبعة دوزى وكريل ورايت . ودوجا) ٢٩٦/٢ و ٤٥٢ .

cf : ELIAS TERÉS, *Ibn Faray de Jaén y su Kitāb al-Hadā'iq*. Al-Andalus, vol. XI (1946) fasc. 1, pp. 131 - 157.

(٢) قرأ دوزى : واقفة .
(٣) اللفاع والمِلْفعة ما تُلْفَع به من رداء أو لحاف أو قناع ، قال الأزهرى : يجلل به الجسد كله كساءً كان أو غيره (اللسان : ١٩٦/١٠) .

بالقفرِ والإيطانِ بالسرادقِ قفل لمن نام على النمارق :
إن العلاء شُدَّتْ بهم طارقِ فاركبُ إليها تَبَجِ المضائقِ
أولاً ، فانت أزدل الخلائقِ

٩ - ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

وَلِيَ الخِلافةَ بالأندلس بعد أبيه يوم الأحد غرة جمادى الأولى من سنة
إحدى وسبعين ومائة . وكانت وفاة أبيه وهو بماردة يوم الثلاثاء لست بقين
من ربيع الآخر ، وبقرطبة وُلد له هشام هذا لأربع خلون من شوال سنة
تسع وثلاثين ومائة ؛ ويعرف بـ « الرضا » لمدله وفضله ، ويكنى « أبا الوليد » .
واستوزره أبوه عبدُ الرحمن وأخاه كبيره سليمان المولود بالشام تنويهاً بحالهما ،
وأخذهما بالركوب إلى القصر ومشاهدة مجالس مشورته . وكانا يركبان متداولين
ومتناولين لا يجتمعان : فإذا كان يوم هشام ، تاهب حاضرو المجلس من كبار
أهل المملكة . [...]^(١) والإفاضة في الحديث إلى إنشاد شعر أو ضرب
مثلٍ أو ذكر يوم من أيام العرب أو ذكر حرب أو اجتلاب حيلة أو حكاية
تديبر أو إحماد سيرة ؛ وإذا كان يوم سليمان خلا من ذلك كله ، وانبسط الحاضرون
في غث الأحاديث وأخذوا في الدعابة .

ويروى أن رجلاً يعرف بالهوّاري دخل على هشام في حياة أبيه عبد الرحمن
ابن معاوية - وهو مرشح للخلافة - فقال له إن فلاناً مات عن ضيعة تعود
يكذا وكذا من الغلة ، وأنها تباع في دين أو عن وصية ، وهي ناعمة مشمرة وطيبة
الأرض مخصبة ، وحضه على اشتراكها . فقال له : « أنا أريد أمراً إن بلغته

(١) أسقط الناسخ هنا شيئاً ولم يترك بياضاً .

غَنِيَتْ عَنْهَا ، وَإِنْ قُطِعَ بِي دُونَهُ خَسِرْتُهَا ؛ وَلَا صِطْفَاعَ رَجُلٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ
اِكْتِسَابِ ضَيْعَةٍ . فَقَالَ لَهُ الْهُوَارِيُّ : / فَاصْطِنِعِي بِهَا تَجْدُ أَكْرَمَ مِصْطَنَعٍ . [١٣ - ١]
فَأَمَرَ بِابْتِيَاعِهَا^(١) ، فَأَشَارَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ إِلَى أَنْ الِاسْتِعْدَادَ بِالْمَالِ أَعُونَ عَلَيَّ دَرَكِ
الْأَمَالِ ، فَأَطْرَقَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ :

الْبِذْلُ - لَا الْجَمْعُ - فَطَرَةُ الْكَرَمِ - فَلَا تُرِدُ بِي مَا لَمْ تُرِدْ شَيْئِي
مَا أَنَا مِنْ ضَيْعَةٍ وَإِنْ نَعِمْتُ ؟ حَسْبِيَ اصْطِنَاعُ الْأَحْرَارِ بِالنَّعَمِ -
مُلْكُ الْوَرِيِّ ، وَالْعِبَادِ قَاطِبَةً - لَا مِلْكَ بَعْضِ الضِّيَاعِ - مِنْ هِمِّي^(٢)
تَقْيِضُ كَفِّي فِي السَّلْمِ بِحَرِّ نَدْيِي وَفِي سِجَالِ الْحُرُوبِ بِحَرِّ دَمِ -
تَزَلُّ عَنْ رَاحَتِي الْبَدُورُ ، وَمَا تَمْسُكُ غَيْرَ الْحَسَامِ وَالْقَلَمِ
لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ - مَعَ نَشْدَانِ ضَالَّةٍ كَلَامِهِ - غَيْرَ هَذَا
الْمُنْشَدِ . وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا فَكُنِي دَلِيلًا عَلَى سَرَفِ الْحِبَاءِ وَشَرَفِ الْحَوْبَاءِ ، حَتَّى
كَأَنَّ أَعْشَى هَمْدَانَ سَمِعَ بِطَوْلِهِ فَاعْتَمَدَهُ بِقَوْلِهِ :

رَأَيْتُكَ أَمْسٍ خَيْرَ بَنِي لَوْيَ وَأَنْتِ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسٍ
وَأَنْتِ غَدًا تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفًا كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَبْدِ شَمْسٍ

١٠ - ابْنُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ الْمَعْرُوفِ بِالرَّبِضِيِّ ، أَبُو الْعَاصِي

وَلِيَ بَعْدَ أَبِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .
وَكَانَ شَجَاعًا بَاسِلًا ، أَدِيبًا مَفْتَنًا ، خَطِيبًا مَفُوهًا ، وَشَاعِرًا مَجُودًا ، تُحْذَرُ
صَوْلَاتُهُ ، وَتُسْتَنْدَرُ أَيْبَاتُهُ .

(١) السِّيَاقُ يَقْتَضِي هُنَا أَنْ تَقْرَأَ : بِابْتِيَاعِهَا لَهُ .

(٢) الْأَصْلُ : هَمِي .

وهو الذي أوقع بأهل « الرِّبْضِ » فنُسب إليه ، وأمر بهدمه وتعطيله ، وصير ذلك وصيةً فيمن خلفه وعهداً على بنيهِ ما كان لهم سلطان بالأندلس . فلم يُعمر ولا اختُطَّت فيه دار إلى آخر دولتهم ، ثم بعدها إلى أن ملك الروم قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وأقام على ذلك نحواً من أربعائة سنة وثلاثين سنة ؛ ولا أعلمه إلا كذلك إلى اليوم .

وكانت وقعة الرِّبْضِ الشنماء يوم الأربعاء النجسة لثلاث عشرة خلت من [١٢-ب] شهر رمضان سنة اثنتين ومائتين في آخر / خلافة الحكم ، ويوم الخميس بعده أمر بهدم الرِّبْضِ القبلي الذي منه نشأت الفتنة ، فأعيد بطحاء مزرعة ، بعد أن قتل من أهله مقتلة عظيمة وأسر خلقاً جماً ، صلب منهم نحو ثلاثمائة صُفِّوا من إزاء « باب القنطرة » إلى آخر « المصارة »^(١) مع ضفة النهر ، لم يرَ فيما سلف ممثّلون أكثر منهم عدداً ولا أهول منظراً . وتمادى القتل والنهب لمنازلهم والتتبع لهمستخفيهم ثلاثة أيام ، لم تُقلَّ لمن عُثِر عليه منهم عشرة ، وجرّت عليهم خلافاً محن لا تضبطها الصفة . وكفَّ الحكم عن الحرم ووصى بهن فأجمل في ذلك ما شاء .

(١) باب القنطرة ، باب من أبواب سور قرطبة ، وكان قريباً من القنطرة - والمراد قنطرة الوادي ، أي الوادي الكبير - وهي القنطرة التي كانت تصل قرطبة بربضها الواقع على الضفة الأخرى من النهر ، وهو ربض شقنذة ، معرب من اللاتيني Secunda . وكان هذا الربض مسكن العمال وأهل الأسواق ، وفي هذا الربض قامت الثورة على الحكم بن هشام ، وانجملت عن هزيمة الثائرين وطرد أهله من الأندلس ، وهدم بيوته وتحويل جزء منه إلى مدافن عرفت بمقبرة الربض . ولم يعمر هذا الموضع إلا بعد أيام المسلمين ، ويقوم فيه اليوم حتى من أحياء قرطبة الحالية يعرف باسم حي الروح المقدس Barrio del Espiritu Santo ، وعلى مدخل هذا الحي ، في مواجهة القنطرة يقوم الحصن المعروف بحصن قلهرة Castillo la Calahorra وقد أنشئ بعد أيام المسلمين . أما المصارة Al-Musara فكان قبل الفتح العربي ضاحية قريبة من قرطبة إلى جنوب غربي البلد على ضفة النهر ، ثم اتصلت بها ، وأصبحت جزءاً منها ، ولكنها ظلت خارج السور .

ولما انقضت الأيام الثلاثة أمر برفع القتل وتأمين الفلّ ، على أن يخرجوا من حضرته قرطبة ، فساروا عن أوطانهم كلٌّ بحسب ما أمكنه . واستمروا ظاعنين على الصعب والذلول ، في يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر رمضان المؤرخ ، متفرقين في قصى الكور وأطراف الثغور . ولحق جمهورهم بطليطلة لخالفه أهلها الحكم ، ولجأ آخرون إلى سواحل بلاد البربر . وأضعدت منهم طائفة عظيمة — نحو الخمسة عشر ألفاً — في البحر نحو المشرق ، حتى انتهوا إلى الإسكندرية ، وذلك في أول ولاية عبد الله المأمون بن الرشيد ، فعازهم أهلها وذهبوا إلى إذلالهم ، فأبوا الضيم وثاروا بهم فغلبوهم ، وبذلوا السيف فيهم ، وقتلوا كثيراً منهم وسطّوا بهم سطوة منكرة ، وملكوا الإسكندرية مديدة . إلى أن ورد عبد الله بن طاهر أميراً على مصر من قبل المأمون ، فصالحهم على التخلي عنها على مالٍ بذله لهم ، وخيّرهم في النزول بحيث شاءوا من جزائر البحر ، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي . وكانت يومئذ خالية من الروم ، فاحتلوا إليها بقتلتهم ، ونزلوها فاعتمروها ، وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم .

وحكى ابن حبان ، عن أبي بكر بن القوطية وغيره ، أن الحكم غرّب في بأساء حربه هذه — عندما حمى وطيّسها وأعضل^(١) خطبها — بناديرة من نوادر الصبر والتوطين على الموت ما سُمع لأحدٍ من الملوك مثلاً : وذلك أنه في مقامه بالسطح^(٢) ، وعند بصره باشتداد الحرب وجثوم الكرب وسماعه قعقة السلاح وانتهاء الأبطال ، دعا بقارورةٍ غالية لتدنى منه ، فتوانى بها عنه

(١) الأصل : أعطل ، ولم أجد له معنى هنا فعدلته على ما أثبت في المتن .

(٢) يريد سطح القصر ، وكان يرقب منه جواهر أهل الربض التي أقبلت تهاجه . وسطح

القصر كثير الورد في أخبار المروانيين الأندلسيين .

[١٤ - ١] خادمه المسمى « يَزَنْت »^(١) ، ظناً منه / أنه لهج في منطقته ، فصاح به وزجره ،
 — وفي رواية أخرى : فكانَّ الخادمَ شَكَّ في طلبته واتهم سمعه ، فتوقف عن
 المضي لأمره ، فصاح به الحكم : انطلق يا ابن اللخناء فَعَجَّلْ - فجاءه بالقارورة
 فأفرغها على رأسه ولحيته ، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له : « وأية ساعة طيب
 هذه يا مولاي فستعمله ، وقد ترى ما نحن فيه ؟ » فقال له : « اسكت لا أم لك !
 من أين يعرف قاتلُ الحكم رأسه من رأس غيره إذا هو حزه ، إن لم يفرق
 الطيب بينهما ؟ » . ثم استلأم للحرب ، وأمر بتفريق السلاح والخيل على أجناده ،
 وأنهضهم لقتال من جاش به ، بعد أن كتبهم كتائب قوود عليها كباراً من
 قواده وأهل بيته ، فانهزمت العامة بعد قتال شديد ، ولم تكن لأحد منهم
 كرامة ؛ وكانوا كالدبا^(٢) كثرة .

قال : ولم ينل الحكم بعد وقعة الربض حلاوة العيش ، وامتنحن بعلة
 صعبة طاولته أربعة أعوام ، فلت غرَّبه وأطالت ضنانه ، واحتجب فيها آخر مدته
 واستناب ولده عبد الرحمن في تدبير ملكه ، فمات على توبة من ذنوبه وندم على

(١) كذا ورد الاسم في الأصل ، وورد في الأخبار المجموعة « بزنت » بالباء . وقد
 ذهب دوزي إلى أن يَزَنْتُ أو يَزَنْتُ هو الصورة العربية لاسم أبييرى روماني : Jacinto ،
 ولا زال هذا الاسم مستعملاً في إسبانيا إلى اليوم ، وهو مأخوذ من اللفظ اليوناني Hyacinthe
 ومعناه « ياقوت » . أما ريبيرا Julián Ribera فقد قرأه بالباء وكتبه في الترجمة الإسبانية
 للأخبار المجموعة Vicent وهي الصورة القطلونية للاسم المعروف Vincent . والقراءتان
 مقبولتان .

cf : DOZY, *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides*. Nouvelle édition revue et mise à jour par E. Lévi-Provençal, Leyde, 1932 vol. I, p. 298 et note.

الحشفي ، تاريخ قضاة قرطبة ، بتحقيق خليان ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ . مقدمة الترجمة
 الإسبانية ص ٢١ .

(٢) والدبا صغار الجراد أو النمل .

ما اقترف منها بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة
سنة ست ومائتين^(١) .

ومن شعره في ذلك يعذر نفسه بالدفاع عن ملكه والحماية لسلطانه ، وهو من
أحسن شعر قيل في معناه :

رَأَيْتُ ^(٢) صَدْوَعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعًا ^(٣)	وَقَدِمًا لِأُمَّتِ الشَّعْبِ مَذُ كُنْتُ يَافِعًا
فَسَأَلْتُ ثَغُورِي : هَلْ بِهَا الْيَوْمَ تُغْرَةُ	أَبَادِرُهَا مُسَدَّنُضِي السَّيْفِ ^(٤) دَارِعًا
وَشَافِيهِ عَلِي ^(٥) الْأَرْضِ الْفَضَاءَ جَمَاجِمًا	كَأَخْفَابِ شِرْيَانِ الْهَيْبِ لَوَامِعًا
تُنْبِئُكَ أَنِي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ	بِوَانٍ ، وَقَدِمًا ^(٦) كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعًا
وَإِنِّي إِذَا حَادُوا حَذَارًا ^(٧) عَنِ الرَّدِي	فَلَسْتُ أَخَا حَيْدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَازِعًا
حَمَيْتُ ذِمَارِي فَاتَهَكْتُ ذِمَارَهُمْ	وَمَنْ لَا يُحَامِي ظِلَّ خَزْيَانَ ضَارِعًا

(١) كانت ثورة الربض - أو هيج الربض ، كما تسمى في النصوص - بعيدة الأثر
في سلوك الحكم الربضي بصفة خاصة وسياسة خلفائه من بني لحيمة الأندلسيين حيال أهل قرطبة.
وشعب الأندلس بصفة عامة . فأما الحكم فقد اتعظ بما وقع خلالها فلم يعد إلى الاستبداد والعسف
والاستخفاف بالناس ، كما كان يفعل قبلها ، لأنه عرف أن سلوكه الأول واستخفافه بالدماء
هما سبب هذه الفتنة الكبيرة ، ثم إن إسرافه في القتل وإجلاء أهل الربض عن دورهم ثم هدمه
وتحويله إلى أرض زرع ، كل ذلك كان بعيد الأثر في نفسه ، فالإتي للتكفير عما اقترف .
وقد ظل على ذلك حتى توفي في ٢٥ ذى الحجة سنة ٢٠٦ / ٢١ مايو ٨٢٢ . وأما بالنسبة لسياسة
خلفائه فقد تعلموا احترام الناس وحقوقهم وسلوكوا حيالهم سياسة لين وفهم واحترام ، فلم يقع
مثل هيج الربض بعد ذلك .

(٢) قرأها دوزي : رأيت .

(٣) في النسخ : راقعاً .

(٤) في النسخ : العزم .

(٥) في الأصل : مع .

(٦) في النسخ : وإن .

(٧) في النسخ : جزاعاً .

ولمّا تساقينا سِجالَ حُرُوبنا سَقَيْتُهُمْ سَجَلًا^(١) من الموتِ ناقعا
 وهل زِدْتُ أن وفيتُهُمْ صاعَ قَرَضِهِمْ فلاقوا^(٢) منايا قُدِّرْتُ ومصارعا
 [١٤-ب] / فهناك بلادي^(٣) إتي قد تركتها مهاداً ، ولم أترك عليها منازعا

قال عثمان بن المثني النحوي^(٤) المؤدب : قدم بعد الوقعة علينا عباس بن
 ناصح^(٥) قُرْطَبَةَ أيامَ الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، فاستنشدني شعرَ الأمير
 الحكم في الهيج فأنشدته إياه ، فلما بلغت إلى قوله :

وهل زدتُ أن وفيتهم صاع قرضهم فلاقوا منايا قُدِّرْتُ ومصارعا
 قال عباس : « لو أن الحكم يَخْشَى^(٦) للخصومة بينه وبين أهل الربض
 لقام بمذره فيهم هذا البيت » . وفي رواية^(٧) : إذا كانت الخصومة بينه وبين
 أهل الربض أجبرته^(٨) ، فإن هذا البيت ليُحاجِّجُ عنه يوم القيامة .

(١) النفع : سما . والسَّجَلُ الدلو الضخمة المملوءة ماء (اللسان : ٣٤٦/١٣) .

(٢) النفع : قواقوا .

(٣) الأصل : سلاحي ، والتصويب من النفع .

(٤) عثمان بن المثني من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الملك ، من أهل الأدب والنحو . رحل
 إلى المشرق « فلقى جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعاني ، منهم محمد بن زياد الأعرابي ،
 أخذ عنه وعن غيره ، وقرأ على حبيب بن أوس (الطائي ، وهو أبو تمام) وأدخله الأندلس -
 رواية عنه ، وأدب أولاد الإمام عبد الرحمن بن الحكم وأولاد محمد . وعمر إلى أن بلغ ٩٩ سنة ،
 وتوفي رحمه الله سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٧ م) ابن الفرضي ، علماء ، رقم ٨٨٩ ص ٢٤٩ .

(٥) عباس بن ناصح الثقفي الجزيري نسبة إلى الجزيرة الخضراء ، إذ أن الحكم الربضي
 ولاء قضاءها . كان شاعراً نحويّاً مؤدباً ترجم له ابن الفرضي (رقم ٨٧٩ ج ١ ص ٢٤٥) وقال
 إنه رحل إلى الأندلس ولقى أبا نواس وسمع منه شعره . وترجم له ابن سعيد في المغرب (بتحقيق
 الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة بدون تاريخ) ١ / ٣٢٤ . وانظر عنه : الدكتور إحسان عباس ،
 تاريخ الأدب الأندلسي (بيروت ١٩٦٠) ص ٣٦-٣٧ .

(٦) الأصل : بجي ، وقد قرأها دوزي : يخشى .

(٧) في الهامش على اليمين مقابل هذا السطر - للخصومة في الربض .

(٨) الأصل : جبرته ، ويمكن قراءته أيضاً : أجبرته .

وله أيضا في ذلك :

غِنَاهُ صَلِيلِ الْبَيْضِ أَشْهَى إِلَى الْأُذُنِ
 إِذَا اخْتَلَفَتْ زُرْقُ الْأُسْنَةِ وَالْقَنَا
 بِهَا يَهْتَدِي السَّارَى وَتَنكشِفُ الدَّجَى
 شَقَقْتُ غَمَارَ الْمَوْتِ تُخْطِي مُهْجَتِي
 إِذَا لَفَحَتْ زَيْجُ الظَّهَائِرِ لَمْ يَكُنْ
 وَإِنْ لَمْ يَجِدْ حَصْنًا سِوَى الْفَرِّ مُقَدِّمٌ
 قَذَفْتُ بِهِمْ [مِنْ] فَوْقَ سَهْمَاءَ فَانْتَرَوْتُ
 فَسَارَ يَرْوِي كُلَّ صَدْيَانَ حَائِمٍ
 وَإِنْ عَنَّ لِلتِّيَارِ مِنْ سَيْلَانِهِ
 هَنَاتُ بِهِ حَرْبًا تَقشَعُ بَحْرُهَا

وله في النسب :

ظَلَّ مِنْ فَرَطٍ حَبِيهٍ مَمْلُوكًا
 إِنْ بَكَى ، أَوْ شَكَا الْهَوَى ، زَيْدٌ ظَلَمًا
 تَرَكَتُهُ جَاذِرُ الْقَصْرِ صَبًّا
 / يَجْمَلُ الْجَدَّ وَاضِعًا^(٣) فَوْقَ تَرْبٍ
 هَكَذَا يَحْسِنُ التَّذَلُّلَ فِي الْحَدِّ
 وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِيكًا
 وَبِعَادًا يُدْنِي حِمَامًا وَشِيكًا
 مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكًا
 لِذِي يَجْمَلُ الْحَرِيرَ أَرِيكًا [١٥-١٠]
 بِ^(٤) إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكًا

(١) لعلها الدُّرُنُ (بفتحين) بمعنى العبت واللهم . وقد سنَّ الراء للوزن .

(٢) المزنة العزال هي السحابة التي تنهمر بالماء (اللسان : ١٣ / ٤٦٩) جمع عزلاة ، وهي فم المزاة أو القرية .

(٣) وردت هذه الأبيات في البيان المغرب لابن عذارى (٨٠/٢) وقد ورد هذا

اللفظ هناك : مائلا .

(٤) في البيان المغرب : للحر .

وله في خمسِ جوارٍ من حظاياها ، كُنَّ مصطحبات فتفاضن عليه وقتاً
في طريق الغيرة وهجرته :

قُضِبَ من البان ماست فوق كُثبانٍ ولَّين^(١) عني وقد أزمعن هيجراني
ناشدتهن بجحِّي فاعتزمن علي الـ مصيان^(٢) ، حتى حلامهن عصياني^(٣)
مَلَكَنِي مِلْكًا مَن^(٤) ذَلَّتْ عِزَامُهُ للعب ذلَّ أسيرٍ مُوثقٍ عات
من لي بِمُختصبات الروح من بدني يَفْصِلُنِي في الهوى عزي وسلطاني !

١١ - إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٥)

ابن علي بن أبي طالب

وُلد لعبد الله بن حسن . وكان شيخَ بني هاشم في وقته إدريسُ الأكبر
وأمه هِنْدُ بنت أبي عبيدة المُطَلِّبية ، وإدريس الأصغر هذا أمه^(٦) عاتكة بنت
عبد الملك بن الحارث المخزومية ، وأخواه منها : عيسى وسليمان ؛ حكى ذلك
أبو علي حسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل
في كتابه «المعرب عن أخبار المغرب» واختصرته منه . وذكر أن إسحاق

(١) وردت هذه الأبيات أيضاً في البيان المغرب لابن عذارى (٧٩/٢) . وقد جاء
هذا اللفظ هناك : أعرضن .

(٢) رواية البيان : الهجران .

(٣) رواية البيان : حتى خلا منهن هيجاني .

(٤) في الأصل : مِلْكًا ، والتصويب من البيان المغرب .

(٥) الأصل : إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وهو خطأ ،
وتقد صوبناه كما في المتن .

(٦) في الأصل : وأمه .

ابن عيسى كان على المدينة ، فلما مات المهدي وولى موسى الهادي شَخَصَ وافداً عليه ، واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب^(١) ، فخرج عليه بها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن العلوي ، واستخفى العُمري حتى خرج الحسين إلى مكة في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائة .

وكان قد حج في تلك السنة رجال من بني العباس ، منهم محمد بن سليمان ابن علي ، والعباس بن محمد ، وموسى بن عيسى ، وعلّي الموصم سليمان بن أبي جعفر ؛ فكتب الهادي إلى محمد بن سليمان يوتيه الحرب ، فالتقوا بِنَجْحٍ ، وخلَّهوا عبيد الله ابن قُثم بمسكة للقيام بأمرها . وكانت الواقعة يوم السبت ، يوم التَّروية ، فقتل الحسينُ القائمُ وسليمان بن عبد الله ؛ وانهزم الناس فنودي فيهم بالأمان ولم يتبع هاربٌ ، وحُزَّت الرووس فكانت مائة ونيفاً .

وكان فيمن هرب يحيى وإدريس / ابنا عبد الله بن حسن ؛ فأما إدريس [١٥ - ب] فلحق بالمغرب ولجأ إلى أهله فأعظموه ، ولم يزل عندهم إلى أن احتيل عليه ؛ وخلف ابنه إدريس بن إدريس ، فلكوا^(٢) تلك الناحية وانقطعت عنهم البعوث . وأما يحيى فصار إلى جبل الديلم فأقام عند صاحبه ، إلى أن شخص إليه الفضل بن يحيى بن خالد في أيام الرشيد ، فأمنه وحمله إليه .

وقد قيل إن إدريس هرب إلى المغرب في أيام أبي جعفر المنصور ، عند قتل أخويه محمد وإبراهيم القائمين عليه بالمدينة وبالبصرة ، وأن أبا جعفر بعث إليه من سمّه ؛ والصحيح أن ذلك كان في خلافة الهادي بالعراق ، وبعد عشرة أشهر وأيام منها ، وفي آخر خلافة عبد الرحمن بن معاوية بالأندلس ، وقبل وفاته بعامين وأشهر ، وأن إدريس وقع إلى مصر وجلى بريدتها واضحّ مولى صالح بن المنصور

(١) واضح أن المراد هنا غير عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة . انظر عن نسب هذا المذكور في المتن « جهرة أنساب العرب » ص ١٤٣ .

(٢) كذا في الأصل ، والمراد إدريس بن إدريس وآله .

— وكان رافضياً — فحمله على البريد إلى أرض المغرب حتى انتهى إلى مدينة « وَايِلِي »^(١) من أرض طَنْجَة ، فاستجاب له من مها وبأعراضها من البربر ، فلما ولي الرشيد علم بذلك فضرب عنق واضح وصلبه ، ودس إلى إدريس من أنس به واطمأن إليه ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية فاحتال حتى سمّه .

واختلف فيمن سم إدريس وما سم فيه . فقيل : الشّماخ المشامسي^(٢) مولى المهدي سمّه في سنون^(٣) سقطت منه أسنانه لما استعمله ومات من وقته ، وسيأتي خبره بعد إن شاء الله . وقيل : بل سليمان بن جرير الرّقي كان سبب سمّه ، وكان إدريس به واثقاً فأتى من قبّله ، وهرب مع الرسل الذين أتوا في ذلك ، وطلب ففات .

ويقال : إن سليمان هذا — وكان يقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين — ناظر إدريس يوماً في شيء فخالفه ، ثم دخل الحمام ، فلما خرج بعث إليه سليمان بسمكة مشوية أنكر نفسه عند أكله منها ، فشكا بطنه وقال : « أدركوا

(١) وَايِلِي ، وتنطق أحياناً وَايِلِي - والأولى أصح - مدينة أثرية في المغرب تسمى عند العامة قصر فرعون ، وتقع على ٣ كيلومترات شمال شرقي بلدة مولاي إدريس التي تضم ضريح إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة ، وهذه الأخيرة على نحو ٢٠ كيلومتراً غربي فاس ، وهي من تأسيس المغاربة القدامى الذين يسمون بالمسّرطانيين ، جعل منها الرومان مدينة زاهرة خصوصاً في عهد الإمبراطورية . اكتشفت آثارها سنة ١٨٧٣ وابتدأت عمليات الحفر بها سنة ١٩١٥ ولا تزال متواصلة إلى اليوم .

انظر : أحمد الكناسي : خريطة المغرب الأركيولوجية للمواقع الأثرية لما قبل التاريخ إلى ظهور الإسلام (تطوان ١٩٦١) ص ٢٤ .

والبكري : صفة إفريقية والمغرب ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٢) كذا في الأصل ، وقرأها ماركوس مولر : الشّماخي ، ص ١٩٨ . وجاء في البيان

المغرب لابن عذارى : الشّماخ مولى الهادي . . « وذكر أنه متطيب من شيعتهم العلوية » (١ / ٨٣) .

(٣) السنون كل مسحوق كانوا يستعملونه لدواء الأسنان .

سليمان ! « فأدرك ، وقيل له : « أجب ! » فامتنع ، فُضرب على وجهه بسيف ،
وضُرب أخرى على يده فانقطعت أصبعه ، وأفلت . وقيل : سُمَّ في طيبِ
تطيب به . وولده وأهل بيته يقولون : إنما سُمَّ في بطيخة . وهم وإن اختلفوا
في الشيء الذي سُمَّ به ، فهم مجمعون على أنه مات مسموما . ومن شعره :

أليس أبونا هاشم شدد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضربِ
/ فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نتشكى ما يهول من النكبِ [١٦-١]

١٢ - ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داوود

قال أبو الحسن علي بن محمد التوفلي : توفي إدريس بن عبد الله وجارية
من جواريه حبلى اسمها كَنْزَة ، فقام « راشد » مولاه - ويقال إنه مولى أخيه
عيسى بن عبد الله ، وهو الذي خرج به حتى أقدمه المغرب - بأمر البربر .
إلى أن ولدت الجارية غلاماً فسماه باسم أبيه « إدريس » ، وقام بأمره حتى بلغ
الغلام وأدبه ؛ وكان مولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة .

وتوفي راشد سنة ست وثمانين ، فقام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن إلياس ،
وأخذ بيعة البربر له يوم الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ، وهو ابن
إحدى عشرة سنة . وأسس مدينة القرويين^(١) سنة ثلاث وتسعين ، وخرج إلى

(١) يريد فاس القرويين ، أي فاس الأولى التي أنشأها القيروانيون ، وهي منسوبة
إليهم . وسينشئ مهاجرة الأندلس الذين خرجوا منها بعد هيج الربض صاحبة لفاس هذه تعرف
باسم فاس الأندلسيين ، وتسمى كل منهما عدوة فيقال عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ،
ومنها معاً تتكون فاس . انظر بيان ذلك في « البيان المغرب » لابن عذاري (٢/٢١١) .

نَفِيس^(١) في المحرم سنة سبع وتسعين ، ثم غزا نفزة وتلسان وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة : سُمِّ في حبة عنب فلم يزل مفتوح النغم سائل اللعاب حتى مات .

وعن غير النوفلي أن زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هو الذي احتال عليه حتى اغتاله .

وعامة من في المغرب من الحسنيين من ولد إدريس هذا ، ومنهم بنو حمود الخلفاء في قرطبة بعد الأربعمائة .

وذكر أبو بكر الرازي^(٢) أن إدريس بن عبد الله دخل المغرب سنة اثنتين

(١) نَفِيس ، هكذا ورد الاسم مضبوطاً في الأصل ، ولكن الأغلب نَفِيس . ذكرها البكري (ص ١٦٠) وقال إنها قرب أنعمات وقال إنها تعرف بالبلد النفيس وأنها بلد كثير الأنهار والثمار ، « ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظراً » ، وقال إنها بلدة عامرة أهلة بينها وبين البحر مسيرة يوم ، أي حوالي ٤٠ كيلومتراً . وهو تقدير غير دقيق ، لأن وادي نفيس واد صغير معروف يصب في بحيرة جنوب مراكش . ومكانها اليوم قرية صغيرة تعرف بالمدينة بين تانزلت ودركاله .

(٢) المراد أبو بكر أحمد بن محمد الرازي المؤرخ ، وهو أبو أحمد بن محمد الرازي المؤرخ والد عيسى بن أحمد الرازي مؤرخا الأندلس المعروفين .

وهذه العبارة ذات أهمية تاريخية كبرى ، فهي تقرر بوضوح أن الذي اختط فاس كان إدريس بن عبد الله أي إدريس الأول ، لا ابنه إدريس الثاني كما كان يظن اعتماداً على كلام ابن أبي زرع مؤرخ فاس في كتابه المعروف « روض القرطاس » . وقد ناقش الموضوع مناقشة شاملة ليثي پروفنسال في بحثه القيم عن « اختطاط فاس » واعتمد على عبارة الرازي هذه وعبارات أخرى لابن القاضي في « جنوة الاقتباس » والجزناني في « زهرة الآس » . وأثبت بالفعل أن اختطاط فاس كان على يد إدريس الأول في رمضان ١٧٢ فبراير / ٧٨٩ . انظر :

E. LÉVI-PROVENÇAL, *L'Islam d'Occident*, chapitre 1 : *La Fondation de Fès*, pp. 3-41.

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية بعنوان : « دراسات في تاريخ المغرب والأندلس » ، ترجمه الدكتور صلاح الدين حلمي وراجعه الدكتور لطفي عبد البديع ، ونشرت الترجمة في سلسلة الألف كتاب في القاهرة سنة ١٩٥٧ .

وجدير بالذكر هنا أن « روض القرطاس » - رغم ما يتمتع به من مكانة بين مراجعنا - يعتبر من أحفلها بالأخطاء ، ولا بد من الحذر الشديد في استعماله .

وسبعين في شهر رمضان هارباً بنفسه من أبي جعفر ؛ فنزل موضعاً يقال له « وِلِيلِي » بوادي الزيتون ، فاجتمعت إليه قبائل من البربر فقدموه على أنفسهم وبنوا مدينة فاس ؛ وكانت أجمة شعراء ، ولما احتفرت أساساتها ألقي في بعضها فأسٌ فسُميت بمدينة « فاس » وسكنها البربر ، فلم تطل أيامه وهلك سنة أربع وسبعين ومائة . وترك جارية حاملاً منه ، فولدت بعده ابناً سمي بإدريس ابن إدريس ، ملك بعد أبيه مدينة فاس وطالت مدته ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين^(١) . كذا قال الرازي ، وقد تقدم التنبيه على غلط القائل بدخول إدريس المغرب في خلافة أبي جعفر المنصور .

ومن شعر إدريس بن إدريس يخاطب البهلول بن عبد الواحد المدغري ،
 ذاهباً إلى مراجعة طاعته ومحذراً مكر / إبراهيم بن الأغلب ، وهو الذي كان [١٦ - ب]
 أفسده عليه حتى قاتله البهلول :

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب وما قد رمى بالكيد كل بلاد
 ومن دون ما مننتك نفسك خالياً ومناك إبراهيم خرط قتاد

وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعوهُ إلى طاعته أو الكف عن ناحيته ،
 ويذكره قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي أسفل كتابه :

أذكر إبراهيم حق محمد وعترته والحق خير مقول
 وأدعوه للأمر الذي فيه رشده وما هو لولا رأيه مجهول
 فإن آثر الدنيا فإن أمانه زلازل يوم للعقاب طويل

وله يتشوق أهل بيته :

لو مال صبري بصبر الناس كلهم لضل في روعتي أو ضل في جزعي

(١) لم تطل مدته على هذا ، فقد ولد سنة ١٧٥ هـ وتوفي سنة ٢١٣ .

وما أَرِيْعُ إلى يَأْسٍ لِيُسْلِيَنِي إلا [... ..] يَأْسٌ إلى طَمَعِ
 وكيف يَصْبِرُ مَطْوِيٌّ هَضَائِمُهُ على وساوسِ مِمٍّ غيرِ منقطعِ
 إذا الهمومُ توافَتْ بعد هجْمَتِهِ كَرَّتْ عليه بكأسِ مِرَّةِ الجُرْعِ
 بَانَ الأَحِبَّةُ واستبدلتُ بعدهمُ هَمًّا مَقِيمًا وشملاً غيرَ مجتمعِ
 كَأَنْتِي حينَ يُجْرِي الهمُّ ذَكَرَهُمُ على ضَمِيرِي مَجْبُولٍ من الفزعِ
 تَأْوِي هُمُومِي إذا حَرَّ كَتُّ ذَكَرَهُمُ إلى جِوَانِحِ جِسْمِي دَائِمِ الوَلَعِ

١٣ — عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو مروان

/وقيل أبو الوليد

[١٧ - ١]

قعيدُ جماعة آل مروان في وقته وفارسُهُم وشهابُهُم . قديم من مصر على عبد الرحمن بن معاوية في سنة أربعين ومائة ، أولَ ولايته بالأندلس ، وهو في عشرة رجال من بنيه فرسان ، فولاه إشبيلية ، وولَّى ابنه عبد الله موزُور ، وأغنى في حرب يوسف بن عبد الرحمن الفهري عند نكته وفراره من قرطبة حتى قُتل .

وقيل : كان والياً على ماردة ، وابنه على لقمت . ولما زحف أهل حصص (١) إلى عبد الرحمن بن معاوية يطلبونه بثأر أبي الصَّبَّاح اليَحْصِيّ — وكان قد طاح على يديه — أبلى عبدُ الملك هذا بلاءً حسناً ، وقتل ولده أُمِيَّةً صبراً لما انحاز إليه منهزماً : قدَّمه فضرب عنقه ، فهابه الجند وشدوا معه ومع سائر بنيهِ ، فكانت

(١) يريد أهل إشبيلية وناحيتها من العرب ، وكذلك كانت تسمى بعد أن أنزل أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي جند حصص في إشبيلية .

الدبرة على أهل حمص ومن معهم ، وفتح الله على يديه فتحاً لا كفاء له ، وأجلت الحربُ عنه جريماً فأحظاهُ عبدُ الرحمن . وقيل : بل قتل ابنه المذكور في حرب يوسف الفهري حين^(١) انهزم وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف ، ولم تقم له بعد قائمة ، فأحظاهُ عبدُ الرحمن وقدمه واستوزر بنيه عبد الله وإبراهيم وحكماً ، وزوج ابنته كَنزَةَ^(٢) من ابنه هشام ولي عهده ، فقال عبدُ الملك في ذلك من قصيدة طويلة :

فيا زمناً أودى بأهلي ومعشري	لقد صيرت في أحشائنا لاذعاً جمرًا
ويزدادُ دهرُ السوء غشاً وظلمةً	كانَّ على شمسِ الضحى دوننا سِتْرًا
إلى أن بدا من آل مروان مُقْمِرٌ	أضاء لنا من بعدِ ظلمته الدهرا
هيجانُ أصيلِ الرأي ندبٌ مهذبٌ	أقام لنا ملكاً وشد لنا أزرًا
وأثبت آمالاً وأثبت نعمةً	وجئنا فألفينا الكرامة والبرًا
أنالَ وأغنى مُنعماً متفضلاً	وأصنفي لنا مأمولَ أبنائه صهرا
فنعن حوائيه النجومُ تجمعتُ	إلى البدر حتى صرن من حوله حجراً ^(٣)

ومنها يذكر زفاف ابنته كَنزَةَ هذه :

لعمري لقد أهديتُ بيضاء حُرَّةً	إلى خير من أغلى بأثمانها المهرًا
/ لها حسبٌ يَأبَى على كُلِّ مُقْرِفٍ	ويَرْضَى لها تلك الخضارمة الزهرا [١٧-ب]؛
وآل أبي العاصي همُ نظراؤها	فأكرمُ بشمسٍ أنكحتُ قرأً بدرا

(١) الأصل : حتى .

(٢) قرأها دوزي ، ص ٤٣ : كثرة .

(٣) الحجْر هو الستر والمانع (اللسان : ٢٣٩/٥) .

١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر ابن مروان بن الحكم

كان أبوه بشر من أمراء الأموية ، فقتله أبو جعفر المنصور مع يزيد بن عمر ابن هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ آخر عمال بني أمية على العراق ، ونجا ابنه عبد الملك هذا في فلّ القوم إلى المغرب ، فقصده الأندلس ، ودخلها في صدر أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية ، مع ابن عمه جُزَيِّ بن عبد العزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز ، وسكن جواره بقرطبة ، ويعرف بالبشري . وهو القاتل في مقتل أبيه :

لست أنسى مصرعاً من والدي سيدٍ ضخمٍ وعمٍّ مفتقدٍ
غادرته الخيلُ في معتركٍ بين عمٍّ وأبٍ زاكٍ وجَدٍ
تسَهكُ^(١) الريحُ عليه بالضحي وتُعفِيهِ أعاصيرُ الأبدِ
لم يردَّ الموتَ عنه إذ سما نحوهُ كثرةُ مالٍ وعددِ
أمويٌّ حكيمٌ عرفتُ سورةَ المجدِ له علياً معدٍ
عاش في ملكٍ عزيزاً دونه حُجُبُ المُلُكِ وأبوابُ الرِّصَدِ
فاتتحتُه بالمنايا فتوى لعوافي الطيرِ مسلوبِ الجسدِ
وله :

يا معشراً شغفَ الطعامِ قلوبهم فهمُ طِلاحٌ نحو كُلِّ دُخانِ
يهدى لواءهمُ ويحملُ بَنَدَمُ في كلِّ معتركٍ أبو سَعْدانِ

(١) سهكت الريح وسهكت الدابة سهوكا جرت جرياً خفيفاً ، وقيل سهوكها استناتها

يحيى وشملا . (اللسان : ١٢/٣٣٠)

يمشي كمشي الليثِ راحِ عشيةً من غابهِ وأمامه شبّانِ
لو يعرض الخطى دونَ وليمةٍ مشروعةٍ في صدره لَطعانِ
لمضى بصادقِ نيةٍ وبصيرةٍ فيها وقلبٍ^(١) مُشيعٍ شِيحانٍ^(٢)
/ حتى يغيبَ في الثريدِ ذراعَه ويجوسها بأشاجعٍ^(٣) وبنانِ [١-١٨]
وله :

وبنفسِي مَنْ عندها اليومَ قلبي عاقٍ في حبّالها معمودُ
كلما قلتُ قد تناهيتُ عنها عادني من غرامها ما يعودُ
فقلبي من لاءجِ الحبِّ منها كلَّ يومٍ سقمٌ وحرزٌ جديدُ

١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان ، أبو سليمان

كان بالأندلس في سلطان عبد الرحمن بن معاوية ، وكانت له منه خاصةٌ
لم تكن لأحد من أهل بيته ، وولاه طليطلة وأعمالها ؛ وهو القائل يخاطبه
مغريباً بأبي الصَّبَّاحِ^(٤) عليه :

يا ابن الخلائفِ إني ناصحٌ لكم في قتل ذِي إحنٍ يرتادُ للنَّقمِ

(١) قرأها دوزي (ص ٤٤) : وقلت .

(٢) شايح الرجل جدّ في الأمر ، والشَّيْحَانُ الذي يتتَهَمَسُ عدوًّا ، أراد

السرعة (اللسان : ٤ / ٣٣٢) . والمشيع هو الشجاع .

(٣) الأشاجع هي عظام الأصابع (اللسان : ١٠ / ١٠) .

(٤) هو أبو الصَّبَّاحِ بن يحيى اليَحْضُبِيُّ من كبار اليمنيين الذين أعانوا

عبد الرحمن الداخل على الوصول إلى الإمارة . وقد ولاه عبد الرحمن على إشبيلية ، ثم عزله

لا يُفْلِتَنَّكَ فَيَأْتِنَا بِيَأْتِيَةً واشدُّ يدِيكَ به تَبْرَأُ مِنَ السَّقَمِ
جَلَّهٗ عَضْبًا مِنَ الْهِنْدِيِّ ذَا شُطْبٍ إن الصرامة فيه فعلة الكرم

ذكر ذلك ابن حبان ، وقيل إن هذا الشعر لعبد الملك بن عمر بن مروان

ابن الحكم .

وتوفي حبيب هذا في أيامه ، فشهد جنازته ومعه ستة من ولده ، فلما صلى عليه قعد وهو يُوَارَى ، فالتفت عبد الرحمن فرأى ولده هشاماً قاعداً ناحية قد [...]^(١) في قعوده ، فقال : « ما هذا يا أبا الوليد ؟ أيدفن عمك وخير أهل بيتك وأنت قاعد ؟ قم واشدد نطاق الحزن عليك ، فإن ترى في قومك مثل أبي سليمان » ، فقام .

وكان حبيب من الذين يشاورهم في رأيه وإذارته عبد الرحمن بن معاوية ويُدنى مجالسهم منه [ويضمه]^(٢) إلى خاصته من نُقباء دولته وسائر أصحابه ومواليه .

* * *

نرجع إلى ذكر الأمراء من غير الهاشمية والأموية على الترتيب كما شرطنا في صدر الكتاب :

= عنها ، فجمع أنصاره وثار عليه ، فأرسل إليه عبد الرحمن مولاه تَمَاماً ، فأقنعه بالاستسلام دون قتال ، وأتى به قرطبة مع ٤٠٠ من أنصاره دون عهد . فلما التقى بعبد الرحمن عاتبه ، فأغلظ له أبو الصباح في الجواب ، فأمر بقتله ، وقتل سنة ٧٦٦/١٤٩ .

انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٣/٢ .

(١) بياض بقدر كلمة .

(٢) بياض في الأصل .

١٦ - الحُسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ، أبو الخطار (بالراء)

وَلِيَ إمارة الأندلس في سنة خمس وعشرين ومائة ، من قِبَل حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي والى إفريقية لهشام بن عبد الملك ثم للوليد بن يزيد بن عبد الملك . وكان قد ولي بإفريقية ولايات في إمرة بشر بن صفوان / الكلبي [١٨ - ب]
أخي حنظلة ، ويقال إن أهل الأندلس الشاميين والبلديين كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والى إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند اختلافهم والياً يجتمعون عليه ، فبعث أبا الخطار هذا ، فأقبل إليهم حتى قدم عليهم ، فأطاعه أهلها واجتمعوا عليه ، ودانت له الأندلس جمعاً^(١) إلى ولاية مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية .

ولم يتقدم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبيين على البلد عن دار الإمارة قُرطُبة ، إذ كانت لا تحملهم ، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم . وتوسّع لهم في البلاد :

فأنزل في كورتي أ كُشُونِبَة و باجة جند مصر مع البلديين الأول ، وأنزل باقيهم في كورة تَدْمِير ؛

وأنزل في كورتي كَبَلَة وإشْبِيلِيَة جند حِمْص [مع البلديين] الأول أيضاً ؛

وأنزل في كورة شَدُونَة والجزيرة جند فلسطين ؛

وأنزل في كورة رِيَة جند الأردن ؛

(١) الأصل : جمعاً .

وأنزل في كورة البيرة جند دمشق ؛ وأنزل في كورة جَيَّان جند قنُسرين^(١) ؛

(١) هذه الإشارة تدل على أن الأندلس كان في ذلك الوقت المبكر مقسماً إلى كور محددة واضحة ، وقد ثبت هذا التقسيم كما هو إلى آخر أيام الخلافة ، مما يدل على أنه كان تقسيماً سليماً قائماً على أسس سليمة قديمة ، فلم يحتاج بعد إلى تعديل ، وهذا ما حدانا إلى القول في « فجر الأندلس » بأن العرب وجدوه قائماً ، فأقروه مع تعديلات طفيفة . وهذه الكور التسع هي التي عرفت بالكور المجندة ، وكلها واقعة على الوادي الكبير أو جنوبه أوفى مستواه ، وهي تكون معظم جنوب شبه الجزيرة . انظر عن حدودها « صفة الأندلس » للرازي التي لم تبق لنا إلا في ترجمتها البرتغالية والإسبانية ، وقد ترجمها ليثي بروفسال إلى الفرنسية :

LÉVI-PROVENÇAL, *La Description de L' Espagne de Razi, Al-Andalus, XVIII (1953) pp. 59. sqq.*

وسنشير إلى هذه الترجمة دائماً باسم « صفة الأندلس للرازي » .

وقد أوردنا فيما بعد بيان معظم الأعلام الجغرافية الواردة في هذا النص (انظر فهرس الأعلام) فيما عدا أكشونية وباجة وتديرورية ، وفيما يلي التعريف بهذه الكور :
أَكْشُونِيَّةٌ أو أَخْشُونِيَّةٌ (تكتب خطأ في بعض المراجع أشْكَونِيَّة) اسم بلدة رومانية قديمة في الموضع الذي يسميه العرب شَنْتَمَرِيَّةَ الغرب Santa Maria de Algarve التي تسمى حالياً فارو Faro جنوبي البرتغال . ويقال إن Ocsonoba الرومانية كانت تقع في الموضع الذي تقوم فيه قرية Milrau في البرتغال التابعة لمركز Estoy . وقد أطلق اسم أكشونية في التقسيم الإداري الأندلسي على كورة تحتل الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، من نهر وادي آنة إلى المحيط الأطلسي (صفة الأندلس للرازي رقم ٥٤ ص ٩١) . وورد ذكر هذه الكورة في « التعليق المنتقى » على أنها مدينة ، أي كورة عسكرية (ص ٢٢) ، وفي حالة أكشونية تعتبر كورة بحرية عسكرية . وقاعدة هذه الكورة شِلَسِب Silves في البرتغال الحالية . وسنتكلم عنها وعن شنتمرية الغرب في موضعيهما (انظر فهرس الأعلام) .

انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مادق Ocsonoba و Santa Maria de Algarve ، و « الروض المعطار » مواد : أكشونية وشلب ، والترجمة الفرنسية والتعليقات .

باجة ، في البرتغال الحالية ، وتسمى اليوم : بيجا Beja وهي قاعدة مديرية ألينتيچو السفلى Baixo Alentejo ، وتقع على ١٤٠ كيلومتراً جنوب شرق الأشبونة (لِسْبُونَة ، لِيَسْبُونَا) وكانت في التقسيم الإداري الأندلسي كورة واسعة تشمل مديرية ألينتيچو السفلى الحالية في البرتغال وجزءاً من مديرتي بطليوس وولبئة Huelva في إسبانيا الحالية .

انظر : صفة الأندلس للرازي رقم ٤٨ و ٤٩ ص ٨٧ - ٨٨ .

وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طَعْمَةً .

وبقى العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم فى شىء منها ، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعةً سكنوا واغتبطوا وتمولوا^(١) .

= والتعليق المتفق ص ٢١ .

والروض المعطار ، رقم ٣٥ ص ٣٦ - ٣٧ .

تُدْمِير : هو الاسم القديم لكورة مرسية نسبة إلى تدمير أو تيودومير حاكم هذه الناحية أيام فتح العرب للأندلس ، والذي عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى احتفظ لنفسه فيها بشىء من الاستقلال (انظر فجر الأندلس ، ص ١١٢) ثم حولها عبد الرحمن الداخل إلى كورة عادية . وكانت قاعدة الكورة بلدة أوريبولة Orihuela ، فلما اختطت مرسية سنة ٨٣١/٢١٦ أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط على يد جابر بن مالك بن لبيد عامل تدمير يومئذ نقلت القاعدة إليها ، وسميت الكورة كلها كورة مرسية . وقد استبد بأمر مرسية وكورتها الموليان العامريان خيران وزهير بعد انتشار عقد الخلافة ، ثم ضمت الكورة إلى بلنسية ، وانفصلت عنها بعد ذلك . وفى أواخر أيام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل ، وأصبحت تسمى فى النصوص الإسبانية باسم مملكة مرسية El Reino de Murcia . وقد خرجت مرسية عن يد المسلمين نهائياً فى جمادى الأولى سنة ٦٦٤/فبراير ١٢٦٦ على يد خايمة الأول ملك أرغون الملقب بالفاتح .

انظر :

MARIANO GASPAR REMIRO, *Historia de Murcia Musulmana* (Zaragoza, 1905).

وفى تعليقاتنا التالية تفصيلات أخرى كثيرة عن تدمير ومرسية . (انظر فهرس الأعلام) رِيَّة ، وتكتب أيضاً رِيَّة وهو الأصح ، يظن أن أصل اسمها Regio أى إقليم . اسم كورة من الكور الصغيرة جنوب الوادى الكبير كانت تضم قواعد كبيرة مثل أرشذونة Archidona ومالقة (انظر صفة الأندلس للرازى ، رقم ٦٩ ص ٩٨ - ٩٩) . وقد ذهب دوزى إلى أن اسم الإقليم كان قبل العرب Malacitana Regio . ولم توجد مدينة باسم رِيَّة ، ولو أن الإصطخرى أخطأ فاعتبرها مدينة ، وذهب ابن خلدون إلى أن رِيَّة اسم لمالقة . والثابت - بشهادة ابن القوطية - أن رية اسم كورة عاصمتها أرشذونة . وقد اختفت الكورة فى عهد الطوائف ، ولا وجود لها فى « التعليق المتفق » .

انظر البحث الطويل عنها فى أبحاث دوزى ، ص ٣١٧ - ٣٢٤ .

(١) جعلت هذا الخبر فى فقرات متميزة للنص على أهميته . وقد نقله ابن الأبار عن أبي =

وطالعتا موسى بن نصير وبلج بن بشرهما اللتان تعرفان بالأندلس بالجنديين .
ثم لم يلبث أبو الخطار — مع مكانه من السداد — أن تعصب لليمانية
وفضلهم على المضرية ، فآل به الأمر إلى الخلع والفرار إلى جهة باجة في غرب
الأندلس في قصص طويلة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، بعد أربع سنين
وتسعة أشهر من ولايته ؛ وقيل : كانت ولايته سنة اثنتين وعشرين . ومن شعره :
أفأثم بنى مروان قيساً دماءنا وفي الله — إن لم تُنصفوا — حكمٌ عدلٌ
(ويروى : أفأتم بنو مروان ، والأول أولى)

كأنكم لم تشهدوا مرجَ راهطٍ ولم تعلموا من كان ثم له الفضلُ
وقيناكم حراً القنا بنحورنا وليس لكم خيل سوانا ولا رجلُ
[١١ - ١] / فلما باغتم نيل ما قد أردتم وطاب لكم منا المشاربُ والأكلُ
تعاميتم عنا بعين جليية وأتم كذا ما قد علمنا لها فعلُ
فلا تأمنوا إن دارت الحربُ دورةً وزلت عن المرقاة بالقدم النعلُ
فينتقض الحبل الذي قد فتلتتم ألا ربما يلوى فينتقض الحبلُ

قال أبو الخطار هذا الشعر ، لأن هشام بن عبد الملك ولي عبدة بن عبد الرحمن
— ابن أخي أبي الأعور الشلمي صاحب خيل معاوية بصفين — إفريقية ،
وصرف بشر بن حنظلة الكلبي ، فوجدت لذلك اليمانية . ويقال إنه قدم
القيروان — ولم يكن عليها إذ ذاك سور^(١) — فآلني بشر بن صفوان قد تهبأ

— مروان بن حيان كما نقله أيضاً ابن الخطيب في الإحاطة (بتحقيق محمد عبد الله عنان ، الجزء
الأول ، القاهرة ١٩٥٥) ص ١٠٩ ، وابن عذاري في البيان المغرب ، ٣٣/٢ . وقد تصرف
فيه كل منهم بحسب منهجه في كتابه ، وأعتقد أن الصورة التي أوردها فيها ابن الأبار من أصح
للصور التي ورد فيها . وقد ناقشنا هذا الموضوع وبسطنا القول فيه في كتابنا « فجر الأندلس » .

(١) وردت هذه العبارة التي وضعناها بين شرطتين في الهامش بخط مختلف .

لشهود الجمعة ولبس ثيابه ، فقيل له : « هذا الأمير قد قدم ! » ، فقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! هكذا تقوم الساعة » ، فما حملته رجلاه . ودخل عبيدة بن عبد الرحمن فجَمَعَ بالناس ^(١) .

وقيل إنه لما تابع ولاية إفريقية والأندلس من قيس ، قال أبو الخطار هذا الشعر يعرض فيه بيوم مرج راهط ، وما كان من بلاء كلبٍ فيه مع مروان ابن الحكم ، وقيام القيسية مع الصحاح بن قيس الفهري أمير عبد الله بن الزبير . فلما بلغ الشعر هشام بن عبد الملك سأل عن قائله فأعلم أنه رجل من كلب ، وكان هشام قد ولي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي أخا بشر المذكور ، فكتب إليه يأمره أن يولي أبا الخطار الأندلس . وهو الرابع عشر من ولاتها ، ثم ولي بعده ثوبة بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري - وكان خلعه بعبد الرحمن بن معاوية . وأنشد الحميدي في تاريخه الشعر ، وقال فيه : « أفادت بنو مروان » ، وقال : « إن لم تعدلوا » ، وقال : « وقيناكم حد القنا بسيوفنا » ؛ وقال في البيت الرابع وما بعده :

فلما رأيتم واقدَ الحرب قد خبا وطاب لكم فيها المشارب والأكل
تغافلتُم عنا كأن لم نكن لكم صديقا ، وأتم ما علمت لها فُعلُ
فلا تعجلوا إن دارت الحربُ دورةً وزلتَ عن المِهْوَاةِ بالقدمِ النعلُ

/ ولم ينشد البيت الأخير

[١١ - ب]

وقال أبو الخطار أيضا يخاطب الصميل بن حاتم الكلابي ، رئيس المضرية ورأس المتعصبين معها على اليمانية في ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري :

(١) الخبر وارد بتفصيل في البيان المغرب لابن عذارى (٥٠/١) ونص الفقرة الأخيرة منه هناك : ودخل عبيدة فأخذ عمال بشر وأصحابه فحبسهم وأغرمهم ، وعذب بعضهم . وكان دخول عبيدة بن عبد الرحمن القيروان في ربيع الأول ١١٦ هـ / يونيو ٧٢٨ .

إِن ابْنَ بَكْرٍ كَفَانِي كُلَّ مَعْضَلَةٍ وَحَطَّ عَنْ غَارِبِي مَا كَانَ يُؤْذِنِي
 إِذَا اتَّخَذْتَ صَدِيقًا أَوْ هَمَمْتَ بِهِ فَاعْمَدْ لَدَيَّ حَسْبَ إِنْ شِئْتَ أَوْ دِينِ
 مَا يَقْدِرُ اللَّهُ فِي مَالِي وَفِي وُلْدِي لَا بَدَّ يَدْرِكُنِي لَوْ كُنْتُ بِالصِّينِ^(١)
 وَأَنْشُدْ لَهُ الْحَمِيدِي :

فَلَيْتَ ابْنَ حَوَّاسٍ يُخَبِّرُ أُنْتَى سَمِعْتُ بِهِ سَعَى أَمْرِي غَيْرِ غَافِلِ
 قَتَلْتُ بِهِ تَسْعِينَ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ جَذُوعٌ نَخِيلٍ صُرِّعَتْ بِالمَسَائِلِ
 وَلَوْ كَانَتْ المَوْتَى تَبَاعَ اشْتَرِيْتُهُ بِكُنِّي ، وَمَا اسْتَنْبَيْتُ مِنْهَا أَنَامِلِي

وحكى أبو علي الحسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل في « الكتاب المغرب عن أخبار المغرب » من تأليفه ، أن عبيدة بن عبد الرحمن لما قدم القيروان أخذ عمال بشر بن صفوان وأصحابه فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم . وكان فيهم أبو الخطار ، فصنع هذه الأبيات وبعث بها إلى الأبرش الكلبي ، فدخل بها على هشام بن عبد الملك بن مروان فأنشدها ، فغضب هشام . وكان ذلك سبب عزل عبيدة عن إفريقية . قال أبو علي : وهذا الشعر مشهور بالشرق كشهرة بالمغرب ؛ ذكره صاحب « كتاب الخصال » وجاء به بعض المؤلفين في اختياره ، وأتى به أبو الحسن المدائني ، وقال : لما أنشده سعيد بن الوليد الأبرش الكلبي هشام بن عبد الملك غضب وشم عبيدة وقال : « قبح الله ابن النصرانية ! » وعزله .

(١) الأصل :

مَا يَقْدِرُ اللَّهُ فِي مَالِي لَأَبْدَ يَدْرِكُنِي وَفِي وُلْدِي لَوْ كُنْتُ فِي الصِّينِ

وورد بصورته الصحيحة التي يستقيم بها الوزن في الملمس .

١٧ - الصَّمِيلُ بن حاتم بن شَمِيرِ بن ذى الجَوْشَنِ الكلابى الضَّبَابى ، أبو جَوْشَنِ

كان جده شَمِيرِ من أشرف عرب الكوفة ، وهو أحد قَتَلَةِ الحسين بن على
رضى الله عنهما ، والذي قدم برأسه على يزيد بن معاوية . وقتل المختار بعد ذلك
— حين قام ثائراً بقتلة الحسين — جماعةً منهم ، فهرب شَمِيرِ بولده وعباله ولحق
بالشام فأقام بها فى عز ومنعة .

وقد قيل إن المختار قتل شَمِيراً وفرَّ ولده / إلى أن خرج كلثوم بن عياض [٢٠-١]
القشيري غازياً إلى المغرب ، فكان الصَّمِيلُ ممن ضُرب عليه البعثُ فى أشرف
أهل الشام ، ودخل الأندلس فى طاعة بلج بن بشر قتل أصحاب كلثوم (١) .

(١) كان هشام بن عبد الملك قد ولى كلثوم بن عياض القشيري على إفريقية سنة ١٢٣ /
٧٤٠ - ٧٤١ بعد عبيد الله بن الحبحاب ليتلافى أمرها بعد انهزام قوات ابن الحبحاب أمام
ميسرة المدغرى فى معركة الأشرف وإقدام جند إفريقية على عزله . وقد دخل كلثوم إفريقية
فى جيش عدته ثلاثون ألفاً ، يقال إن عشرة آلاف منهم كانوا من صلب بنى أمية ، وعشرين ألفاً
من سائر العرب . « وكان مع كلثوم ابن أخيه بلج بن بشر . وقد انهزم هذا الجيش الكبير أمام
خالد بن حميد الزناتي رئيس البربر الذى خلف ميسرة المدغرى . وقتل كلثوم بن عياض ومناقسه
حبيب بن أبى عبدة وسليمان بن أبى المهاجر ووجوه العرب . فكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس ،
وهزيمة أهل مصر وإفريقية إلى إفريقية » .

وقد نجا بلج بن بشر من المعركة ولجأ إلى سبتة فتحصن بها من البربر ، وظل هناك مع من
معه من العرب حتى ساء حالهم واستنجدوا بعبد الملك بن قطن عامل الأندلس ، فأذن لهم بعد أن
كادوا يهلكون جوعاً ، واشترط عليهم أن يخرجوا من الأندلس بعد أن يفرغوا من حرب
البربر الثائرين عليه فى الأندلس ، ولكنهم لم يخرجوا ، وانتهى الأمر بتولى بلج بن بشر أمر
الأندلس .

وكان شجاعاً ، نجداً ، جواداً ، كريماً . وهو الذي قام بأسر المضرية في الأندلس عندما أظهر أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي العصبية لليمانية ، إلا أنه كان رجلاً أميناً لا يقرأ ولا يكتب ، وكانت له في قلب الدول وتدير الحروب أخبار مشهورة .

وحكى أبو بكر بن القوطية في تاريخه أنه مر بمعلم يتلو ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ فوقف يتفهم ، وكان أميناً لا يقرأ ، ونادى المعلم : « يا هناه ! كذا نزلت هذه الآية ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فأرى والله أن سيشركننا في هذا الأمر العبيد والأراذل والسفلة » .

وغلب على أمر يوسف بن عبد الرحمن الفهري في ولايته ، وكان معه في حربه لعبد الرحمن بن معاوية بعد أن ولاء مدينة سرقسطة ثم طليطلة ؛ وهو القائل عندما أغار الطائفيون على داره بشقنذة يوم المصارة عند انهزام الفهري واستخلاف عبد الرحمن :

ألا إن مالي عند طيِّ وديعةٍ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
سَلُوا يَمَنَّا عن فِعْلِ رُحْمَى ومنصلي فإن سكتوا أثنتُ على الوقائعُ
أنشدها أبو بكر الرازي في تاريخه .

وتوفي الضمَّيل في سجن عبد الرحمن بن معاوية سنة اثنتين وأربعين ومائة .

١٨ - الأغلب بن سالم بن عقّال بن خفاجة التميمي ، أبو جعفر

كان ممن سعى في القيام بدعوة بني العباس مع أبي مسلم وحارب معه [عبد الله بن]^(١) علي ، وكان مع أبي جعفر المنصور في حصار ابن هُبيرة

(١) أكلت العبارة على هذا التحوليتصل السياق . ولم أجد اسم الأغلب بين أنصار أبي مسلم -

وفي قتل أبي مسلم ، ويقال إنه الذي ضربه فأطار يده ، ثم تولى حزر رأسه^(١) ؛
 ووجه أبو جعفر المنصور مع محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي إلى قتال البربر .
 وهو أول [قدومه إلى]^(٢) إفريقية ، وكان عامل مصر ، وذلك في سنة
 أربع وأربعين ومائة . فخرج في أربعين ألفاً عليهم مائة وثمانية وعشرون قائداً من
 تحت يد ابن الأشعث ، منهم ثلاثون ألفاً من خراسان وعشرة آلاف من الشام
 — وقيل ألفان فقط من الشام . وقال المنصور : إن حدث به حدث كان الأغلبُ
 أميرهم بعده . فولى طُبْنَةَ / إلى أن خرج ابنُ الأشعث من القيروان في شهر [٢٠ - ب]
 ربيع الأول سنة ثمان وأربعين — وكان قد بنى سور القيروان — فبعث أبو جعفر
 إلى الأغلب عهده بولاية القيروان ، فاستقامت له الأمور . ثم اضطربت بعقب
 ذلك لخروج أبي قرّة البربري عليه واشتغاله بحربه ، [وخرج]^(٣) الحسن

الخراساني ورجاله . وقد أورد الطبري (طبعة المطبعة التجارية ، القاهرة ١٩٣٩) ج ٦ ص ٥٣
 قائمة بأصحاب أبي مسلم وقواده لم أجد من بينهم اسم الأغلب ، ولكنني وجدت مقاتل بن حكيم
 العكي ، وهو أبو محمد بن مقاتل العكي الذي تولى إفريقية قبل إبراهيم بن الأغلب ، فلعل ذلك
 هو السبب في قول المؤرخين أن الأغلب كان من رجال أبي مسلم . وربما كان من صفار رجاله
 فلم يذكر ضمن القواد والنقباء .

(١) لا وجود لهذا عند الطبري ، وهو أوسع مرجع لدينا عن قتل أبي مسلم : ١٣٧/٦ .
 (٢) عبارة « وهو أول [...] إفريقية » قلقة هنا ، وقد قومتها على هذا النحو للسياق .
 وعلى أي حال فهناك رواية ابن عذارى في هذا الموضع ، ويبدو أنه يأخذ من نفس المرجع الذي
 يعتمد عليه ابن الأبار هنا : « ذكر ولاية محمد بن الأشعث الخزاعي على إفريقية : لما غلبت
 الصفريّة على إفريقية بعد أن قتلت ورفجومة من قتلت من قريش وغيرهم ، خرج جماعة من
 صربها إلى المنصور يستنصرون به على البربر ، ويصفون له ما نالهم منهم . فولى أبو جعفر
 ابن الأشعث مصر ، فوجه أبا الأحوص ، فهزمت البربر ، كما تقدم ، فكتب أبو جعفر
 إلى ابن الأشعث أن يسير بنفسه ، فخرج إلى إفريقية في أربعين ألف . الخ » .

البيان ٧٢/١ (وكان ذلك سنة ١٤٤/٧٦١ - ٧٦٢) .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

ابن حرب الكندي عليه ، وخاطب القواد مُضْرِيًّا^(١) فلحق به منهم جماعة^د
وهو بتونس ، فأقبل إلى القيروان فدخلها . وبلغ الخبرُ الأغلبَ فأقبل في عدة
يسيرة ممن أطاعه ، وكتب إلى الحسن :

ألا من مُبْلِغٍ عني مقالا يسير به إلى الحسن بن حربِ
فإنَّ البغيَ أبعدُهُ وبالُ عليك وقربه لك شر قربِ
فإن لم تدعني لتتالَ سَلَمًا وعفوى فادنُ من طعني وضرني^(٢)

فقصد الحسنُ الأغلبَ ، فاقتتلوا قتالا شديداً انهزم الحسنُ عنه وكرَّ راجعاً
إلى تونس ، ودخل الأغلبُ القيروان . ثم زحف الحسنُ إليه ثانيةً ، وخرج
الأغلبُ من « باب أضرم »^(٣) فتواقف الفريقان ، فبرز الأغلب وقال :

(١) الأصل : مضرباً ، وقد صوبتها هكذا للسياق ، وكذلك فعل مولر . وإليك توضيحاً
لهذه الأحداث نقلاً عن ابن عذارى (البيان : ٧٤/١) :

« وفي سنة ١٥٠ ثار الحسن بن حرب الكندي بالقيروان على الأغلب بن سالم ، وسبب
ذلك أن أبا قرّة الصفري خرج في جمع كبير من البربر ، فسار إليه الأغلب في عامة القواد الذين
معه ، وخلف على القيروان سالم بن سواده . فلما علم أبو قرّة أن الأغلب قُرب منه هرب ، وتفرق
أصحابه ، وقدم الأغلب الزاب ، وعزم على الرحيل منه إلى تلمسان ، قاعدة زناتة ، ثم إلى
طنجة . فكره الجندُ المسير معه ، وقالوا : « قد هرب أبو قرّة الذي خرجنا إليه » وجعلوا
يتسللون عنه إلى القيروان ، فلم يبق معه إلا نفر يسير من وجوههم . وكان الحسن بن حرب
بتونس ، فلما خرج الأغلب يزيد أبا قرّة ، كاتبَ جميع القواد ، فلحق به بعضهم ، وأقبل معهم
إلى القيروان ، فدخلها ، وأخذ سالم بن سواده عاملها ، فحبسه . وبلغ الخبرُ الأغلبَ ، فأقبل
في عدة يسيرة ، وكتب إليه يعرفه بفضل الطاعة ووبال المعصية ، فأعاد الجوابَ إلى الأغلب ،
وفي آخره :

ألا قولوا لأغلبَ غيرَ سوءٍ مغلغلةً عن الحسن بن حربِ
بأن البغيَ مرتعسه وخيم عليك ، وقربه لك شر قربِ
فإن لم تتثن لتتال سلمى وعفوى ، فادن من طعني وضرني

(٢) واضح أن الأبيات الواردة في الهامش السابق رد على هذه الأبيات . ويلاحظ القارئ
تشابه شعر الأغلب وشعر الحسن بن حرب على هاتين الروايتين . والحقيقة أن ابن عذارى أخطأ
فجعل أبيات ابن الأغلب للحسن بن حرب ، أما أبيات هذا فترد في ترجمته التالية .

(٣) من أبواب القيروان المعروفة .

أغدو إلى الله بأمره يرّضاهُ [لا خير في ...]
 إن بهوّنِي الموتُ ، فإني أهواهُ كلُّ امرئٍ يلقى يوماً [...]^(١)
 ثم شدَّ على الميمنة في أصحابه ، فكشفها ، وانصرف إلى موقفه وهو يقول :
 أضربُ في القومِ ، ومثلي يضربُ فإن [يكن حرباً] فإني الأغلبُ
 لا أجزعُ اليومَ ولا أكذبُ^(٢)

ثم شدَّ على الميسرة ، ففعل مثل فعله في الميمنة ، وانصرف وهو يقول :
 لم يبقَ إلا القلبُ أو أُموتُ إن تحم لي الحربُ فقد حميتُ
 وإن تولّيتُ فما بقيتُ

ثم حمل على القلب ، فلم يُثنَ حدُّه ، حتى قُتل بسهم رُمى به ، وذلك
 في شعبان سنة خمس ومائة .

وبلغ المنصورَ موته فقال : « إن سيفي بالمغرب قد انقطع ، فإن دفع الله عن
 المغرب بريح دولتنا وإلا فلا مغرب » . وقال الحكم بن ثابت السعدي من ولد
 سلامة بن جندل يرثي الأغلب :

فقد أفسد الموتُ الحياةَ بأغلبٍ غداةَ غدا للموت في الحرب مُعلماً
 / تبدّت له أم المنايا فأقصدت [فتى حين] يلقى الموت في الحرب صمماً^(٣) [٢١-١]
 أها غزواتٍ ما تزال جِيادُهُ تُصبِّحُ عنه غارةً حيث يما
 أتته المنايا في القنا فاخرمَنهُ وغادرته في مُلتقى الخيل مسلماً
 كأن على أثوابه من دمانه عبيطاً ، وبالحديد والنحرِ عندما
 فبات شهيداً نال أكرمَ ميتةٍ ولم يَبغِ عمراً أن يطول ويسقماً

(١) وردت هذه الأبيات في سياق النثر ، ولم ينتبه الناسخ إلى أنها شعر .

(٢) الشطر الأخير من هذا الرجز مكسور . وقد أضفت ما بين حاصرتين في الشطر

الثاني للسياق والوزن ، وظاهر أنه يخاطب الحسن بن حرب ، ومن هنا أخذت عبارة « يكن حرباً » .

(٣) ورد للشطر ناقصاً في الأصل فأكلته بما يقيم الوزن .

١٩ - الحسن بن حرب الكندي

كان بتونس ، فقام على الأغب بن سالم - حسبما تقدم خبره - وخالفه وسار إلى القيروان فلم يدفعه أحد عنها حتى دخلها . وبلغ أبا جعفر المنصور تنازعهما ، فكتب إلى الحسن بن حرب يحضه على الطاعة . وكان من كبار القواد وأبطال الفرسان بإفريقية ؛ وهو القائل يجيب الأغب عن أبياته المذكورة قبل :

ألا قولاً لأغبَ غيرَ سِرِّ مُغلَلةٍ عن الحسن بن حربِ
بأنَّ الموتَ بينكمُ وبينى وكأسُ الموتِ أكرهُ كلَّ شِربِ
رويدكمُ ، فيومكمُ ويومى - وإن بعداً - مصيرهما لقُربِ

ثم تقاتلا بعد ذلك ، فقتل الأغب وصاح صائح : « مات الأمير ! » . وكان سالم بن سودة التيمي في الميمنة ، وهو ابن عم الأغب ، فقال : « لا أنظر إلى الدنيا بعد اليوم » . ووقع في عسكر الحسن الصياح : « مات الأمير ! » فظن أن الحسن هو المقتول ، فولوا منهزمين ، وركبهم سالم بن سودة والمخارق بن غفار الطائي بالسيف ، فقتل من أصحاب الحسن مقتلة عظيمة ، واتبع هو فقتل بتونس . ويقال إنه أتوا به مقتولا إلى القيروان ، فصلبه المخارق يوم السبت آخر يوم من شعبان سنة خمسين ومائة .

٢٠ - يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة

الأزدى العتكي ، أبو خالد

ولى إفريقية في خلافة أبي جعفر المنصور ، فأصلحها ورتب أمر القيروان

وجدد أمر المسجد / الجامع . وكان غايةً في الجود مُمدِّحاً ، كثيرَ الشبه بمجده [٢١-ب] المَهَلْبُ في حروبه ودهائه وكرمه وسخائه ، خاصّاً بأبي جعفر المنصور ، وكان لا يُحجّب عنه . وولّى ولاياتٍ كثيرةً قبل قدومه إلى المغرب ، منها : أرمينية ، والسُّند ، ومصر ، وأذربيجان وغير ذلك .

وقدم إفريقياً من مصر - وكان والياً عليها - في ذى الحجة سنة أربع وأربعين ومائة إلى سنة اثنتين وخمسين^(١) . وحُكي عنه [أنه] قال : لما ولاني أبو جعفر دخلتُ عليه فقال لي : « يا [أبا] خالد ، بادر النيل قبل خروج الرايات الصُّفْر وأصحاب الدواب البُتر »^(٢) .

(١) تولى يزيد بن حاتم مصر من يوم الاثنين ١٥ ذى قعدة ١٤٤/١٧ مارس ٧٦٢ إلى يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ١٥٢/٣ مايو ٧٧٠ .
انظر : أبو المحاسن بن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب بالقاهرة) ج ٢ (١٩٣٠) ص ١ وما يليها .

(٢) المراد بهذه الإشارة هنا العلويون ، وكان أبو جعفر المنصور مهموماً بأمرهم خلافةً كلّها ، وعلى رغم ما أنزل بهم من مقاتل وبأنصارهم من أذى وتعذيب فقد ظل متخوفاً منهم إلى آخر أيامه . وكان أنصار العلويين في مصر كثيرين ، فكان المنصور يخشى أن يثبوا بها ، فبادر إلى عزل حميد بن قحطبة وأرسل يزيد بن حاتم ، وكان من أقدر ولاته وأقربهم إلى نفسه . وقد كان أبو جعفر محققاً في تخوفه ، فنحن نقرأ عند أبي المحاسن : « وفي أيام يزيد بن حاتم المذكور ظهرت بمصر دعوة بنى الحسن بن علي بن أبي طالب ، وتكلم بها الناس ، وباع الكثير منهم لبني الحسن في الباطن ، وماجت الناس بمصر ، وكاد أمر بنى الحسن أن يتم ، والبيعة كانت باسم علي بن محمد بن عبد الله (بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وعلى هذا هو ابن محمد النفس الزكية الذي قتله المنصور في المدينة وأخاه إبراهيم في البصرة سنة ١٤٥) .

وبينما الناس في ذلك قدم البريد برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة ، فنصب في المسجد أياماً » . (أبو المحاسن ١/٢ - ٢) .

وقد بلغ من خوف يزيد بن حاتم من دعاة العلوية أن منع أهل مصر من الحج سنة ١٤٥ هـ . ولم يوفق يزيد بن حاتم في القضاء على دعوة العلوية في مصر ، فعزله المنصور سنة ١٥٢ وأقام مكانه عبد الله بن عبد الرحمن حفيد معاوية بن حديج زعيم العثمانية في مصر وعدو علي بن أبي طالب أثناء الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان .

ثم استقدمه — بعد أن قتل عمر بن حفص المهلبى — فولاه إفريقية والمغرب وشيخه إلى فلسطين ، فحسده الأمراء والرؤساء . وكان المنصور يقول : « ما أخطأت في شيء من تدبيرى إلا في ثلاثة أشياء : تشييع يزيد بن حاتم . . . رأيت لو نكث ، أكان يحسن بى أن أرجع ، أو كان يحسن بى أن ألقى الجيش بنفسى ؟ ويوم الراوندية^(١) وقوفى على باب الذهب . . . رأيت لو أن رجلاً رماني بسهم ، أليس دمي كان يذهب ضياعاً ؟ وقتلى أبا مسلم وأنا في الخرق^(٢) ، ومعه أهل خراسان ثلاثون ألفاً يعبدونه من دون الله . »

وفي يزيد هذا يقول ربعة بن ثابت الرقي من بني أسد — وقد وفد عليه —
أبياته السائرة في الناس إلى اليوم :

لشَتَانِ ما بين اليزيدَيْنِ في الندى يزيدُ سُلَيْمٌ والأغرُّ بنِ حاتمِـ
يزيدُ سُلَيْمٌ سالمَ المالِ ، والفتى أخو الأزدِ للأموالِ غيرِ مُسلمِـ
فهمُ الفتى الأزديُّ إتلافُ ما له وهمُ الفتى القيسيُّ جمعُ الدراهمِـ
فلا يحسب التَّمَتامُ أنى هَجَوْتُهُ ولكنى فضَّلتُ أهلَ المكارمِـ
يريد بالتَّمَتامِ — وهو المتردد في التاء — يزيد بن أسيد السلي . سماء المبرد ،
وهي من قصيدة حسنة يقول فيها :

أبا خالدٍ أنتَ المنوَّةُ باسمِ إذا نزلتُ بالناسِ إحدى العظامِـ
كفيتَ بنى العباسِ كلَّ عظيمِ وكنتَ عن الإسلامِ خيرَ مزاحمِـ

(١) الراوندية جماعة من شيعة فارس ينسبون إلى راوندقرب أصفهان ، أسرفوا في تشييعهم لعلى بن أبي طالب حتى قالوا إن الروح التي كانت في عيسى بن مريم حلت فيه ، ودعوا إلى تأليه الأئمة ، وذهبت جماعة منهم إلى عبادة أبي جعفر المنصور ، وقد حاربهم المنصور وقتل منهم كثيرين وحبس كثيرين أيضاً في سجون بغداد ، فاجتمعوا في السجن وكسروا أبوابه ، وخرجوا واتجهوا إلى قصر المنصور ، فخرج إليهم بنفسه ، فتكاثروا عليه وكادوا يقتلونه لولا أن أنقذه معن بن زائدة الشيباني . وقد كافأه المنصور على ذلك بولاية اليمن . وإلى يومه هذا مع الراوندية يشير هنا . (راجع الطبري ، ج ٦ ص ٣٠٧ وما بعدها)

(٢) أى وأنا في وقت ثورة واضطراب .

ويقال إن ربيعة لما مدحه بهذه القصيدة استبطأ برّه وصلته فقال :

/ أراني — ولا كفرانَ لله — راجعاً بخفي حنينٍ من يزيد بن حاتم [٢٢-١]

فبلغ ذلك يزيد ، فدعا به وقال : « انزعوا خفيه » ، فنزعوا وهو خائف من عقوبته على ذكره خفي حنين ، فملاهما له دراهم ودنانير — وكانا كبيرين كأخفاف الجند — ثم وصله بعد ذلك بصلاتٍ جزيلة . وهذه القصة^(١) شبيهة بقصة أبي العتاهية مع عمر بن العلاء^(٢) حين امتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

إني أمنتُ من الزمان ورَيْبِهِ لما عَلمتُ من الأمير حبالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لحدّوا له حُرّاً الحدودِ نعالاً
ما كان هذا الجودُ حتى كنتَ يا عمرُ ، ولو يوماً تزولُ لزالا
إن المطايا تشتكيك لأنها قطعتُ إليك سَبَابِياً ورمالاً
فإذا وَرَدَنَ بنا وَرَدَنَ نُخْفَةً وإذا صَدَرَنَ بنا صدرنَ ثِقَالاً
فتأخر عنه برّه قليلاً ، فكتب إليه يستبطئه :

أصابتُ عاينا جودك العينُ يا عمرُ وعزّ لما نبغى التمامُ والنشرُ
سنزقيك بالأشعار حتى تملّها فإن لم تُفق منها رقبيناك بالشورُ
وقال أيضا :

يا ابنَ العلاءِ ويا ابنَ القَرَمِ مرْداسِ إني لأطريك في صَحْبِي وجُلّاسِ
أثنى عليك — ولي حال تكذّبني فيما أقول — فأستحي من الناسِ
حتى إذا قيل : ما أعطاك من صَفْدٍ ؟ طأطأتُ ، من سوءِ حالِ عندها ، راسِ

فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال ، وقال : « لا تدخله عليّ فإني أستحي منه » .
وروي أنه وصله عليها بسبعين ألف درهم ، فحسدته الشعراء وقالوا : « لنا بياب

(١) الأصل : القصيدة .

(٢) هو عمر بن العلاء ، معتوق عمرو بن حريث (انظر : الأغاني : ٤٤/٣ و ١٣٧)

الأمير أعوام نخدم الآمال ما وصلنا إلى بعض هذا » ، فاتصل ذلك به فأمر بإحضارهم وقال : « قد بلغني الذي قلتكم . وإن أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة يشبب فيها ، فلا يصل إلى المدح حتى تذهب لذة حلاوته ورائق طلاوته . وإن أبا العتاهية أتى فشبب / بأبيات بسيرة ، ثم قال : إن المطايا تشتكك » ، وأنشد الأبيات . [٢٢ - ب]

ومن شعر يزيد بن حاتم :

ما يَأْلَفُ الدَّرْمُ المَضْرُوبُ خِرْقَتَنَا إِلا لَمَامًا قَلِيلًا ، ثم ينطلقُ
يَعْرُ مَرًّا عَلَيْهَا وَهِيَ تَلْفِظُهُ إني امرؤٌ لم يُحَالِفِ خِرْقَتِي الوَرِقُ^(١)
وتوفي في شهر رمضان سنة سبعين ومائة .

٢١ - الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب^(٢)

ولاه الرشيد إفريقية ، فقدم على القيروان في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة ، ويقال إنه لم يَلِ إفريقية أجمل منه ومن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم ابن الأغلب .

(١) وردت هذه الأبيات أيضاً في البيان المغرب لابن عذاري (٨١/١)
(٢) هذا خامس رجل من آل المهلب يتولى أمر إفريقية للعباسيين . والحقيقة أنه منذ قتل الأغلب بن سالم بن عقال في سنة ٧٦٥/١٤٨ إلى ولاية ابنه إبراهيم سنة ٨٠٠/١٨٤ ، أى إلى بدء الدولة الأغلبية ، كانت إفريقية في يد رجال من بيت المهلب بن أبي صفرة فيما عدا فترات قصيرة جداً . وهذا البيت الذي تولى مصائر إفريقية خلال أعصب فترة مرت بتاريخها قبل الأغلبة جدير بدراسة وحده ، فقد كان رجاله عرباً خالصاً تمثل فيهم صفات العرب الأولى في أجلى صورها . كانوا شجعاناً كرماء ذوي ثبات وحزم وعزم ، وكانوا إلى جانب ذلك - وتلك هي الناحية السلبية من خلقهم - متهاونين لا ينظرون إلى بعيد ، ولا يفكرون في خطة بعيدة المدى لتلافى الأخطار التي أحاطت بإفريقية على أيامهم ، إنما كانوا ينتظرون حتى تشتد الأزمة ويعظم الخطر فيهبون لدفعه في بسالة وعزم وذكاء وحيلة ، ولم تكن تلك هي السياسة -

واستعمل على تونس المغيرة بن بشر بن روح ابن أخيه ، وكانت تونس نظيرة القيروان حتى إن أبا جعفر المنصور كان يقول : « ما فعلت إحدى القيروانين ؟ » ، يعنى تونس .

وكان المغيرة غريباً لا تجربة له بالأمر ولا معرفة بتصاريقها ، فاستخف بالجند وسار فيهم بما أنكروه ، فكتبوا إلى الفضل بذلك فلم يعزله عنهم ، فقدّموا — في قصة طويلة — عبد الله بن الجارود العبدي^(١) وأخرجوا المغيرة .

وكتب ابن الجارود إلى الفضل : « إلى الأمير الفضل بن روح من عبد الله ابن الجارود . أما بعد ، فإننا لم نخرج المغيرة إخراجٍ خلافٍ عن الطاعة ، ولكن لأحداث فيها فسادُ الدولة . فوالّ علينا من نرضاه ، وإلا نظرنا لأنفسنا . وواسنا بالأسلاف^(٢) كما كانت الولاة تصنع بنا قبلك ، وإلا فلا طاعة لك علينا » .
وكتب في أسفل الكتاب :

الكفيلة بتأمين بلد استعرب أهله وأيقظ الإسلام فيهم وعياً بعيد المدى حفزهم على طلب الحكم والرغبة في الاستئثار به وإقامة دول عربية مستقلة . وقد قام تفكير الكثيرين منهم على مبادئ الإباضية ، وهي دعوة خارجية سياسية ترمى إلى إنكار حق الاستئثار بالحكم والخلافة على بيت معين ، وتجعل الحكم ولاية يتولاها الأصلح بترضى المسلمين ، وتدعو من ناحية أخرى إلى التعاون والتآخي بين أفراد الجماعة الواحدة . ولم يسر زعماء الإباضية على هذه المبادئ ، وإن كان أتباعها قد طبقوها فيما بينهم وأنشأوا جماعات عربية إسلامية من التجار والزراع والصناع ، كما نرى عند إباضية جربة . وكان من الطبيعي ألا يستطيع ولاية بنو العباس من آل المهلب الثبات طويلاً أمام جماعات الإباضيين ، وكان أكبر ما أضعف الولاة حرص خلفاء بنو العباس على تقصير مدد ولاتهم خوفاً من وثوبهم . وقد تبين بنو العباس خطأهم في ذلك ، وانتهوا إلى ترك إفريقية في يد إبراهيم بن الأغلب وأولاده تحت طاعتهم ، وهذا بدأ عصر جديد في التاريخ السياسي لإفريقية الإسلامية .

(١) هو عبد الله بن الجارود بن عبديويه . وقد وهم ناشر ابن عذارى فجعله عبد ربه .

(٢) الأسلاف هنا مصطلح خاص لم أجد له تعريفاً فيما بين يديّ من المراجع ، ولكنني فهمت من التفصيل الطويل الذي يقدمه النويري عما وقع بين الفضل بن روح وعبد الله بن الجارود بن عبديويه أن الأسلاف كانت معاونات مالية يرسلها الولاة إلى الظاهرين من أهل النواحي

ألا من مُبْلَغُ الفضلِ بنِ روحٍ وصِدْقُ القولِ زَيْنٌ للرجالِ
 بأنك حينَ ولَّيتَ ابنَ بِشْرِ علينا غَيْرُ محمودِ الفِعالِ
 فوَلٌّ سِوَاهُ أو كُنْ رهنَ حربٍ تُفَصُّ بها على الماءِ الزلالِ
 وإن لم تعطنا الأسلافَ طوعاً أُجِبْتَ لها بِكَرِّهِ بالعِوَالِ^(١)
 فأجاب الفضلُ عن ذلك يرميهم بالخلاف ، ويؤنسهم من الأسلاف ،
 وكتب في آخر كتابه :

[٢٣-١] / أتاني عنك ما سننك منه وبالأ إن عصيتَ على العقالِ
 فإن ترجع تنل سلكاً وأمناً وإن تجمخ فليست بمستقالِ
 وإن لمن أطاع عليك فضلاً كفضل يد اليمين على الشمالِ
 ولست بمدرك الأسلاف حتى تفاولهن قنراً بالعِوَالِ

ثم بعث عبد الله بن يزيد المهلبى والياً وضم إليه كثيراً من أصحابه . فأخرج
 ابن الجارود جماعة يختبرون ما قدموا له ، ونهاهم عن الحرب . فلقوهم بسبخة
 تونس فقتل عبد الله — في خبر يطول ذكره — وأسر القواد الذين معه . وأدى
 ذلك إلى محاربة الفضل بالقيروان ، فغلب عليها في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين

ورؤساء جماعاتها ليظلوا إلى جانب الولاة في صراعهم مع الثائرين عليهم . وقد قطعها الفضل بن حاتم
 وواليه على تونس المغيرة بن بشر بن روح ، وهو ابن أخى الفضل .

انظر : النويرى ، نهاية الأرب ، الجزءان الخالصان بإفريقية والأندلس ، نشرها ماريانو
 جاسبار ريمير في :

Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino.
Granada.

ابتداءً من العدد الرابع (المجلد الخامس) سنة ١٩١٥ . والقطعة الخاصة بالحوادث التى نشير إليها
 وازدة في العدد الثاني من المجلد السابع (سنة ١٩١٧) ص ١٢٧ - ١٤١ .

ومستشير إلى هذا المرجع من الآن فصاعداً بعبارة : نهاية الأرب للنويرى .

(١) الأصل : بالعِوَالِ . والعِوَالِ هى السيوف .

ومائة ، وسير في أهل بيته ، ثم استرجع من طريقه وهو متوجه إلى قابس ،
فحبس مع رجُلين من أصحابه ، ثم دخل عليه الجند فقتلوه في محبسه . ومن
شعر الفضل :

ومارستُ هذا الدهرَ خمسينَ حجةً ونِصفاً أرَجى قابلاً بعدَ قابلِ
فلا أنا في الدنيا باغتُ جسيمها ولا في الذى أهوى كدحتُ بطائلِ
وقد أشرعتُ فينا المنايا أكفها وأيقنتُ أئى رهنُ موتٍ مُعاجلِ

٢٢ — سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبى

لما عَظُمَ على الفضل بن روح أمرُ ابنِ الجارود وخروجه عليه بتونس وزحفه
إليه ، جمع أهل بيته وقال : « ماترون في هذا الأمر الذى لا يَخُصُّنى دونكم ؟ »
فكثرت الآراء ، فقال ابن عمه سعيد : « أطعنى اليومَ واعصنى فيما يستأنف .
سُدَّ أبوابَ المدينةِ كلَّها إلا باباً واحداً ، ونُدخل ما يحتاج إليه الحصارُ سنةً .
فوالله لكأنى أنظرُ — إن لم تفعلْ ذلك — قد دُخِلَ عليك من آمنها
عندك » . وقال فى ذلك يخاطب الفضل :

أرى الحربَ قد مدتْ إلينا بساقِها وقلبك يقظانٌ شبيهٌ بناثمِ
نخذ لنهود الحرب أهبةً يومها وشمرٌ لها الأذبالَ قبلَ التنادمِ
/ فإن كنت تسمى الغربَ فاشدد لها القوى تنل ظفراً ، أو تلقَ موتَ الأكارمِ [٢٣-٥]
فليس يُريدُ القومُ إلا نفوسنا أو النقى عنها يا ابنَ روحِ بن حاتمِ

وقال أيضا :

ألا قلْ لفضلٍ إنَّني لك ناصحٌ فلا تسمعنُ مما يُشيرُ ابنُ واقدٍ^(١)
 فإنك إن تسمعَ لأقواله تُعدُّ إلى أسدٍ في كُتْبَةِ الخيلِ لا يدِ
 ستذكرُ قولي حينَ ليس بِنافعٍ إذا شتمتِ الأرماحُ نحرَ القلائدِ
 نخالفه الفضلُ فكان ما تقدم من أمره .

٢٣ — أخوه عبد الله بن يزيد بن حاتم

كان مع ابن عمه الفضل بن روح بن حاتم في حروبه بإفريقية ، ثم قُرفَ
 عنده بمالأة عدوه الخارج عليه ابن الجارود المعروف بعبُدويه ، فنقل صدرُ
 الفضل عليه حتى كتب إليه :

أرى ألسنَ الحسادِ فيك كأنها سهامٌ تهوى من قسيِّ نصالِ

(١) لم أستطع التعرف على ابن واقد هذا ، ولكن يغلب على ظني أن المراد به محمد بن يزيد
 الفارسي ، وكان أول الأمر من رجال الفضل بن روح بن حاتم ، وكان سعيد بن يزيد بن حاتم
 يشك فيه ويحذر عمه الفضل منه . وقد كان اختلاف آراء رجال الفضل سبب ضياع أمره ، وقد
 أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله بعد أن ذكر القتال الأول بين الفضل وابن الجارود وحصار
 هذا الأخير للقيروان : « فاجتمع الفضل مع بني عمه وخاصته ، وتشاور معهم في أمره فاضطرب
 الأمر عليه ، ولم يصح له أمر » . وقد انتهى الأمر بدخول ابن الجارود القيروان واستيلائه على
 الأمر ، ثم أخرج الفضل وأصحابه في حراسة نفر من رجاله ليخرجوه من حدود إفريقية ،
 ولكن ابن الجارود قتله بعد ذلك في شعبان سنة ١٧٨ / أكتوبر ٧٩٤ (ابن عذارى : ١ / ٨٨ -
 ٨٩) . وقبيل قتله حاول محمد بن يزيد الفارسي (وأظن أنه ابن واقد) الدفاع عن نفسه ،
 وأشار على رجال ابن الجارود بالألا يقتلوه ، فلم يسمعوا له . (النويري ١٢٧ - ١٢٩) .

يقولون قد كاتبت عَبْدُوي^(١) في التي إذا نالها أولئك شرٌّ وبال
وقالوا وعدت القومَ عندَ لقاءهم رجوعاً عن الهَيْبِجا بغير قتال
وليس الذي منك عَبْدُوي كائناً فدعه ولا تركز لِقولِ ضلال
ألا إني لم أمسِ فيك مُصدِّقاً لأقوالهم ، والصدقُ خيرُ مقال

فلما وردت الأبيات على عبد الله علم أنه اتهمه ، فأجابه بقوله :

لَعَمْرُكَ لولا ما اتهمتَ لما أتتَ قوارضُ أبدأهنَّ شرُّ مقال
أظنُّ ابنُ روحٍ أني كنتُ قاطعاً يميني التي أسطو بها بشمال^(٢)
وهبني تناولتُ التي كنتُ خفتها فكيف اعتذارى فيك بعدِ فعالي^(٣)
فلا تحسبني مسلماً إن لقيتهم لأسيافهم ظهري بغير قتال

فقال الفضل عند قراءة جوابه : « لو كان حسادنا يتركون البغى على حال

لتركوه على مثل حالنا هذه » . ثم أخرجه إلى قتال عَبْدُوي بن الجارود فهزمه

عبدُ الله بن يزيد ، ثم عاوده الحرب فهزمه عَبْدُوي / وانصرف عبد الله إلى [٢٤ - ١]

(١) المراد هنا عبد الله بن الجارود بن عَبْدُوي الذي أشرنا إليه ، وقد كان عدو الفضل
ابن روح وزعيم الخارجين عليه ، وتمكن من قتله وإخراج بقية بني المهلب من إفريقية وتولاها
سبعة أشهر انتهت في ربيع الآخر سنة ١٧٩ / يونيو ٧٩٥ بقدم هرثمة بن أعين أميراً على
إفريقية من قبل الرشيد . وقد قص النويري أعمال ابن الجارود إلى خروجه من إفريقية بتفصيل
(١٢٧ - ١٣١) .

هذا وضبط اسم عَبْدُوي على هذه الصورة في شعر الفضل وابن عمه عبد الله يدل دلالة
واضحة على أن الاسم كان ينطق عَبْدُوي متباعدة للنطق الفارسي ، لا عَبْدُوي كما تعودنا أن نقرأ .
وهذا يؤيد ما ذهب إليه المستشرق إينو ليمان من أن الأسماء التي تنتهي بـ « ويه » - مثل سيبيويه - ينبغي أن
تنطق سيبيويه ونفطويه وخالويه . وهكذا كان العرب ينطقونها كما ترى في هذا الشعر .

(٢) في الأصل : بشمال .

(٣) في الأصل : بفعال .

القيروان مفلولاً ، فكان مع ابن عمه الفضل إلى أن تكلم عليه ابن الجارود ، ثم قتله بعد أن استرجعه من طريقه ، وأطلق عبد الله بن يزيد وأمره وأخاه المطلب بن يزيد ونصر بن حبيب وجماعتهم بالتجهز والخروج من إفريقية ، فخرجوا إلى المشرق .

٢٤ — سليمان بن حميد الغافقي ، أبو داود^(١)

فارس العرب قاطبة بالمغرب في عصره ، وأحسن الناس لساناً ، وأبلغهم إلى معرفة أيام العرب وأخبارها ، ورواية لوقائعها وأشعارها ، مع دعابة كانت فيه وعبث لا يدعه ؛ فحلت عنه في ذلك نواذر مستطرفة وحكايات مستملحة .

وخافه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع القهري فسجنه وأخاه محمداً ، ولم يكن بدونه . وكان محمد — وهو أكبر من سليمان — والياً على الأربؤس ، فثار على عبد الرحمن بن حبيب . وسرحهما إلياس بن حبيب — حين قتل أخاه عبد الرحمن^(٢) — وولى إفريقية بعده ، واستعان بهما في ذلك وعاش

(١) فرغ ابن الأبار بعد الترجمة لعبد الله بن يزيد بن حاتم من أمراء العصر الأول في المغرب والأندلس الذين روى لهم شعر ، وبدأ بعد ذلك بالترجمة لمن عاصروهم من وجوه الناس ، من أثر عنه شعر ، وبدأ بسليمان بن حميد الغافقي هنا ، وكان معاصراً لعبد الرحمن بن حبيب الذي سنتحدث عنه في التعليق التالي .

(٢) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع القهري مغامر كبير قضى عمره كله في طلب الولاية والفتن والقلائل في الأندلس والمغرب . وقد ظهر أمره بعد مقتل كلثوم ابن عياض القشيري في معركة حامية دارت بينه وبين خالد بن حميد الزناتي خليفة ميسرة المدغري وأنصارها من الإباضيين والصفرين . وكان أبوه حبيب بن أبي عبيدة يتولى قتال خالد بن حميد الزناتي قبل أن يأتي كلثوم ويتولى القيادة دونه ، فنقم حبيب بن أبي عبيدة واختلف مع كلثوم ابن عياض القشيري ، وكانت النتيجة انهزام كلثوم ومقتله وفرار حبيب بن أبي عبيدة إلى =

سليمان [... ..] ^(١) يزيد بن حاتم المهلبى فقصدا قسَطِيلِيَّة . وهو القائل
في يوم أبى زرجونة ^(٢) :

وما إن صددنا عنهم خوفَ بأسهمْ وحاشا لنا أن نتقى بأسَ برِّبرَا
وإنا إذا ما الحربُ أسعِرَ نارُها لنلقى المنايا دارعينَ وحُسرَا
ونغدو بصبرٍ حين تشتجرُ القنا فلست ترى منا على الموت أصبرا
ولكن أردنا ذلَّ قومٍ تطاولوا علينا وأبدوا نخوةً وتكبِرا

= إفريقية بطائفة من فل الجيش وفر بلج بن بشر ابن أخت عياض بطائفة أخرى إلى الغرب حيث تحصنوا بسبته كما روينا . وفي أثناء ذلك هرب عبد الرحمن بن حبيب إلى الأندلس ، وحاول الوصول إلى السلطان فيها ففشل ، فعاد إلى إفريقية في جمادى الأولى سنة ١٢٧ ، وجمع نفراً من أنصار بيته - بيت عقبة بن نافع - وسار لمقاتلة حنظلة بن صفوان الذى تولى أمر إفريقية في ربيع الآخر سنة ١٢٤ . وقد رأى حنظلة من سوء فعل عبد الرحمن وقلة تورعه عن أى عمل للوصول إلى السلطان ما جعله يمل العمل في إفريقية فتركها في جمادى الآخرة سنة ١٢٧/ مارس ٧٤٥ وانفرد بأمرها عبد الرحمن بن حبيب ، وثار عليه معظم رؤسائها ، فخاض معهم حروباً طويلة انتصر فيها ، وتمكن من أن يستصدر من مروان بن محمد أمراً بإقامته والياً على إفريقية والأندلس . ولما انتقل الأمر إلى العباسيين دخل في طاعة أبى عبد الله السفاح ثم انقلب عليه . وكان يعينه في ذلك كله إخوته إلياس وعمران وعبد الوارث . ثم اختلف مع أخويه إلياس وعبد الوارث ، فدبرا اغتيال أخيهما عبد الرحمن وإعادة الدعوة لبني العباس ، وتمكنا من قتله . وتولى الأمر إلياس بن حبيب ، ولكن حبيباً ابن أخيه عبد الرحمن لم يسكت لمقتل أبيه وانضم إليه عمران ، ودارت رحى حرب طويلة انتصر فيها حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمه إلياس وقتله ، وتولى أمر إفريقية . وهرب عبد الوارث أخو إلياس وحليفه إلى قبيلة من البربر تسمى ررفجومة وأثارها على حبيب بن عبد الرحمن ، ولم يستطع هذا الثبات لورفجومة وزعيمها حاصم بن جميل ، فانهزم وقتل في المحرم سنة ١٤٠/ مايو ٧٥٧ . « وكانت ولاية عبد الرحمن ابن حبيب ١٠ سنين وأشهرًا ، وولاية إلياس ٦ أشهر ، وولاية حبيب بن عبد الرحمن سنة واحدة و٦ أشهر » . النويرى : ٤١ -

(١) بياض بالأصل ، يمكن ملؤه بعبارة مثل « وبنوه لك أيام » .

(٢) لم أجد تعريفاً لهذا اليوم فيما بين يدي من المراجع .

٢٥ - عبد الله بن الجارود العبدي ، ويقال له عبديوه

لما غلب على القيروان ، وأخرج الفضل بن روح ثم رده وأرداه ، بعد صيته واستغلظ أمره ؛ وزحف إليه مالك بن المنذر السكبي من « ميلة » في جند حمص ثائرين بالفضل ، فصرع مالك بسهم في تقاتلها ونجا ابن الجارود . ثم زحف إليه العلاء بن سعيد المهلبى من الزاب - ولم تكن لابن الجارود به طاقة - فصادفه قد خرج من القيروان ليلقى خليفة هرثة بن أعين ، وقد قدمه بين يديه ، وذلك [٢ - ٣] / مُستهل صفر سنة تسع وسبعين ومائة . وكان الرشيد لما بلغه خبر ابن الجارود قد وجه إليه من تلطف به حتى أقدمه عليه ، وكانت أيامه سبعة أشهر . وقدم هرثة بن أعين والياً على إفريقية .

ومن شعره عند فتكه بمحمد بن الفارسي ، وكان من أصحابه ثم خرج عليه في أهل خراسان ومن أطاعه ، وتناهضوا للحرب فمكر ابن الجارود به ، ودعاه إلى الكلام ، وأمر شجاعاً من فرسانه إذا رآه معه أن يفتك به ، فتم ذلك وانهمز أصحابه . وقال ابن الجارود في ذلك ^(١) :

(١) سبق أن ذكرنا ابن الجارود وما كان من حربه مع الفضل بن روح بن حاتم . وجميع الرجال الذين ذكرهم ابن الأبار هنا ورد ذكرهم عند ابن عذاري (١/٨٦ - ٨٨) والنويري (١٢٧ - ١٣٠) . أما الحادثة التي أوجزها ابن الأبار هنا فقد أوردها النويري بتفضيل يهمننا منه هنا أن محمد بن يزيد الفارسي - الذي يغلب على ظننا أنه ابن واقد أيضاً - كان من رجال الفضل بن روح بن حاتم وأنصاره ، ثم انقلب عليه وانضم إلى ابن الجارود طالما كان السلطان له . فلما أقام هارون الرشيد هرثة بن أعين عاملاً على إفريقية أرسل معه رجلاً من ثقاته منهم يقطين بن موسى ، وكان من كبار جند الخراسانية ، وكان ذفر كبير من جند الإفريقية الخراسانيين ، وبتأييدهم تمكن ابن الجارود من هزيمة الفضل بن روح بن حاتم ومن كان يؤيده من الجند العربي . وقد تمكن يقطين من إقناع ابن الجارود بالعودة إلى الطاعة ، ولكنه تلكأ في الخروج إلى بغداد . فلجأ يقطين إلى الحيلة ، واتفق مع محمد بن يزيد الفارسي على أن -

لقد رامنى ابنُ الفارسى بكيدِهِ فوافقَ أمضى منه عزماً وأكيداً
 عشيةً أدعوه^(١) ليسمع منطقى فأعجزه إصدارُ ما كان أوردا
 فداريتُهُ حتى اطمأن جنانه وكنتُ امرأً مثلَى أغار وأنجدا
 أشرتُ إلى ذى نجدة^(٢) فانكفاله بأسمَرِ خَطِيٍّ إذا مال أقصدا
 فما زال قابَ القوسِ إلا وعامل^(٣) من الرميحِ دامٍ بينَ خَضَنِيهِ^(٤) قدبدا
 فقل للعلاء^(٥) : قد أصابتُ محمداً مَنِيَّةُ يومٍ ، فارتقبُ مثلها غداً

= يترك ابن الجارود « ووعده بالتقدم وقيادة ألف فارس وصلة وقطيعه في أى المواضع شاء ، على أن يفسد حال عبد الله بن الجارود ، ففعل ذلك ، وسعى في إفساد الخواطر على ابن الجارود » ، وقد عرف ابن الجارود كيف ينتقم منه . فلما التقيا للحرب دعاه للتحدث معه كأنه يريد أن يعرض عليه امرأ قبل القتال ، فانخدع محمد بن يزيد الفارسى وخرج إليه ، وكان ابن الجارود قد أرصد له رجلا من أنصاره يسمى أباطالب ، فانقض عليه أثناء الحديث وقتله .

(١) الأصل : يدعوه ، وقد قومتها للسياق .

(٢) الإشارة هنا إلى أبى طالب الذى ذكرناه .

(٣) عاملُ الرميحِ وعاملته صدره دون السنان ، ويجمع عوامل ؛ وقيل عامل الرميح

ما يلى السنان (اللسان : ٥٠٥ / ٤) .

(٤) كذا فى الأصل ، والحركات واردة فى المخطوط . ولم أجده فى المعاجم ، والأغلب

أنه « حَضَنِيهِ » ومعناه هنا : جنبيه .

(٥) هو العلاء بن سعيد ، كان والياً للفضل بن روح بن حاتم على الزاب ، فلما قتل ابن

الجارود الفضل بن روح بمعاونة الجند الخراسانية نهض قادة العرب بمن معهم للثأر منه ، وقد تولى ذلك شمدون القائد . وكان أول من استجاب للنداء أبو عبد الله مالك بن المنذر الكلبي عامل

« ميلة » ، فالتقى مع ابن الجارود فانهزم وقتل ، فأرسل شمدون إلى العلاء بن سعيد فاستقدمه

من الزاب ، وكان فى جنده عدد عظيم من البربر ، فأقبل العلاء بن سعيد إلى الأربس - وهو الموضع الذى قتل فيه أبو عبد الله مالك بن المنذر - واجتمع بشمدون القائد وفلاح بن عبد الرحمن الكلاعى

وغيرهما من القواد . وفى هذه الأثناء أرسل الرشيد هرثمة بن أعين أميراً على إفريقية ، فأرسل

هرثمة يقطين بن موسى ، وكان من رؤساء جند الخراسانية ، ليقنع ابن الجارود بالدخول

فى الطاعة ، فلما أبلغه نبأ استعمال الرشيد هرثمة أجاب بالسمع والطاعة ، لكنه رفض الخروج =

وهو القائل أيضاً في مصرع مالك بن المنذر ، يخاطب العلاء بن سعيد
عند ما زحف إليه :

أفي كلِّ يومٍ نائزٌ قتلته بفضلٍ^(١) ، وما ينفكُّ للفضلِ نائزٌ
قضيتُ لنفسِي النَّذْرَ في قتلِ مالكٍ وإني لها قتلَ العلاءِ لناذرٌ
فما للعلاءِ خيرةٌ في لقائنا وليس له في الناسِ إن فرَّ عاذرٌ

٢٦ - مالك بن المنذر الكلبي ، أبو عبد الله

كان والياً على « ميلة » ، فدعاه جند حصص وغيرهم من العرب فأمره
لطلب نأر الفضل بن روح . واجتمع إليه الناس والتقى هو وابن الجارود فانهزم
أصحابُ مالك ، فترجّل عن فرسه وشدّ في نفرٍ من أصحابه وهو يقول :

يا موتُ إني مالكُ بنُ المنذرِ أهتِكُ حَشَوَ البَيْضِ والسَّنَوَرِ
[٢٥-١] / أَقْتُلُ مَنْ صَابَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرِ كَأَنِّي أَفْعَلُ مَا لَمْ يُقْدَرِ

= من إفريقية وقال : « . . ومع العلاء البربر ، فإن تركت الشغروث البربر فأخذوه ، وقتلوا
العلاء ، ولا يدخله وال لأمير المؤمنين أبداً ، فأكون أشأم الخلق على هذا الشجر ، ولكن أخرج
إلى العلاء ، فإن ظفري فشأنكم بالشجر ، وإن ظفرتُ انتظرتُ قدوم هرثمة . . » . ولم يستطع
ابن الجارود أن يهزم العلاء ، بل اضطر إلى مغادرة إفريقية . وقد استولى العلاء على القيروان
بعد ذلك ثم دخل في طاعة الرشيد وقال إنه صاحب الفضل في إخراج ابن الجارود من المغرب
وتخليصه منه ، فأجازه هرثمة بجائزة سنوية ، وأرسل إليه الرشيد ١٠٠ ألف درهم سوى الكساء ،
وخرج يريد بغداد فات بمصر ، وكان ذلك سنة ١٧٩ هـ ٧٩٥ . النويري ١٢٩ - ١٣٠ .
(١) يريد الفضل بن روح بن حاتم .

نخرج إليه ابن الجارود وهو يقول :

إلى فاذن ، مالك بن منذر أنا الذى قتلت رب المنبر^(١)
جرته كأس الحمام الأحمر فاصبر ستلقاه وإن لم يصبر
فقتل مالك بسهم وانهم أصحابه .

٢٧ - العلاء بن سعيد بن مروان المهلبى

كان والياً على الزاب ، فأقبل منها لمحاربة ابن الجارود . ولما وصل إلى
الأربس اجتمع مع أهل الشام ، وبلغ ذلك ابن الجارود فقال : « أفي كل يوم
تأثر قد قتلته » . . الأبيات الرائية المتقدمة ، وكتب إليه كتاباً معها فجاوبه
العلاء عنه وقال يخاطبه :

لعمرك يا عبْدوى ما كنت تاركاً دم الفضل أو يكسُوني التراب تأثر
نذرت دمي فانظر إذا ما لقيتني على من بكأسيتها تدور الدوائر
ستعلم إن أنشبت فيك مخالبي إلى أي قرن أسلمتك المقادير
ثم أقبل العلاء فصادف ابن الجارود قد خرج إلى يحيى بن موسى خليفة
هرثة بن أعين ، فكان العلاء يدعى أنه الذى أخرج ابن الجارود من إفريقية .

(١) الإشارة هنا إلى الفضل بن روح بن حاتم أيضاً .

٢٨ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مزين الأودي^(١)

أصل سلفه من أكشونية ، وصارت بها لعقبه رئاسة بعد افتراق الجماعة بقرطبة إلى أن غلب على آخرهم المعتضد عباد بن محمد صاحب إشبيلية .

وسكن إبراهيم هذا - وهو والد يحيى بن إبراهيم بن مزين الفقيه صاحب تفسير الموطأ - قرطبة ، وكان يتعاقب مع الحجاب وجيله الوزراء والقواد في أيام الحكم بن هشام . ثم ولاء إمارة طليطلة أعواماً متصلة ، وكان قد وليها قبله جده إبراهيم بن مزين الكاتب ، وابن الفرضي يجعل بني مزين موالى

[٢٥ - ب] رَمَلَةُ بِنْتِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ / رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ هُوَ الْقَائِلُ :

يَا بِي أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ مَلِيحٍ لَيْسَ فِيهِ لَعْنٌ تَأْمَلُ «لَوْلَا»
رَوْضَةُ الْحُسْنِ فِيكَ تُزْهِى وَلَكِنْ كُلُّ حَوْلٍ يَبْقَى رَبِيعُكَ حَوْلًا

٢٩ - محمد بن مقاتل بن حكيم العكّي

ولاه الرشيد إفريقية بعد هرثمة بن أعين ، وكان - فيما يقال - رضيع

(١) بنومزين أسرة معروفة في الأندلس ، وأشهر رجالها محمد بن عيسى بن مزين المؤرخ والفقيه المعروف . ولم أجد عن إبراهيم هذا إلا إشارة يسيرة يبدو أنها تدور على جده إبراهيم بن مزين أيضاً (الضبي ، بغية الملتبس ، رقم ٥٢١ ص ٢١٠) . أما يحيى ابنه فقد ترجم له ابن الفرضي وقال إنه مولد رملة بنت عثمان بن عفان رضي الله عنه ، من أهل قرطبة وأصله من طليطلة ، وهو تلميذ عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى والغازي بن قيس وطبقته ، أي أنه من الطبقة الثانية من مالكية الأندلس . وله كتب كثيرة ذكرها ابن الفرضي (رقم ١٥٥٦ ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧) توفي ١٢ جمادى الأولى ٢٥٩/١٧ مارس ٨٧٢ .

الرشيدي . وكان جعفر بن يحيى شديد العناية به ، فقدم القيروان سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان ، وكان أبوه مقاتل بن حكيم من كبار القائمين بالدعوة العباسية ، وحضر مع قحطبة بن شبيب حروب الروانية ، ثم قتله عبد الله بن علي لما خلع وادعى الأمر .

ولم يلبث محمد بن مقاتل أن اضطرب أمره ، واختلف عليه جنده ، وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي — وكان عاملاً عليها ، وهو جد أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام صاحب « طبقات إفريقية » — فزحف إلى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، فخرج إليه ابن العكبي فانهزم ، ودخل تمام القيروان في آخر رمضان المذكور ، فأمنه على دمه وماله على أن يخرج عنهم .

وكان إبراهيم بن الأغلب والياً على الزاب ، فنهض منها في نصرة محمد بن مقاتل . وعلم تمام أنه لا طاقة له به ، فتخلى عن القيروان ورجع إلى تونس .

ودخل إبراهيم القيروان ، فبدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم صعد المنبر فخطب الناس وأعلمهم أن أميرهم محمد بن مقاتل . وكتب إليه فأقبل راجعاً^(١) .

وأراد تمام أن يحرض بينهما فسكتب إلى محمد بن مقاتل كتاباً في آخره^(٢) :

وما كان إبراهيم من فضل طاعة
يرد عليك الشجر لكن لتقتلا
فلو كنت ذا علم وعقل بكيديه
لما كنت منه يا ابن عك لتقبلا
فهما تشا يمنحك منه ابن غالب
ومهما يشا فيك ابن أغلب يفعلا

(١) أورد النويري (١٣١ - ١٣٢) وابن عذاري (٩٠/٢) الخبر بتفصيل . قال ابن عذاري : « فدخل ابن الأغلب القيروان ، وابتدر المسجد الجامع ، وصعد المنبر ، وكان بليغاً ، فأعلم الناس أنه ما وصل إلا لنصرة محمد بن مقاتل ، وأنه هو أميرهم المقدم عليهم من أمير المؤمنين ، وكتب إلى العكي يخبره بما فعل في حقه ، ويؤكد عليه في الوصول ، فأقبل راجعاً . . . »

(٢) راجع نص هذا الكتاب عند ابن عذاري : ٩١/٢ .

فجاوبه العكي بنقيض ذلك وكتب في أسفل كتابه :

[٢٦-١] / وإني لأرجو إن لقيت ابن أغلب غداً في المنيا أن تُفَلَّ وتُقتلا
 مُتلاقي فتى يستصحب الموت في الوغى ويحمي بصدر الرمح عزاً مؤثلاً
 كأنك قد صاحت في بطن كفه من البيض محمود المهزة متمصلاً
 وأقبل تمام ثانية في عسكري ضخم ، فخرج إليه إبراهيم وابن العكي وراه ،
 فانهزم تمام عند التقائهما . وعاد ابن العكي إلى القيروان واتبعه^(١) إبراهيم
 إلى تونس ، فطلب منه الأمان فأمنه ورحل به إلى القيروان . وبعقب هذا ورد
 كتاب الرشيد بعزل ابن العكي وتولية إبراهيم بن الأغلب .

٣ - الخصيب مولى ابن العكي

قدمه محمد بن مقاتل مولاة لحرب مخلد بن مرة^(٢) — الخارج عليه قبل
 تمام بن تميم — وأمره على الجيش الناهد مصحبه ، فصبح القوم آمن ما كانوا ؛

(١) الضمير هنا عائد على تمام بن تميم . ويبدو أن الناسخ أسقط هنا شيئاً ، وإليك الخبر
 كما يقصه ابن عذاري في حوادث ٧٩٩٪١٨٢ و ١٨٤/٨٠٠ : « وأقبل تمام من تونس بمسكر
 عظيم ، وأمر ابن العكي من معه من أهل الطاعة بالخروج إليه مع إبراهيم بن الأغلب ، فتقاتلوا
 قتالاً شديداً ، فانهزم تمام ، وانصرف ابن العكي إلى القيروان ، وأمر إبراهيم بن الأغلب
 بالسير إلى تونس . وفي سنة ١٨٤ خرج العسكر من القيروان لحصار تونس وقتال تمام وذلك
 في المحرم منها ، فلما بلغ تماماً إقباله طلب الأمان منه ، فأمنه إبراهيم ، وأقبل به إلى القيروان
 يوم جمعة ، ثمان خلون من المحرم المذكور » (٩٢/٢ - ٩٣) .

(٢) زيادة في التعريف بالحوادث التي يذكرها ابن الأبار هنا نورد الفقرة التالية من
 « نهاية الأرب » للنويري (ص ١٣١) : « ولما كتب هرثمة [ابن أعين] إلى هارون [الرشيد]
 يسأله الإعفاء وجه محمد بن مقاتل [العكي] أميراً للغرب ، وكان رضيع هارون ، فقدم القيروان
 في شهر رمضان سنة ١٨١ ، ولم يكن بالمحمود السيرة ، فاضطربت عليه أحواله واختلفت جنده ، =

وهم خمسمائة من أهل خراسان والشام . وكان الذي هاج ذلك فلاح بن عبد الرحمن الكلاعي ، فقتل مخلد بن مرة أميرهم وعدة ممن كان معه ، وانهمزم أصحابه إلى تونس . ومّر الخصيبُ بمنزل فلاح فأحرقه ، وأخذ امرأته فانطلق بها وقال في ذلك :

لو كنت حُرًّا يا فلاحُ صبرت لي وحميت عرسك والفتى يحمي
لكن هربت من القراع وأسلمت كفالك حرمتها على الرغم
ما النجمُ أبعد منك - لو طالبتهُ لتناله بيدك - من سلمِي

٣١ - تمام بن تميم الدارمي التيمي ، أبو الجهم

القائم على ابن العكي المذكور آنفاً

وهو ابن عم إبراهيم بن الأغب . قد تقدم من خبره وشعره ما أغنى عن إعادته هنا ؛ وفي « الكتاب المُعرب عن أخبار المُعرب » تأليف أبي علي الحسن بن أبي سعيد القيرواني ، أن تماماً هذا لما سمع بحركة إبراهيم بن الأغب إليه من الزّاب في محاربتة ونصر ابن العكّي ، كتب إليه كتاباً يستدعيه ويستمطفه وكتب في أسفله :

= وكان سبب الاضطراب عليه أنه اقتطع من أرزاق الهند وأساء السيرة فيهم وفي الرعية ، فقام فلاح [بن عبد الرحمن الكلاعي القائد] ، ومشى في أهل الشام وخراسان ، حتى اجتمع رأيهم على تقديم مرة بن مخلد الأزدي (وفي مخطوط آخر : الأسدى ، وكذلك عند ابن عذارى وابن الأثير) وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التيمي ، وكان عامله عليها ، فبايعه جماعة من القواد وأهل الشام وأهل خراسان ، فخرج في النصف من شهر رمضان سنة ١٨٣ إلى القيروان ، وخرج إليه ابن العكّي ، فيمن معه ، فقاتله قتالا شديداً في « منية الخيل » فانهزم ابن العكّي ، ودخل القيروان ، وتحصن في دار كان قد بناها ، وجلا عن دار الإمارة . . . ، وقد أضفت الحواصر والأقواس وما بينها. زيادة في التوضيح .

[٢٦-ب] / أقدم إبراهيمَ علماً بفضلِهِ وحُقَّ له في الأمر أن يتقدماً
 وقلتُ له : فاحكمْ فحكمتُك جازئاً علينا فقد أصبحتَ فينا مُقدماً
 ورُدُّ في بلاد الزابِ ما شئتَ قادراً وإن شئتَ ملكَ العربِ خذهُ مسأماً
 فجاوبه ابن الأغلِبِ بخلاف ذلك وكتب إليه في أسفل كتابه :

دعوتَ إلى ما لو رضيتُ بمثله لما كنتُ — يا تمام — فيه مقدماً
 سأجعلُ حُكْمِي فيكَ ضربةَ صارمٍ إذا ما علا منك المَفارِقُ صمماً
 ستعلمُ لو قد صاحفتك رماحنا بكفِّ المنايا ، أينما كان أظلماً

فذكر عن فلاح الكلاعي أنه قال : « كنت عند تمام يوم قرأ كتاب
 إبراهيم ، فذهب لونه ثم ارتعد حتى سقط الكتاب من يده » . وكان صارماً
 شجاعاً ممدحاً ، وفيه يقول الفضل بن النهشلي يمدحه من قصيدة :

أصحتُ ومنزلها مِصرٌ ومنزلنا بالقيروان ، ويا تشواق مُغترِبِ
 أخا بني نهشلي ، دَعَاها فقد نزلتُ وامدحُ قريعَ مَعَدِيٍّ واحدَ العربِ
 تمامُ كَبِشُ بنِ عَدْنَانَ قاطبةً الدارميُّ الكَرِيمُ البيتِ والنسبِ
 الفارسُ البطلُ الحامي حقيقتهُ والناعِشُ الرائِشُ الفَرَّاجُ للكُربِ
 تأوى إليه نِزارٌ حين يَدُهُمَا ريبُ الزمانِ وتخشى سطوة النُوبِ
 أعطتُ بنو دارمٍ في المجد رايتهَا بنو المُجاشِعِ يومَ الفخرِ والحسبِ

قال أبو العرب ، وذَكَرَ ولايةَ جدِّه تمام هذا إفريقيَّةَ بعدَ محمد بن مقاتل
 العسكِيِّ : « تمامُ بن تميم : هذا هو جدُّنا ، هو ابن القادم من المشرق » . قال :
 « وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة ببغداد » .

وفي « الكتاب المَعْرِبِ عن أخبار المغرب » أن إبراهيم بن الأغلِبِ لما صار
 الأمرُ إليه بعث به وبجماعة معه — من وجوه الجند الذين كان شأنهم الوثوب

على الأسماء — إلى الرشيد ، فأما تمام فإنه حُبس إلى أن مات في حبسه .

وَحُكِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ / وَعَدَ إِخْوَانَهُ سَلَمَةَ بْنَ تَمِيمٍ إِطْلَاقَهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ [٢٧-١]
ابن الأغلب فكتب إلى عمته وهي ببغداد في سَمِّه ، فاشتبهى تمام حوتاً فسَمَّته
له ، فمات من أكله بعد أن ذهب بصره في المَطْبِقِ قَبْلَ موته بشهر . وَعَلِمَ
الرشيدُ بذلك فترحم عليه وتوجع له ، وأحسنَ إلى سَلَمَةَ أَخِيهِ وَصَرَفَهُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ .

٣٢ — إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، أبو إسحق

ولاه الرشيدُ إِفْرِيقِيَّةَ بعد محمد بن مقاتل العَكِّيَّ فاستقلَّ بِمُلْكِهَا وَأورثَ
سلطانها بنيه نيفاً على مائة سنة . وكان فقيهاً عالماً أديباً شاعراً خطيباً ، ذا رأى
وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها ، جرىء الجنان طويل اللسان حسنَ
السيرة ، لم يَلِ إِفْرِيقِيَّةَ أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنَ الأُمَرَاءِ أَعْدَلَ فِي سِيرَةٍ وَلَا أَحْسَنَ لِسِيَّاسَةٍ
وَلَا أَرْفَقَ بِرَعِيَّةٍ وَلَا أَضْبَطَ لِأَمْرِ مِنْهُ .

وكان في أول حالته كثيرَ الطلب للعلم والاختلاف إلى الليث بن سعد
الفقيه ؛ والليثُ وَهَبَ لَهُ « جَلَّاجِلَ » أُمَّ ابْنِهِ زِيَادَةَ اللَّهِ ، فخرج بها حتى وصل
الزاب — وعلى إفريقية يومئذ الفضلُ بنُ رُوْحِ بْنِ حَاتِمٍ — فلقى من تعصُّبه
وسوء مجاورته عظيماً . وأقام أخوه عبد الله بن الأغلب بمصر ، وكان ذا نعمة
عظيمة ، فلما توفي ارتحل بنوه إلى إفريقية .

وولى الزاب من قبل هارون الرشيد وابن العَكِّيَّ على إفريقية ، وقد تقدم
ذِكْرُ نُصْرَتِهِ لِابْنِ العَكِّيَّ إِلَى أَنَّ صُرِفَ بِإِبْرَاهِيمَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .

وتوجه إلى المشرق ، فلما بلغ طرابلس دَلَسَ له كاتبه داوود القيرواني على لسان
الرشيد كتاباً بإقراره على إفريقية وانصرافه إلى عمله ، فتمشى ذلك زماناً .
وبلغ الرشيد فغاضه ، وأسجل لإبراهيم بولاية إفريقية ثانية ، فاشتد عند ذلك
سلطانُه وعظمُ دون الملوك الذين تقدموه شأنه ، وخرج ابنُ العكبي من إفريقية
وأعمالها . وعلى هذه الحال لم يُكافِ إبراهيم على حُسن ما أسلفه في جانبه
إلا بأقبح الأفعال .

ومن فضائل إبراهيم الماثورة ، وجلائل أنبائه المسطورة ، أنه عفا عن داوود
كاتب ابن العكبي وأسقط التثريبَ عليه وقبِلَ مقابله فأمنه واستعمله ، وقد
ذكرتُ ذلك في تاليفي المترجم بـ « إعتاب الكتاب »^(١) ، وهو القائل وقد
خلف أهله بمصر في قصده الزَّاب :

[٢٧-ب] / ما سرتُ ميلاً ولا جاوزتُ مرحلةً إلا وذكرِكُ يثني دائماً عنقِي
ولا ذكرتكُ إلا بتُّ مُرتَفِقاً أرعى النجومَ كأنَّ الموتَ مُعتنقِي

البيت الأول نظير قول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في زوجه :

إذا سرتُ ميلاً أو تغنَّتْ حمامةٌ دعنتي دواعي الشوق من أمِّ خالدٍ

وكان محمد بن سيرين يقول : « هو أشوق بيت قالته العرب » .

وقال إبراهيم وهو بالزاب في قتل ابن الجارود للفضل بن رَوْح بن حاتم ،
وقد بلغه أن نصر بن حبيب المهلبى^(٢) أشار بردَّ الفضل من طريقه ، لأنه خاف

(١) انظر: إعتاب الكتاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صالح الأشر (مطبوعات

مجمع اللغة العربية بدمشق) دمشق ١٩٦١ ، رقم ص ١٠٥-١٠٧ .

(٢) نصر بن حبيب المهلبى ، رابع من تولى أمر إفريقية من المهالبة ، وليها في ٢٠

رمضان ١٧٤/٣١ يناير ٧٩١ بعد موت رَوْح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صبرة ، =

أن يُحدث حدثاً فيقتله ابنُ الجارود بسببه^(١) :

يا نصرُ قد أصبحتَ ألامَ من مَفَى منكم^(٢) وألامَ حاضرٍ معلومٍ
لما أشرتَ بردٌ فضلٍ بعدما قطعَ البلادَ على أقب^(٣) رَسومٍ
لم تروضَ بالخذلانِ حتى كِدته لا زلتَ مخذولاً بغيرِ حميمٍ
ما كنتَ حينَ غدوتَ تنشرُ لحيّةَ فيها لِقومِكَ غَدرةٌ بكرِيمٍ
لو كان نادى أجبتُ دعاه بالخيلِ أقمِها بسعدِ تميمٍ^(٤)
خيلٌ بها أهدي المنايا للعدى وبها أفرجَ كُرْبَةَ المكظومِ

= وكان هذا الأخير شيخاً مسناً غلب عليه الضعف حتى كان يغلبه النعاس إذا جلس للناس ، فكتب أبو العنبر القائد وصاحبُ البريد إلى الرشيد يقترحان تولية نصر بن حبيب سرّاً ، حتى إذا مات الفضل لم يضطرب الأمر ، فأجاب الرشيد . وعندما توفى روح بن حاتم في التاريخ المذكور حاول ابنه قبيصة أن يتولى الأمر بدون عهد ، ولكنه اضطر للتخلي لنصر عندما تبين أن الرشيد عهد إليه . وقد أقام نصر والياً على المغرب سنتين وثلاثة أشهر ، إذ عزل بالفضل بن روح بن حاتم في المحرم ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

انظر : النويري ، ص ١٢٧ .

(١) يفهم من هذا أن إبراهيم بن الأغلّب قال هذه الأبيات قبل ولايته أمر إفريقية بزمن طويل ، فقد قتل الفضل سنة ١٧٨ / ٧٩٤ ، وتولى إبراهيم إفريقية في منتصف جمادى الآخرة سنة ١٨٤ / يونيو ٨٠٠ . وظاهر من الأبيات أن ابن الأغلّب كان يتهم نصر بن حبيب المهلبى بأنه كان سبب قتل الفضل بن روح بن حاتم على يد ابن الجارود . وذلك أن هذا الأخير بعد أن هزم الفضل ودخل القيروان أخرج الفضل منها وتركه ليعود إلى المشرق ، ثم رده برأى نصر بن حبيب المهلبى كما يفهم من ذلك الخبر : وكانت النتيجة أن قتل الفضل وأخرج بقية بنى المهلب من إفريقية . ويبدو أن نصر بن حبيب فعل ذلك انتقاماً من الفضل ، لأن هذا ، بعد وفاة أبيه روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب في رمضان سنة ١٧٤ ، ذهب إلى بغداد وأقام على باب الرشيد يلح في طلب الولاية حتى أجيب إلى طلبه ، فعزل نصر بن حبيب وتولى الفضل في المحرم ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

(٢) الإشارة هنا إلى بنى المهلب .

(٣) الفرس الأقب هو الذي لحقت غلصرتاه بحالبيه ، كناية عن الضمور . اللسان :

١٥٢ / ٢ . والرّسوم هو الفرس اللين السير مع سرعتة .

(٤) من المعلوم أن بنى الأغلّب تميميون .

وقال أيضاً في دخوله القيروان قائماً بنصرة ابن المكي وهرب تمام بن
تميم أمامه :

لو كنتُ لاقيتُ تماماً لصالَ بهِ ضربٌ يفرِّقُ بين الروح والجسدِ
لكنه حين شام الموتَ يقدُّمني ولَّى فراراً وخرى لي عن البلدِ
إن يستقم نَفْءُ عما كان قدَّمهُ وإن يقدُّ بعدها في غدرةٍ نَعْدِ

ثم نزل عن المنبر وكتب إلى محمد بن مقاتل يستعيده إلى عمله وقال
في ذلك :

أنشكرُ عنا ما صنعتُ برَّبِّها^(١) وردى عليها الثغرَ أم هي تكفُّرُ؟
[٢٨-١] / نَفَيْتُ لها التمامَ^(٢) بالسيفِ عنوةً ولم يُغْنِه في الله ما يتَمَضَّرُ
فأقبلُ إلى ما كنتُ خلَّفتُ كارهاً فقد زاد سيني عنك ما كنتُ تحذرُ

وقال أيضاً في ذلك :

ألم ترني رَدَدْتُ طريدَ عكٍ وقد تَزَحَّتْ بهِ أيدي الركبِ
أخذتُ الثغرَ في سبعين مِنًا وقد أوفى علي شرف الذهبِ
هزمتُ لهم يَعدُّتهم أوفًا كأنَّ رَعِيْلَهُمْ قزَعُ السحابِ

قال إبراهيم هذا لأنه قصد لنصرة ابن العكبي في سبعين فارساً من أهل بيته
وخاصته إقداماً ونجدة ، فقال بعضُ شعراء إفريقية في ذلك :

ما سر يوم لإبراهيم نعلمهُ إلا وشيئته للجود والباسِ

(١) المراد برَّبِّها هنا وإليها أوجا كلها ، والإشارة إلى تمكنه من رد محمد بن مقاتل
المكي إلى الولاية بعد هروبه .

(٢) التمام هو تمام بن تميم التميمي .

ولما حارب تماماً وابن العكبي بالقيروان ، حمل على الميمنة وهو يقول :
أطعنهم ولا أرى لي كفواً حتى أنال ما أريدُ عفواً
أو أخسون كأس المنايا حسواً

ثم رجع إلى اليسرة بعد أن كسر الميمنة وهو يقول :
قد علمتُ سعدٌ وأبناء مضرٍ أتى مننتُ عزها أن يُعْتَصِرَ
وأنتى فخارها لمن فخر

فَنَضَّهَا ، ثم رجع إلى القلب فشدَّ عليه وهو يقول :
يا قلبُ قد أبصرتَ صاحبيكا ما لقيتُ مني فخذُ إليكا
خرباً يَمُورُ وَقَمُهُ عَلَيْكَ كيف ترى دَفَعِي بِجَانِبَيْكَ

وحمل أصحابه فكانت الهزيمة على تمام .

وله حين وجه بمن كان يخاف أمرهم من وجوه الجند إلى الرشيد^(١) :

ما سار كيدي إلى قومٍ وإن كَثُرُوا إلا رَمَى شِعْبَهُمْ بِالْحَزْمِ فَانصَدَعَا
ولا أقولُ ، إذا ما الأمرُ نازَلَنِي « يالَيْتَهُ كَانَ مَصْرُوقاً ! » ، وقد وَقَعَا
/ حتى أُجَلِّيَهُ قَهراً بِمَعْتَزِمٍ كما يُجَلِّي الدُّجَى بَدراً إذا طَلَعَا [٢٨-ب]
قوماً قَتَلْتُ وقوماً قد نَفَيْتَهُمْ ساموا الخِلافاً بأَرْضِ القَرَبِ والبِدَعَا
كُلًّا جَزَيْتَهُمْ صَدْعاً بِصَدْعِهِمْ وكلُّ ذِي عَمَلٍ يُجْزَى بما صَنَعَا

(١) سبق أن ذكر ابن الأبار كيف أرسل إبراهيم بن الأغلّب تمام بن تميم التميمي وأخاه سلمة إلى بغداد ، حيث حبسه الرشيد في المطبق حتى مات فيه . وجاء في نهاية الأرب للنويري : « فلما صار الأمر إلى إبراهيم بن الأغلّب بعث تماماً بن تميم وغيره من وجوه الجند الذين شأنهم الوثوب على الأمراء إلى بغداد ، فحسوا في المطبق » (ص ١٢٣) .

وله أيضاً وهو من جيد شعره :

ألم ترني أزديتُ بالكيدِ راشداً وأنى بأخرى لابنِ إدريسٍ راصداً
تفاوله عزمي على بآيِ داره بمخومةٍ في طيِّينِ المكائدُ
وقد كان يرجو أن يفوتَ مكائدي كما كان يخشاني على البعدِ راشداً
ثلاثون ألفاً سقتهنَّ لقتله لأصليحَ بالغربِ الذي هو فاسداً
فأضحى لدينا راشداً ينتبذنه بناتُ المفايا والحسانِ الخرائدُ
فما أخو عاكٍ بتهلكِ راشداً وقد كنتُ فيه ساهراً وهو راقداً^(١)

راشد هذا هو مولى عيسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وكان عاقلاً شجاعاً أيداً ، خرج بإدريس بن عبد الله أخى مولاه عند انهزامه في وقعة « فنج » — وقد تقدم ذكرها — وانغمس به في حاجج أهل مصر ، وغير زيه وأبسه مدرعةً وعمامة غليظة ، وصيره كالغلام يخدمه ، وإن أمره ونهاه أسرع في ذلك . وتخلص إلى إفريقية في خبر طويل ، فترك دخولها ثم سار به في بلاد البربر حتى انتهى إلى فاس وطنجة ، فأظهر إدريس هنالك أموره وأخبر بنسبه ، ودعا البربر إليه فأجابوه ، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة ، في السنة التي توفي فيها عبد الرحمن بن معاوية وولى ابنه هشام الرضا ، وفي السنة الثانية من خلافة هارون الرشيد ، أقام بين أظهر البربر ملكاً مطاعاً . وبلغ الرشيد خبره فشق عليه ، وشكا ذلك إلى يحيى بن خالد قدس إليه من

(١) سيفصل ابن الأبار بعد ذلك كيف دبر إبراهيم بن الأغلب قتل راشد ، وكان ذلك أثناء ولايته للزاب ، أي قبل أن يلى إفريقية ، وسيدكر كيف أن محمد بن مقاتل العكي زعم خاروت الرشيد أنه هو الذي قتل راشداً ، ثم علم الرشيد بذلك ، فكان من أسباب توليته إفريقية . وهذه الأبيات ظاهرة النحل ، فهي تخلط بين مقتل راشد وموت إدريس الأول مسموماً .

سَمَّه في غالية ، وقيل في ذرور^(١) استنَّ به ، وقيل في دُلَاعَة^(٢) قطعها بسكين ،
نصفها مسموم والثاني غير مسموم ، وقيل في بطيخة . وهرب هو / وصاحب له ، [٢٩-١]
فيقال إن راشداً اتبعهما وقد بعدا فأدركما وهو وحده على فرسه ؛ فشده عليهما
بسيقه فضرب أحدهما وفات الآخر ؛ وانصرف راشد وهلك إدريس .

ويقال إن الذي دسَّ الرشيدُ إليه ليسمه هو الشماخ اليمامي^(٣) ، وكتب له
إلى إبراهيم بن الأغلب . فوصل إلى إدريس وعرفه أنه مُتَطَبَّبٌ وأنه من
أولياهم ، فاطمأن إليه وأنس به . وشكا إليه عِلَّةً في أسنانه ، فأعطاه سنوناً
مسموماً وأمره أن يستنَّ به عند طلوع الفجر ، وهرب تحت الليل . فلما طلع
الفجر استنَّ إدريس بذلك السنون فقتله ، وطُلب الشماخ فلم يُقدر عليه . وقدم

(١) الذرور كل مسحوق يتداوى به ، والسنون كل مسحوق يستعمل دواءً للأسنان ،
وكانوا يستنون أو يستاكون به .

(٢) الدُّلَاعَة مفرد دُلَاعٍ ، وهو البطيخ أنواع منه ، وقد عرفه صاحب الكتاب المنصوري
بأنه البطيخ الهندي أو السندي نسبة إلى السند (ومن هنا تسمى البطيخة في إسبانيا إلى اليوم sandia)
ويسمى أيضاً البطيخ الفلسطيني ، وقال أبو القاسم الزهراوي إنه البطيخ الشامي . ويفهم من النص
هنا أن الدلاع غير البطيخ ، أو أنه صنف منه على أي حال . وقد قال الرحالة ريتشاردسون إن الدلاع
بطيخ صغير مر الطعم . وفي المغرب إلى اليوم يسمى البطيخ : دُلَاح ، أما ما تعرفه بالشام فيسمى
البطيخ ، وعلى هذا فيكون تفسير عبارة ابن الأبار أن إدريس الأول سمَّ في شامة أو بطيخة .
والروايات كثيرة عن ذلك الحادث .

انظر : دوزي ، ملحق القواميس : ١ / ٤٥٧ .

وروض القرطاس لابن عبد الحلیم أو ابن أبي زرع ، طبعة حجر في فاس ، ص ٥ .

وابن خلدون ، تاريخ (بولاق) : ٤ / ١٣ .

وابن عذارى ، البيان : ١ / ٨٣ .

(٣) هو إدريس الشماخ الذي سبق ذكره . وقال عنه ابن خلدون : « ودس إليه الرشيد
مولى من موالى المهدي اسمه سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ » (٤ / ١٣) ، وورد اسمه
في روض القرطاس : سليمان بن حريز (ص ٩) ، وذكره أبو العباس أحمد بن خالد الناصري
السلوى صاحب كتاب « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » . (الدار البيضاء ، ١٩٥٤)
ج ١ ص ١٥٨ : سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ .

على إبراهيم بن الأغلب فأخبره ، فكتب إبراهيم إلى الرشيد بذلك ، فوَلَّى
الشامخَ بريدَ مصر وأجازَه . وقد تقدم عند ذكره أن الذي سمه سليمان بن جرير
في سمكة مشوية ، وقال في ذلك أشجع السلمي من شعراء الرشيد :

أَتَظُنُّ يَا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الْخَلِيفَةِ أَوْ يَقِيكَ حِذَارُ
إِن السُّيُوفَ إِذَا انْتَضَاهَا عَزْمُهُ طَالَتْ وَتَقَصَّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
هِيَهَاتَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْلِدَةً لَا يَهْتَدِي فِيهَا إِلَيْكَ نَهَارُ

وكانت مدة سلطان إدريس بالمغرب ، إلى أن مات بوليلي سنة خمس
— وقيل سنة أربع — وسبعين ومائة ، ثلاثة أعوام وستة أشهر .

وكان قد خرج إلى سبته في شعبان سنة ثلاث وسبعين ، وإلى تازا في
جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين ، وترك حملا من إحدى جواريه ، فقام راشد
بأمر البربر حتى ولدت غلاما ، فسماه باسم أبيه « إدريس » وكفله إلى أن
بلغ الغلام .

وعلا أمر راشد واستفحل ، وهم بغزو إفريقية لما كان فيه من القوة وكثرة
الجنود ، فكاده إبراهيم بن الأغلب من الزاب موضع ولايته ، ودس إلى
أصحابه ، وبذل لهم الأموال إلى أن اغتالوه وبعثوا برأسه إليه ، فبعث به إلى ابن
مقاتل العكبي وأخبره بكيده إياه وتدييره في قتله ، فبعث به العكبي إلى هارون
[٢٩ - ب] الرشيد ونسب ذلك إلى نفسه / دون إبراهيم ، فكتب صاحب بريد المغرب
إلى هارون بصنيع إبراهيم في راشد . فعلى إثر ذلك ولى الرشيد إبراهيم بن
الأغلب إفريقية وصرف عنها العكبي .

وقد قيل إن الرشيد إنما دس إلى إدريس من اغتاله وخاطب إبراهيم
[...]^(١) به وهو عامل له على إفريقية ؛ والأول أصح . وتوفي إبراهيم

(١) بياض بالأصل يمكن أن تكلمه بعبارة مثل : بن الأغلب بأن يُعنى .

في شوال لثمان ليالٍ بقين منه سنة ست وتسعين ومائة ، وهو ابنُ ست وخمسين سنة ؛ فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام .

٣٣ - يحيى بن الفضل بن النعمان التميمي ، أبو العباس

كان صاحبَ بريد المغرب أيامَ ابنِ العسكى ، وهو القائل لتمّام بن تميم حين بلغه إقبالُ إبراهيم بنِ الأُغلبِ إليه :

أتمّامُ لا تقعدُ فإني ناصحٌ وخُذْ مَهْلَةً إِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ هَارِبًا
وإلا فعدُّ مِنْ سُخْطِهِ بِأَمَانِهِ فليستَ بِلَاقِ لَابِنِ أُوغْلَبِ غَالِبًا
ولا تَخْشُونَ كَأْسًا فليسَ بِنَافِعِ تحسّيك ما فيها إذا كنتَ^(١) شاربًا

٣٤ - خريش^(٢) بن عبد الرحمن بن خريش الكندي

ثار بتونس ، وكان صهرَ الحسن بن حرب الكندي المخالفِ علي الأُغلبِ ابنِ سالم . ولم يكن من الجند ، ولكنه من أبناء العرب الذين كانوا بإفريقية

(١) في الأصل إن ، ولا يستقيم بها الوزن .

(٢) كذا ورد اسمه في الأصل بكل وضوح ، ولكن النويري (ص ١٤٥) وابن خلدون (١٩٦/٤) جملاه : حمديس ، وتابعهما في ذلك فوندرهايدن في كتابه عن الأغالبة :

M. VONDERHEYDEN, *La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou'Arlab, 800-909* (Paris, 1929) pp. 87 sqq.

وقد كتب هذا المؤلف اسم الأُغلبِ هكذا : Arlab لكي ينطق حرف r غيناً كما هو في النطق الفرنسي ، وهو مذهب مستهجن لم يتابعه فيه أحد .

أما ابن عذارى فقد اكتفى بقوله : « وثار عليه الكندي بتونس » فأراح نفسه . وسنتين من أبيات إبراهيم بن الأُغلبِ - يوردها ابن الأبار فيما بعد - أن صحة الاسم خريش .

وقد يكون بالحاء لا بالطاء ، فقد وجدت اسم خريش كثير التوارد .

قبل المُسَوِّدَةَ ، نفلع المُسَوِّدَةَ وأتاه العربُ والبربرُ من كل ناحية^(١) . فلما كثر جمعه كتب إلى إبراهيم بن الأغلِبِ :

« من خريش القائم بالعدل إلى إبراهيم بن الأغلِبِ .

أما بعد ، فإني أقمتُ عن الخروج قبل يومى هذا لأني كنت أنتظر أن تفنيكم الحرب ؛ فلعمري لقد أرانا الله فيكم ما قوى به أهلَ دعوةِ الحقِّ عليكم . فلما وليتَ أنت وعلمتَ أنهم مقسومون بين خوف منك ورجاء لك ، عرفت قلة طمعهم فيك . ولو كان أحدٌ ممن وليَ هذا الثغر ممن لا نرى طاعته يستحق أن نرضى بولايته ، لكنتَ أنت ذلك . وقد كان على بن أبي طالب رحمة الله عليه يقول : « إذا وليَ عنكم عدوُّكم من أهل الملة فلا تتبعوهم » . ولستُ أطلبك إن خرجتَ عن الثغر ، فلا تُردُّ أن تصلى بحرّبي ، وليكن رأيك طلبَ سلمي ؛ والسلام » .

وكتب في آخر كتابه :

قُلْ جَهْرَةً لِأَبِي إِسْحَاقَ تَنْصِيحُهُ هَذَا فِرَاقُكُمْ لِلْعَرَبِ قَدْ حَانَ
[٢٠-١] / فلا يعود إليه منكم أحدٌ حتى يعود من الأجداثِ مَوْتَانَا
فَارْجِعْ عَنِ الْعَرَبِ أَوْ أَلْقِ السَّوَادَ بِهِ^(٢) لا تَخْتَرِمَكَ الْمَنَايَا حِينَ تَلْقَانَا

(١) هذه العبارة عظيمة الأهمية ، وهي تكشف لنا عن حقيقة حركات بني عبدة بن عقبة ابن نافع وتمام بن تميم وسليمان بن حميد الغافقي وابن الجارود ومن إليهم ، فهؤلاء هم عرب إفريقية الذين دخلوها أيام الفتح واستقروا فيها ، ونشأ فيها أبناؤهم يرون أنفسهم أهل البلد وأولى بحكمه من الولاة الذين ترسلهم الخلافة وجندهم ، وهذه الحقيقة تكشف لنا سر هذا الصراع وسببه . وقد انضم إلى أولئك العرب الأفارقة جماعات من البربر ، لأنهم كانوا أقرب إليهم من الولاة وجندهم .

(٢) كان عمران بن مجالد ثائراً على دعوة بني العباس ، وكان هو وجنده كارهين لها ، حتى كان أصحابه يهتفون أثناء قتالهم مع جند إبراهيم بن الأغلِبِ : « بغداد ، بغداد ! فلا والله لا اتخذنا لكم طاعة بعد اليوم أبدا » (النويري : ١٣٥ - ١٣٦) ، ولهذا فهو يدعو ابن الأغلِبِ هنا إلى خلع السواد إشارة للخروج على بني العباس . وكان عمران من رؤساء الجند ، وكان أول =

وسوف تعلم أن الموت يسمع لي إذا التقت بنواحي الفحص^(١) خيلاً
 فلما قرأ إبراهيم كتابه كتب إليه :
 « من إبراهيم بن الأغلب إلى خريش رأس الضلال .
 سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد

فإن مثلك مثل البعوضة التي قالت للنخلة إذ^(٢) سقطت عليها : « استمسي
 فإني أريد الطيران ! » فقالت النخلة : « ما شعرت بسقوطك فيكرهني
 طيرانك » . فأما انتظارك في الحرب فناء ، فلو لم يبق في المغرب من أهل الطاعة
 غيري ما وصلت أنت في من معك بخلافكم إليه ، ولرجوت أن أظفر بكم بطاعتي
 ونصرة دولة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ؛ فكيف وعندي من شيعته وأبناء
 أنصاره من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي ؟ وأما ما ذكرت عن علي
 ابن أبي طالب رضوان الله عليه ، فذاك أمر غاب عنك . وإن كان كما ذكرت
 فاست منهم ، لأن أهل الملة خلافهم خلاف هدى^(٣) في نعمة على جور ،
 وخلافكم خلاف فرقة دين وشق غصا المسلمين ، ونقمتهم ما هو لله رضا .
 وستعلم أنت وأصحابك إن لقيناكم غداً أنا سنتبعكم ، وإن صبرتم أنا سنفتيكم .

= الأمر من أنصار إبراهيم بن الأغلب ، ثم اختلف معه في خبر يحكيه التويري بالتفصيل ملخصه
 أن عمران سار مع إبراهيم مرة يحدثه مسافة طويلة ، ثم تبين أنه سار عن كلامه ، فغضب ، ثم
 كانت الحرب بينهما ؛ وهو سبب فيما يبدو لنا تأفه . والحقيقة - كما تستبين من ثنايا الحوادث -
 أن إبراهيم بن الأغلب لم يجد مالا ليؤدي أرزاق جنده ، فبعث - فيما يبدو - يطلب مدداً من
 الخليفة ، فتأخر . وفي أثناء ذلك فكر عمران في خلع الطاعة ، ودعا ابن الأغلب إلى أن يفعل
 فعله ، فأبى ، فكان الخلاف .

(١) المراد فحص تونس ، وهو السهل المحيطة بها .

(٢) الأصل : وسقطت عليها ، وما أثبتناه أوفق للمعنى .

(٣) في الأصل : هوى ، وقد قومناه للمعنى .

وأما ذكرك الفحص فإن تركتك حتى تصير إليه فأنا في مثل جلدك»^(١)
وكتب إليه :

بَلِّغْ خُرَيْشًا بَأَنِي سَوْفَ أَصْبَحُهُ كَأَسَا سَيَقْرَعُ مِنْهَا سِنَّ حَيْرَانَا
تُهْدِي الطَّعْمَانَ لَهُ ثَمْرًا مُنْقَفَةً تَقْرِي أَسْنَتَهَا فِي الْحَرْبِ أَعْدَانَا
مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ يَفْتَالُ النُّفُوسَ بِهِ يَضْحَى بِهِ مِنْ دَمِ الْأَجْوَابِ مَلَانَا
وَسَوْفَ تَعْلَمُ هَلْ أَلْقَى السَّوَادَ إِذَا أَرْسَتَ إِلَيْكَ الْمَنَابِيَا حِينَ تَلْقَانَا
إِنِّي سَأَهْدِي إِلَيْكَ الْمَوْتَ فِي عَطْبٍ فَاشْرَبْ مِنْبَتَهُ مِنْ كَفِّ عِمْرَانَا

ثم بعث إلى عمران بن مجالد^(٢) يحضه على قتاله ولقائه قبل خروجه من تونس ، وأوصاه بما يعمل . فلقية عمران بسبخة تونس ، فانكشف خريش [٣٠ ص] وأصحابه وقتل ، ودخل عمران تونس يتبعهم ويقتلهم حتى أفنهم / وكان خروجه سنة ست وثمانين ومائة .

٣٥ - عمران بن مجالد بن يزيد الربيعي

ثار على إبراهيم بن الأغلب ، وكان قبل ذلك في طاعته ومناصحته ، وحضر معه قتال تمام بن تميم ، وخرج نائباً عنه لقتال خريش بن عبد الرحمن المذكور آنفاً . ولما قوى أمره أتى بعسكره حتى نزل بين القيروان وبين قصر إبراهيم ،

(١) الأصل : جلدك . وابن الأغلب يريد أن يقول أنه إذا تركه يصل إلى فحص تونس أصبح مثله ، ولهذا أصلحتها إلى « جلدك » وكذلك فعل ماركوس مولروبيوز أنه يكون : حايك
(٢) في الأصل : مجاهد ، وهو خطأ كما سترى في ترجمته التي تلى هذه الترجمة . وهو عند ابن خلدون : عمران بن مجالد (١٩٦/٤) وعند النويري : ابن مجالد ، وفي نسخة : مجالد (ص ١٣٥) وعند ابن الأثير : ابن مجلد (ج ٦ ص ١٠٧ من طبعة قورنبرج بأوبسالا بالسويد) .

وصارت القيروان في يده . وبعث إلى أسد بن القرات ليخرج معه فأبى أسدٌ وتمارض ، فبعث إليه : « إما أن تخرج وإلا بعثتُ من يجر برجلك ! » فقال أسد : « والله لئن أخرجتني لأنادين في الناس : القاتل والمقتول في النار ! » فتركه عند ذلك .

وخندق إبراهيمٌ حول مدينته^(١) ، ودامت الحرب بينهما سنة . ثم ضعف عمران فهرب إلى ناحية الزاب ، وسأل الأمان — هو وعمرو بن معاوية وعاصم ابن العمر — من إبراهيم ، فأجابهم إلى ذلك .

وبقى عمران بالزاب إلى وفاة إبراهيم ومصير الأمر إلى ابنه أبي العباس عبد الله ، فكتب إليه عمران يسأله تجديد الأمان فأمنه وأسكنه القصر معه ، وكان يغدو عليه ويروح إلى أن سعى به ، وقيل لعبد الله : « هذا ثار على أهلك وحاله حاله » . فبعث إليه في الظهيرة ، فلم يشك في الشر . وكان عبد الله قد قال لمولى له : « إذا ورد علي وهو مشغل بالنظر فلا يشعُر إلا وقد رميت برأسه » ، فكان ذلك على ما حدّته . وكان يحيى بن سلام الفقيه صاحب التفسير قد سقر بينهما في الأمان على ماله ونفسه وولده ، فلما قتله وجد لذلك وقال : « لا أسكن بلدًا أخفِرَ فيه المهدُّ على يدي » ، فخرج إلى مصر ثم مضى إلى مكة فنجح ، ورجع فلم يلبث إلا يسيراً حتى اعتلّ ومات ، ودُفن بمصر سنة مائتين . ومن شعر عمران في حرب إبراهيم بن الأغلب مع تمام بن تميم ، وقد برز من الصف :

(١) مدينته هي القصر القديم قرب القيروان . وهي حصن ابتناه إبراهيم بن الأغلب لينتقل إليه مع أهله وجنده وحشمه ، إذ كان يخشى أجناد العرب والحراسانيين لكثرة ثوراتهم على الولاة قبله . وقد بدأ إبراهيم بن الأغلب في شراء الصقالبة والماليك حتى كوّن منهم جيشاً ، ثم انتقل إلى ذلك الحصن الذي عرف بالقصر القديم ، وأنشأ حوله قصوراً أخرى ومسجداً ومعسكراً بلجندة . وابن خلدون يسميه العباسية (١٩٦/٤) .

يا رُسُلَ الموتِ أنا عمرانُ أنا الذي أتم له أعوانُ
 تُصعقُ من خيفتي الفرسانُ يضحكُ عن أيامنا الزمانُ
 نحن ضربنا الناسَ حتى دانوا نقتلُ أهلَ النَّكثِ حيث كانوا
 نخرجُ إليه رجلٌ من أصحابِ تمام وهو يقول :

ارجعْ على ظَلَمِكَ يا عمرانُ قد جاءكَ الموتُ له تَهْتَانُ
 / يَسْتَقِيكُهُ مِنْ راحتي سِنَانُ والظنُّ يجلو شكهُ العِيَانُ
 فشدَّ عليه عمرانُ فطعنه في ثُنْدُوتِهِ فبدا عاملُ الرَّمحِ من خلفه .

[١-٣١]

٣٦ - عامر بن المعمر بن سنان التيمي ، تيم الرباب (١)

كان على شرطة إبراهيم بن الأغلب ، ثم ثار عليه مع عمران بن مجالد
 وعمرو بن معاوية ، والرئاسة منهم في تلك الثورة لعمران ، إلى أن استأمنوا
 جميعاً إلى إبراهيم فأمّنهم . وكان عامر على قسطنطينة والياً ، وهو القاتل فيما وقع
 بين محمد بن مقاتل وتمام بن تميم من الحرب وقيام إبراهيم بن الأغلب بتصرفه :
 إذا كُرْبَةٌ شَدَّتْ خِنَاقَ مُحَمَّدٍ فليس لها إلا ابنُ أَغْلَبِ قَارِجُ
 أتاهُ بِتَمَامٍ على بأسِهِ بهـ يُقَادُ وقد ضاقتُ عليه المَخَارِجُ
 وقد كان بالإسرافِ ألقى سِوَادَهُ ولم تَخْتَلِجْهُ في الخِلافِ الخِوَالِجُ

(١) يريد أنه من تيم الرباب بن عبد مناة لا من تيم بن مرة أو تيم بن ثعلبة بن عكابة بن
 حسب أو تيم الأورم بن غالب .

فما جله بالسكيد حتى استغادهُ وأدركه من بعد ما قيلَ خارجُ
ولو أنه يستودعُ الشمسَ نفسهُ إذا وَّجَّتْ مِثَهُ عليهِ الولاُجُ
وله في خروج خريش بن عبد الرحمن بقوتس :

لولا دفاعك يا ابنِ أغلبِ أصبحتُ أرضُ الغروبِ رهينةً لفسادِ
ولعمنا ذاكِ الخلافُ بفتنةٍ تعدو كتابها بغيرِ سوادِ
قالوا غداةَ لقاءهم : لا نثني حتى نحلَّ « الخلد » من بغدادِ
فمنوا بأشوسَ ما نزالُ جِيادُهُ تشكو الوحيَ من غارةٍ وطرادِ
نحرتُ به سعدٌ فأصبحَ بيتها فوق الفراقِ ثابتَ الأوتادِ
ومن ولد عامر هذا حمزة بن أحمد بن عامر بن المعمر ، كان أديباً ظريفاً .

وأما أبوه المعمر بن سنان فقدم مع يزيد بن حاتم المهلبى في ولايته إفريقية ،
وكان زميله في طريقه إذا ركب في عمارة ، لأنسه به واستماعه من حديثه . / [٣١ - ب]
وكان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها ، وعنه أخذ أهل
إفريقية حربَ غطفانَ وغيرها من وقائع العرب .

٣٧ - حمزة بن السبال

المعروف بالحررون

أحد رؤساء القواد وشجعان الأجناد ، وكان له من إبراهيم بن الأغلب أثرٌ
مكانٍ والطفٌ محلٍ ، لقدِمُ صحبته إياه وتصرفه معه حيث تصرف حاله ،
فكان لا يدانيه عنده أخ ولا ولد ولا أحد من عشيرته . وكان والياً على طنبنة ،

ووجهه إلى الرشيد في القواد المتوثبين على الولاة بالقيروان [...]^(١) ولده
ولد إبراهيم يتولون لهم [...]^(١) إلى قيادة إلى عمالة حتى انقضت دولة
بني الأغلِب . ومن شعره في إيقاعه بالمدكورين فيه^(٢) :

سائلُ بأبرانسٍ عَنَّا وَوَقَعْتِنَا لما صببنا القنا نحو ابنِ مرْدَاسِ
وَلِيٍّ وَخَلِيٍّ سَعِيداً رَهْنَ نَافِذَةٍ مِنْ طَمَعِ أَرْوَاحِ خَلَّاسِ
فَإِنْ يَتُوبُوا فَقَدْ ذَاقُوا وَقَاتَعْنَا وَإِنْ يَعُودُوا نَعْدُ أُخْرَى مِنَ الرَّاسِ

وله في حرب خريش الخارج على ابن الأغلِب :

إِنْ غَابَ إِبْرَاهِيمُ عَنَّا أَوْ حَضَرَ فَإِنِّي أَنْصُرُهُ فِيمَنْ نَصَرْتَهُ
وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَّا بِظَفَرِهِ لَيْسَ يَمُوتُ الْمُرءُ إِلَّا بِقَدَرِهِ
وَكَلٌّ مَن خَالَفَنَا فَقَدْ كَفَرَهُ

فجعل ما يشدُّ على ناحيةٍ إلا هدَّها . وبرز فارس من عسكر تمام بن تميم

في خلافه وهو يقول :

إِنْ ظَفَرْتُ كَفِّي بِإِبْرَاهِيمِ هَدَدْتُ رَأْسَ الْعَزِّ مِنْ تَمِيمِ

(١) بياض بالأصل . ومن اليسير أن نسد هذا الفراغ ونقرأ العبارة هكذا : « [ثم خدم]
ولده ولد إبراهيم يتولون لهم [من ولاية] إلى قيادة إلى عمالة » .
ويلاحظ أن إبراهيم بن الأغلِب بعد أن صار إليه الأمر أراد أن يبعد عن إفريقية كل من
كان يخشى انقلابه عليه من وجوه العرب والقواد ، فأرسلهم إلى بغداد حيث سجنوا هناك ،
ومن بينهم حمزة هذا مع أنه كان صديقه . أما أولاد حمزة فاشتهر منهم محمد بن حمزة في حروب
أبي محمد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلِب مع منصور الطنبدى . وقد قتل حمزة في شهر صفر
٢٠٩/ مايو ٨٢٣ في معركة حامية مع الطنبدى ورجاله في تونس .
(٢) لم أستطع تقويم هذا اللفظ ، وهو غير مفهوم . وقد جعله مولر « بالمدكورين »
فيه ، وهو تقويم مقبول على اعتبار أن المراد : المذكورين في هذا الشعر .

فلما سمعه إبراهيمُ نادى حمزةً : « يا حمزةُ ، اخرج إلى هذا الكلب ! »
فخرج إليه وهو يقول :

أحلفُ بالركنِ وبالخطيمِ ما فيكمُ كُفُوًا لإبراهيمِ
لُيُصْبِحَنَّ اليومَ كالقصرِيمِ

ثم شدَّ عليه فقتله .

٣٨ - إبراهيم بن محمد الشيعي

/ من أبناء أهل خراسان ووجوه أصحاب إبراهيم بن الأغب ، وكان أقرب [١-٣٢]
الناس إليه في [... ..]^(١) الداعية أهل خراسان ثم أهل الشام ثم أهل
البلد^(٢) ، وأتفذه رسولا إلى الرشيد وبعث صحبته برسل بهلول بن عبد الواحد^(٣)
المدغري ، فدخلوا عليه في اليوم الثالث من قدومهم بغداد . واستأذن الشيعي^٤
هذا في الكلام بعد أن قال : « يا أمير المؤمنين ، رسولُ سيفك [... ..]^(٤)
دولتك إبراهيم بن الأغب » ، فأذن له على إثر هذا نخطب [... ..]^(٤) . وكان

(١) بياض بالأصل ، نستطيع أن نسده بقولنا : في [قتال] الداعية . والداعية المشار
إليه هنا هو إدريس بن إدريس بن عبد الله الحسيني ثاني أمراء الأدارسة بفاس . وكان بين الأدارسة
والأغالبة تنافس وصراع ، وقد رأينا أن إبراهيم بن سالم بن الأغب كان من المتهمين بقتل
إدريس الأول .

(٢) هذه العبارة على أكبر جانب من الأهمية التاريخية ، فهي تلتقي ضوءاً واضحاً على
تكوين القوة العسكرية للأغالبة ، وقيمة كل فريق من الفرق التي كانت تكونها . ويضاف إليهم
فرقة من العبيد السود كانوا هم الحرس الخاص لإبراهيم بن الأغب وبنيه من بعده .

(٣) يستحسن أن تقرأ هنا : وبعث صحبته برسل [منهم] بهلول بن عبد الواحد المدغري .

(٤) بياض بالأصل ، لا يعسر تصور ما ينبغي أن يكون فيه .

بليغاً مدركاً ، وهو القائل في مجلس ابن الأُغلب بالقيروان وبدار الإمارة منها
 عند قدومه لمحاربة تمام بن تميم بعد محاورة حسنة :
 لولا ابن أُغلبَ أضْحَى الغربُ ليس بهِ عدلٌ ولا لبني العباسِ سلطانُ .
 عمَّ الخِلافُ قلوبَ القومِ فابتدعُوا إلا خصائصَ أدَّتْها خُرَاسانُ .
 جلا ابنُ أُغلبَ عَنَّا كلَّ مُظلمةٍ فيها المُطيعُ بِسُكْرِ الخوفِ حَيْرانُ .
 كادتُ شياطينُ تمامٍ تَرِدُنَ بنا بِحَرَ الضلالةِ والتمامُ [شَيْطَانٌ] (١)

٣٩ - عمرو (٢) بن معاوية القيسي

هو من ولد عُمر بن الحباب السلمي أحد فرسان قيس وساداتها الأربعة
 في الإسلام ، وم : عبد الله بن حازم (٣) والجحاف بن حكيم ، وعُمير بن الحباب
 المذكور ، وزُفر بن الحرث . وكان عمرو بن معاوية [يتولى] (٤) ناحية القصرين
 من إفريقية ، وخرج على إبراهيم بن الأُغلب مع عمران بن مُجالد ، وكان وزيره
 الغالب عليه في أموره . ثم خرج ثانيةً على ولده زيادة الله بن إبراهيم - وكان
 قد ولّاه القصرين وما إليهما - فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخِلاف ،
 فلما ظفر به زيادة الله قتله وولديه الحباب وسكتان (٥) ، ودعا أهل بيته فشرّب
 معهم ورؤوسهم بين يديه ، فغضب لهم منصور بن نصر الجشمي (٦) المعروف
 بالطُّغْبُذِي - وكان عاملاً على طرابلس - وتابَعَه الجندُ ، فاضطربت إفريقيةُ

(١) بياض في الأصل .

(٢) في الأصل عُمر ولكنّه في بقية النص عمرو فقومته على هذا النحو .

(٣) عن عبد الله بن حازم السلمي انظر الكامل للمبرد ١ / ٢٤١ .

(٤) أخفت هذه الكلمة للسياق ، مستعينا بما سيأتى بعد .

(٥) سبق أن علقنا على هذين الاسمين . انظر فهرس الأعلام .

(٦) كذا في الأصل ، وربما كانت أيضاً : الجشمي .

على زيادة الله وحُصِرَ في قصره ، ولم يبق في يده إلا الساجلُ وقابس^(١) / إلى أن [٣٢ - ب] قتل منصور واستأنس [. . .]^(٢) إلى زيادة الله وصفت له إفريقية واستقامت بعد حروب طويلة وخطوب جليلة .

ومن شعر عمرو بن معاوية ما حُكِيَ أن بعض أصحاب تمام بن تميم - يومَ التقى هو وإبراهيم بن الأغلب ، عند خروج تمام على ابن العكبي - برز من الصف وهو يقول :

اليومَ نسقيكم سيوى المدامِ بالبيض يهوى حدّها بالهامِ -
حتى تخلصوا الغربَ للتمامِ -

وبرز إليه عمرو وهو يقول :

من مبلغٌ قولى إلى التمامِ خلفاً ربّ الجِلِّ والحرامِ -
إناك محمول على الصمّصمامِ وقد تلاقت حلقُ الحيزامِ -
ثم شد عليه فأرداه عن فرسه .

٤٠ - بهلول بن عبد الواحد المدغري

كان رئيساً في قومه ، وهو قام بأمر إدريس بن إدريس الحسنى صاحب المغرب ، ثم تغير عليه وفارقه ورجع إلى إبراهيم بن الأغلب عند ظهوره على إفريقية ، وذلك بتلطف إبراهيم في إفساد ما بينه وبين إدريس ، فجرت بينهما مكاتبات كان في بعضها مما كتبه بهلول إلى إبراهيم :

(١) الأصل : وفاس ، وهو تحريف من الناسخ .

(٢) بياض في الأصل ، والمعنى مستقيم دون زيادة شيء .

لئن كنت تدعونى إلى الحق ناصحاً
 لتقدماً أتانا عنك أنك ناصحٌ
 وأنت محمودُ النقائبِ عندهم
 فمَجَّلْ علىَّ ردَّ رأيي فإنتى
 لتكشفَ عن قلبي ضميرَ خلافِ
 لِمَنْ قال بالصلحِ الخلافةَ كافٍ
 تُزِينُ ما تَأْتى لهم بغفافِ
 أردُّ الهوى للحقِّ حين يُوفى
 فجأوبه إبراهيم بقوله :

عرضتُ على البهلول ما إن أصابهُ
 ليركبَ نهجَ الحقِّ، والحقُّ واضحٌ
 فلا تترُكنِ رُشدَ الهدى لضلالةٍ
 / وبيعَ لهارونَ الإمامَ بطاعةٍ
 تعوّضُ منه طاعةً بخلافِ
 ونهجُ العمى وغرُّ المسالكِ عافِ
 كمُستبدلِ رَنقِ الشرابِ بطافِ
 تجده على الإسلامِ خيرَ مكافِ

المائة الثالثة

٤١ - عبد الرحمن بن الحَكَم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن
الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ،
أبو المطرف

وهو عبد الرحمن الأوسط والرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس . بويح له يوم
وفاة أبيه الحَكَم المعروف بالرَبَضِيّ يوم الخميس لثلاث - وقيل لأربع - بقين
من ذى الحجة سنة ست ومائتين^(١) .

وكانت خلافتُه إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام . وكان فصيحاً
مفوهاً شاعراً ، مع سعة العلم والحلم وقلة القبول للبغي والسعائيات . وهو الذي
استكمل نخامة الملك بالأندلس ، وكسا الخلافة أبهة الجلالة . وظهر في أيامه

(١) بويح لعبد الرحمن الأوسط بعد موت أبيه الحَكَم الربضي بيوم واحد ، أي يوم
الخميس ٢٦ ذى الحجة ٢٠٦ . وتاريخ وفاة الحَكَم الربضي ليس ثابتاً ، لأنه عند ما شعر
ياقتراب منيته أخذ البيعة لابنه عبد الرحمن ثم لابنه المغيرة من بعده يوم الأربعاء ١١ ذى الحجة
٢٠٦ ، ثم دخل قصره واحتجب حتى مات بعد ذلك بأيام . والثابت هو تاريخ ولاية عبد الرحمن ،
ولنما تابعا فيما قلناه هنا ما ذكره ابن عذارى في البيان المغرب : ٧٧/٢ .

الوزراء والقواد وأهل الكور ، وشيّد القصور ، وجلب المياه من الجبل ، وبني
الرصيف على الوادي ؛ وهو القائل متشوقاً ومفتخراً :

فقدت المهوى مذ فقدت الحبيبا فما أقطع الليلَ إلا نحيباً
وإما بدت لي شمسُ النها ر طالعةً ذكرتنى « طروباً »^(١)

(١) طروب هي جارية عبد الرحمن الأوسط المحببة إليه وأكبر جواريه سلطاناً عليه ،
رغم أنها كانت أقلهن وفاءً له . وقد كان عبد الرحمن مولماً بالنساء ، فاستكثر من
الجواري ، وكثر لهذا أولاده ما بين ذكور وإناث . وكان أكبر أولاده ، والمرشح لخلافته
تبعاً لذلك ، ابنه محمد . وقد ذكرت المراجع أمه ، وهي تبر أوتتهز أوبير وهذا هو الأصح .
التي أرضعته جارية أخرى من جواري عبد الرحمن هي « الشفاء » وكانت جميلة تقيّة عاقلة ،
خرجت مع زوجها الأمير في إحدى غزواته فأصابها المرض ، فأعادها إلى قرطبة ، فانت في
الطريق ، ودفنت في قرية مجاورة لطليطلة . وقد أنجبت طروب من الأمير عبد الرحمن ابناً
سمى عبد الله ، فطمحت نفسها إلى أن تحوز ولاية العهد له ، واجتهدت في ذلك اجتهاداً عظيماً
دون توفيق ، وأخيراً بلّأت إلى ما بلّأت إليه مثيلاتها في ظروف مشابهة : دبرت اغتيال
عبد الرحمن وابنه محمد ليخلو الجو لابنها ، واشترك في المؤامرة نصر الفتي كبير خصيان القصر .
فكلفا متطبياً وقد من العراق في ذلك الحين يسمى الحراني بأن يعد سماً ، فأعده خوفاً على نفسه
من طروب ، وأفشى السر إلى جارية أخرى تسمى « فخر » فأبلغت الأمير ، فلما أتاه نصر بالشراب
المسموم طلب إلى نصر أن يشربه في حضرته ، فلم يستطع إلا أن يفعل ومات . أما طروب
فلا نسع أن الأمير غضب عليها . وهذا يميل بي إلى الشك في حكاية المؤامرة كلها ، وإن كانت
قد وردت عند الثقات من مؤرخينا ، إذ كيف يعقل أن تقوم طروب بذلك ثم لا يصيبها عقاب ؟
وإذا كان المراد هو التخلص من محمد ولي العهد وأبيه عبد الرحمن ، فلماذا لم يقدم السم إلى هذا
أيضاً ؟ الحقيقة - قياً أحسب - أن عبد الرحمن أكثر من الجواري ، وكانت جواريه معروفات
للناس بأسمائهن ، ذكر المؤرخون منهن طروباً والمؤمّرة والشفاء والمدنيّات الثلاث فضل وقلم
وعلم ، فكان ذلك مثاراً لكثير من الشائعات والأقاويل .

انظر : التكلة لابن الأبار ، القسم الذي نشره A. GONZALEZ PALENCIA
و M. ALARCON في الكتاب المسمى *Miscelánea de Estudios y textos Arabes. Madrid.*
أرقام ٢٨٥٢ و ٢٨٥٣ و ٢٨٥٤ و ٢٨٥٥ و ٢٨٥٦ و ٢٨٥٨ .
وابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص ٧٦ - ٧٧ .

فيا طولَ شوقٍ إلى وجهها ويا كبدًا أورتها مُدوبًا
 ويا أحسنَ الخلقِ في مقلتي وأوفرهم في فؤادي نصيبًا
 لأنَّ حالَ دونكِ بُعدُ المزا رٍ من بعد أن كنتِ مني قريبًا
 لقد أورتِ الشوقُ جسمي الضنى وأضرم في القلب مني لهيبًا
 عداني عنكِ مزارُ العدا^(١) وقوذي إليهم لهُامًا لهيبًا
 كائنٌ تخطيتُ من سبب^(٢) وجاوزتُ بعد دروبِ دروبًا
 ألقى بوجهي حرَّ الهجيرِ إذا كاد منه الحصى أن يذوبًا^(٣)
 وأدرعُ النَّقعَ حتى كَيْسُ تٌ من بعد نضرة وجهي شحوبًا
 / أريدُ بذاك ثوابَ الإله ومن غيره أبتغيه مُثيبًا
 أنا ابنُ الهشامينِ من غالبِ أشبُّ حروبًا وأطفي حروبًا
 بيَ أداركُ اللهَ دينَ الهدى فأحبيته واضطلمتُ الصليبا
 سموتُ إلى الشركِ في جحفلِ ملأتُ الحزونَ بهِ والشهوبا
 وذكر سَكَنُ بنُ إبراهيمِ الكاتبِ^(٤) وغيره أنه أمر

[٣٣ - ب]

(١) أورد ابن عذارى الأبيات ابتداءً من هنا ، وقال إن عبد الرحمن قالها عندما خرج لغزو جليقية سنة ٢٣٥ ، وأخطأ فقال : فقال عبد الرحمن ابن الشمر (٨٥/٢ - ٨٦) ، وصحتها « فقال عبد الرحمن بن الحكم » .

(٢) عند ابن عذارى : وكم قد تعسفت من سبب .

(٣) عند ابن عذارى :

ألقى بوجهي سموم الهجير — ير وقد كاد منه الحصى أن يذوبًا

(٤) لم نثر على أي تفصيل خاص بحياة سكن بن إبراهيم الكاتب على الرغم من أنه كان من أوائل المؤرخين في الأندلس ومجيديهم ، فهو مصدر من مصادر ابن حيان ؛ وابن سعيد - في الذيل الذي علقه على رسالة فضل الأندلس لابن حزم - يسميه بالأخباري ، ويشئ عليه ويذكر له كتاباً عن طبقات الكتاب في الأندلس ، وقد سماه ابن حزم « سكن بن سعيد » . وكل ما لدينا من المعلومات عنه أنه كان من إشبيلية وأنه توفي سنة ١٠٦٥/٤٥٧ .

انظر : الضبي ، بغية ، رقم ٨٣٤ ص ٣٠٣ .

لجارية^(١) من حظاياها بعقد جواهر كانت قيمته عشرة آلاف دينار ، فجعل بعض من حضره من وزرائه وخاصته يُعظم ذلك عليه ويقول : « إن هذا من الأعلام المضمون بها ، المدخرة للنائبة » ، فقال له عبد الرحمن : « ويحك ! إن لايس العقد أنفس خطراً ، وأرفع قدراً ، وأكرم جوهرأ . ولئن راق من هذه الحصباء منظرها ، ولطف إفرئذها ، لقد برا الله من خلقه البشري جوهرأ تعشى منه الأبصار وتتيه الألباب . وهل على الأرض من شريف جوهرها ، وسني زبرجها^(٢) ، ومستلذ نعيمها ، وفان بهجتها ، أقر لعين ، أو أجمع لزين ، من وجه أكل الله حسنه ، وألقى عليه الجمال بهجته ؟ » ثم دعا بعبد الله بن الشمر^(٣) شاعره وجليسه فذكر له ما كان بينه وبين وزيره في شأن العقد وقال : « هل يحضرك

= المقرئ ، نفع الطيب (لايدن) : ١١٩/٢ .

جايانجوس ، ترجمة القسم الأول من نفع الطيب المعروفة باسم *History of the Muhammedan Dynasties in Spain* . ٤٦٤/١ .

الغزيري ، فهرس الإسكريال : ١٣٧/٢ .

يونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون ، رقم ١٠٤ ص ١٣٨ .

الترجمة الفرنسية لرسالة ابن حزم في فضل الأندلس التي عملها *Charles Pellat* ونشرها باسم : *Ibn Hazm, Bibliographe et Apologiste (Al-Andalus, XIX (1954) fasc. 1, § 27. p. 87 et n. 16.*

وأخيل جنذالك بالثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة ناشر هذا الكتاب (القاهرة ١٩٥٥) ص ٢١٠ .

(١) قرأها دوزي (٦٢) : بجارية . وأورد نفس الخبر ابن عذاري في البيان (٩٢/٢) وقال إن هذه الجارية هي طروب .

(٢) البيان (٩٢/٢) : زبرجدها .

(٣) عبد الله بن الشمر بن نيمر القرطبي ، شاعر عبد الرحمن الأوسط ومنجبه .

ترجم له ابن سعيد في « المغرب » ترجمة واسعة وجعله تحت علماء التنجيم ، وأورد كثيراً من شعره ونوادره في التنجيم (طبعة الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣) رقم ٥٩ ج ١

ص ١٢٤ .

شيء في تأكيد ما احتججنا به ؟ ، قال : « نعم » ، وأطرق بُرَيْهَةَ
ثم أنشأ يقول :

أَتَقَرَّنُ^(١) حصباء اليواقيت والشذيرِ إلى من تعالى عن سنا الشمس والبدرِ ؟
إلى من برتَ قدماً يدُ الله خلقه ولم يك شيئاً غيره أحدٌ يَبْرِي^(٢) ؟
فأكرم به من صيغة^(٣) الله جوهراً تضاءل عنه جوهرُ البرِّ والبحرِ
له خالق الرحمن ما في سمانه وما فوق أرضيه وممكن في الأمر
فأعجب الأميرُ عبدُ الرحمن ببيديته ، وتحرك طبعه للقول وأنشأ يقول مناغياً
على رويته :

قر يضك يا ابن الشعر عني على الشعرِ وأشرق بالإيضاح في الوهم والفكر^(٤)
إذا جال في سمعٍ يُؤدِّي بسحره إلى القلب إبداعاً يجلُّ عن السحر^(٥)
/ وهل برأ الرحمن في كل ما برا أقرَّ لئين من منعمة بكر [١-٣٤]
تري الورد فوق الياسمين بخدّها كما فوف^(٦) الروض المنور بالزهر
فلو أنني ملكتُ قلبي وناظري نظمتُهما منها على الجيد والنحر

فقال له ابنُ الشعر : « يا ابن الخلائف ، شعرك والله أجود من شعري ،

(١) الأصل : أيقرن ، والتصويب من البيان المغرب : ٩٢/٢ .

(٢) الأصل : يبصرى ، والتصويب من البيان : ٩٢/٢ .

(٣) في البيان : صنعة .

(٤) في البيان (٩٢/٢) : وجل عن الأوهام والذهن والفكر .

(٥) في البيان (٩٢/٢) :

إذا شافته الأذن أدى بسحرها إلى القلب إبداعاً فجل عن السحر

(٦) عند دوزي : فوق ، ورواية الأصل صحيحة . فوف من الفوف ، وهو البياض

مع رقة (اللسان : ١٨٠/١١) .

وثناؤك عليه أفضل من صِلتي ، وما مِنحتُك لي إلا تطوّلاً منك بغير استحقاق
مني ، فأضف جائزته وأكثر الثناء عليه^(١) .

وله أيضا في النسيب :

قتلتني بهـواكا وما أحبُّ سواكا
من لي بسحرِ جُفونٍ تُديره عَيْنَاكا
وحمرّة في بياضٍ تكسى به وجنتاكا
إعطِفَ عليّ قليلاً وأُخِينِي برضاكا
فقد قنعتُ وحسبي بأن أرى من رآكا

وحكى ابنُ فرج صاحب « كتاب الحقائق » أنه فرّق في يومٍ فصدّ له
بِدراً على من حضّره ، وعبيدُ الله بن قرّ لُمان أحد خواصه ومواليه غائب في باديته ،
فابتدر فوجد أمراً قد نفذ ، فكتب إليه بأبيات منها :

يا مَلِكاً حَلَّ ذُرَى المجدِ وعمّ بالإنعام والرّفْدِ
طُوبَى لمن أسمعته دعوةً في يومك المأنوسِ بالفصدِ
فظلّ ذاك اليومَ من قصفه مُستوطناً في جنة الخلدِ
وقد عدّاني أن أرى حاضراً جدّتي يُخْظِي الوري يكدِ
فأمّن بتنويلي جدّاً لم يزلْ يهـُء أهلَ القرب والبُعدِ

(١) روى ابن عذارى (البيان : ٩٣/٢) نادرة لطيفة ، قال : ثم أمر لابن الشمر
ببيرة فيها خمسمائة دينار ، فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبطه ، فلما تواریا عن الأمير
قال له الوصيف : « أين لذات العمر يا ابن الشمر ؟ » فقال : « تحت إبطك يا سيدي . . »

فوقع في أسفل كتابه : « مَنْ آثَرَ التَّضَجُّعَ فَلْيَرْضَ بِحِظِّهِ مِنَ النَّوْمِ ! » ، فجاربه
ابن قريمان بأبيات أولها :

* لَانْتُ إِنْ كُنْتُ يَا مَوْلَايَ مُحْرَمًا *

فأمر له بالصَّلَاةَ وَرَدَّ فِي جَوَابِهِ :

لَا غَرَوَ أَنْ كُنْتَ مَمْنُوعًا وَمُحْرَمًا إِذْ غَبْتَ عَنَّا وَكَانَ الْعَرَفُ مَقْسُومًا
فَلَنْ يَنَالَ أَمْرٌ مِنْ حِظِّهِ أَمَلًا حَتَّى يَشُدَّ عَلَى الْإِجْهَادِ حَزِينًا
/ فَهَكَذَا مِنْ سَيِّبِنَا مَا كُنْتَ تَأْمَلُهُ إِذْ سُمِّتَ فَوْقَ رَجَاءِ الْوَرْدِ تَحْوِيمًا [٣٤ - ٣٥]

٤٣ - ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أبو عبد الله

بُويعَ لَهُ فِي صَبِيحَةِ اللَّيْلَةِ الَّتِي تُوْفِي فِيهَا أَبُوهُ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ غُرَّةَ شَهْرِ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً . وَكَانَ أَيْمَنَ الْخُلَفَاءِ
بِالْأَنْدَلُسِ مُلْكًا ، وَأَسْرَاهُمْ نَفْسًا ، وَأَكْرَمَهُمْ تَثْبُتًا وَأَنَاةً ؛ وَكَانَ السَّعْيُ عِنْدَهُ
سَاقِطًا . يَجْمَعُ إِلَى هَذِهِ الْخُلَالَ الشَّرِيفَةَ الْبَلَاغَةَ وَالْأَدَبَ . وَتُوْفِي يَوْمَ الْخَمِيسِ
مُنْسَلَخِ صَفَرٍ - وَقِيلَ لِلَّيْلَةِ بَقِيَّتُ مِنْهُ - سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ
وَسِتِينَ [سَنَةٍ] ، فَكَانَتْ خُلَافَتُهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا . وَهُوَ
الْقَائِلُ فِي مَنْصَرَفِهِ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ :

قَفَلْتُ فَأَغْمَدْتُ السِّيُوفَ عَنِ الْحَرْبِ وَمَا أَغْمَدْتُ عَنِ السِّيُوفِ مِنَ الْحَبِّ
صَدْرْتُ وَبِي لِلْبَعْدِ مَا بِي ، فزادني إِلَى الشُّوقِ أَشْوَاقًا رَجَائِي فِي الْقَرْبِ
أَحُلُّ شِدَادِي فِي السَّرَادِقِ نَازِلًا وَلِلشُّوقِ عَقْدٌ لَيْسَ يَنْحَلُّ عَنِ قَلْبِي
أَقْرُبُ ، هَلْ لِي إِلَيْكَ وَفَادَةٌ تَقْرُبِعِينِي أَوْ تَمَهَّدْ مِنْ جَنْبِي ؟

سقى القصرَ غيثاً بالرشافة^(١) مثلهُ
 وجادت عزَّ اليه^(٢) كجودي في الجذب
 عداني عدوٌّ عن حبيبٍ ، فزرتُهُ
 بجيشٍ تضيق الأرضُ عن عَرْضه الرحب
 إذا اسودَّ من ليلِ الدروع تبلجتُ
 أسنَّته فيه عن الأنجم الشهب
 على أنى حصنٍ لجيشي إذا التقوا
 وعزى بهم أذنى السيوف إلى الضرب
 وله :

ذكر الصُّبوحَ فظل مصطبِحاً
 يستعمل الإبريقَ والقَدْحاً
 ما زال حياً وهو يشربُها
 حتى أماته الكؤوسُ ضُحَى

٤٣ — ابنه الأمير عبد الله بن محمد ، أبو محمد

وَلِيَ بعد أخيه أبي الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن في صفر سنة خمس
 [٣٥-١] وسبعين ومائتين ، وتوفى سنة ثلاثمائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، / فكانت
 خلافتُهُ خمساً وعشرين سنة . وكان أديباً ، شاعراً ، بليغاً ، بصيراً باللغة والغريب
 وأيام العرب . وفي أيامه اضطربت نار الفتنة بالأندلس فتغنص عليه مُلكه .
 ومن مشهور شعره ما وقع به إلى الوزراء في قصة موسى بن حُدَيْر وعيسى
 ابن أحمد بن أبي عبده^(٣) ، إذ أراد كل واحد منهما أن يكون مجلسه فوق الآخر ،

(١) قرأ دوزي هنا (ص ٦٥) : فالرشافة .

(٢) يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الجود قد حلت عزَّ اليها وأرسلت عزَّ اليها (اللسان :

٤٦٩/١٤ - ٤٧٠) .

(٣) بنو حُدَيْر وبنو أبي عبدة من بيوت الأندلس الكبيرة التي تقاسمت الوظائف الكبرى
 في الإمارة ثم في الخلافة الأندلسية ، وكانت تعرف بالبيوتات ، وأكبرها هذان البيتان ثم
 بنو شهيد وبنو عبد الرؤوف وبنو فطيس ، وكلهم من موالى الأمويين المشرقين أو الأندلسيين
 أو موالى مواليتهم . فبنو حُدَيْر كانوا من موالى البيت الأموي المشرق ولذا كانوا معدودين في =

فَسَخَا لما كان قد رتبته والده الأمير محمد بن عبد الرحمن من رفع الموالى الشاميين
على البلديين :

موالى قريش من قريشٍ فقدّموا موالى قريشٍ لا موالى مُعْتَبٍ
إذا كان مولانا يساوم عندنا سِوَاهِ فمولانا كآخر أجنبي
حوّل اسم « مغيث » إلى « مُعْتَبٍ » إغماضاً وانقياداً للقافية .

وله فى النسب :

يا كَبِدَ المُشْتاقِ ما أوجعكُ ويا أسيرَ الحب ما أخضعكُ
ويا (سولَ العينِ من لحظها بالرد والتلويح ما أسرعكُ
تذهب بالسر وتأتى به فى مجلسٍ يخفى على من معكُ
كم حاجةٌ أنجزت موعدها تبارك الرحمن ، ما أطوعكُ !

وله فى ذلك :

ويحيى على شادنٍ كحيلٍ فى مثله يُخلع العذارُ
كأنما وجنتاه رردُ خالطه النورُ والبهارُ
قضيبُ بانٍ إذا ثنى يُدير طرفاً به احورارُ
وقفٌ عليه صفاء وُدِّى ما اختلف الليلُ والنهارُ

= الشاميين ، أما بنو أبى عبدة فكانوا موالى مغيث الرومى مولى الوليد بن عبد الملك ، ولهذا فقد كانوا معدودين فى البلديين أى أهل البلد ، لأن أصلهم من الأندلس . وقد كان الأمير محمد قد قرر أن يتقدم الشاميون على البلديين ، ومن المعروف أن الوزارة فى الأندلس كانت تتألف من حاجب أشبه برئيس الوزراء ثم عدد من الوزراء ، فلو اجتمع فى الوزارة شامى وبلدى كان التقدم للأول . وكان كل من موسى بن محمد بن حدير وعيسى بن أحمد بن أبى عبدة من أكبر رجال بيتيهما ، وقد ولى أوطاهما الحجابة للناصر . فلما اجتمعا فى الوزارة أيام الأمير عبد الله أراد عيسى بن أحمد ابن أبى عبدة أن يتقدم على صاحبه ، لأن أباه أبا العباس أحمد بن أبى عبدة كان أكبر قواد الأمير عبد الله وهو صاحب الفضل فى إنقاذ الإمارة من الضياع ، ولكن الأمير عبد الله آثر أن يظل الأمر كما رسمه أبوه ، وقرر أن يظل بنو حدير متقدمين على بنى أبى عبدة .

وله في الزهد :

يا مَنْ يراوغه الأجلُ حَتَّامٌ مُبْلِهِيكَ الأملُ
 حَتَّامٌ لا تخشى الرَّدَى وكأنه بكَ قد نزلُ
 أَغْفَلْتَ عن طلبِ النجا ةِ ولا نجاةَ لمن غَفَلَ
 هياتِ يَشغُلُكَ الرجا ، ولا يدوم لك الشُّغْلُ

[٣٥ - ب] / وله في مثله :

أرى الدنيا تصير إلى فناء وما فيها لشيء من بقاء
 فبادرْ بالإِنابةِ غيرَ لاوٍ على شيء يصير إلى فناء
 كأنك قد مُحلتَ على سريرِ وصارَ جديداً حُسْنِكَ للبلاء
 فنفسك فابكها أو نُحْ عليها فرُبَّما رُحمتَ على البكاء

وكان ، بفضل أدبه ، ربما استرسل ، فقال بحسب ذلك أو تمثل ، ثم لا يدعه
 كرم الأوائل ، وشرف الشائل ، حتى يُدنى من أقصاه ، ويُبدي لمن أعتب
 رضاه . قال في النضر^(١) بن سلمة الكلابي :

أنت يا نضر آبدٌ لست تُرجى لفائدة
 إنما أنت عده لكنيف ومائده

(١) في الأصل : النضر بوضوح ، وكذلك عند ابن عذاري (١٥٤/٢) . ولكن
 فرانيسكو كوديرا ناشر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي قرأه : نصر . وهو النضر بن سلمة
 ابن وليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد بن علي الكلابي القيسي . ترجم له ابن الفرضي
 تحت رقم ١٤٩٦ ، ج ٢/٢٨ - ٢٩ وقال إنه من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد ، استقضاه
 الأمير عبد الله بن محمد بقرطبة مرتين ثم استوزره . . وقال الرازي إنه توفي يوم الثلاثاء
 ٩ ذي الحجة ٣٠٢/٢٦ يونيو ٩١٥ . وترجم ابن الفرضي لأخيه محمد تحت رقم ١١٣٩
 (٣٢٠/٢) وقال إن الأمير عبد الله استقضاه بعد أخيه النصر (كذا وصحتها : النضر) بن سلمة ،
 وكان رجلاً صالحاً كثير العلم . توفي في ذي الحجة ٢٨٩/نوفمبر ٩٠٢ .

وعلى ذلك استفضاه مرتين ، ثم استوزره واستقضى أيضاً أخاه محمد بن سلمة تقيلاً للأخلاق الحكيمية^(١) ، وجرياً على الأعراق العبشمية .

وقرأت في تاريخ الحميدى ، أن الوزير سليمان بن وانسوس^(٢) — وكان من رؤساء البربر — دخل عليه يوماً — وكان عظيم اللحية — فلما رآه مقبلاً جعل الأمير عبد الله ينشد :

هَلْوَفة^(٣) كأنها جَوَالِقُ نكراء لا بآرك فيها الخالقُ
للعمل في حافاتها نفاقُ فيها لباغى المتكا مرافقُ
وفي احتدام الصيف ظلُّ رائقُ إن الذى يحملها لمائقُ

ثم قال له : « اجلس يا بربرى ! » فجلس وقد غضب فقال : « أيها الأمير ، إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم ، وأما إذ صارت جالبة للذل فغنيينا عنكم ، فإن حُلِّمَ بيننا وبينها فلنا دور تسعنا ، لا تقدرُونَ على أن تحولوا [بيننا و]^(٤) بينها » ثم وضع يديه في الأرض وقام من غير أن يسلم ،

(١) هنا يلمح ابن الأبار ويشير إلى ما تقتضيه « الأخلاق الحكيمية » و « الأعراق العبشمية » إشارة إلى غضب السلطان أب زكريا عليه وإبعاده وإلزامه بيته ، مما حفز ابن الأبار على تأليف كتابه « إعتاب الكتاب » على ما هو معروف وما ذكرناه في المقدمة . وقد كان ابن الأبار مسمى الحظ في تونس بسبب حدة مزاجه وعدم ضبطه لسانه ، فكان معظم أيامه مبعداً أو مفضوباً عليه كالمبعد ، ولهذا تكثر في كتبه مثل هذه الإشارات .

(٢) سترجم ابن الأبار لسليمان بن وانسوس هذا فيما بعد .

(٣) الهلوفة والهلوف اللحية الضخمة . (٤) ربما كانت صحتها نقائق أى تقيق .

(٥) وردت هذه العبارة مضطربة بالأصل ، بعضها في المتن وبعضها في الهامش ، وقد وردت « فغنيينا » « تغنيينا » وقد قومها دوزى (ص ٦٧) على هذا النحو ، وهو تقويم مقبول ، فأخذناه . وقوله : « فإن حُلِّمَ بيننا وبينها » المراد بها المنزلة أو وظيفة الوزارة التي كان يحتلها سليمان بن وانسوس في ذلك الحين . وأما قوله : « فلنا دور تسعنا لا تقدرُونَ على أن تحولوا بيننا وبينها » فإشارة إلى بيت أسرته الأول في ماردة ، وكان جده قد ثار فيها وامتنع على الحكم الرضى وسبب له متاعب طويلة حتى استسلم ولده وانسوس ونشأ ابنه سليمان في قرطبة على الطاعة . وتصرف الأمير عبد الله مع سليمان يعرض علينا جانباً من سياسته العامة ، فقد كان يدارى الناس ما أمكن تجنباً لمزيد من الثورات التي ملأت عصره كله .

ونهبض إلى منزله ، فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دَسْتَه^(١) الذي كان يجلس عليه ؛ وبقى كذلك مدة .

ثم إن الأمير عبد الله وجد فقده^(٢) لغنائه وأمانته ونصيحته وفضل رأيه ، فقال للوزراء : « لقد وجدتُ لفقْد سليمان تأثيراً ، وإن أردتُ استرجاعه ابتداءً [٣٦-١] منا كان ذلك غضاضةً علينا ، ولو ددتُ أن يبتدئنا بالرغبة » ، فقال له / الوزير محمد بن الوليد بن غانم : « إن أذنت لي في المسير إليه استنهضتُه إلى هذا فأذن له . فنهض ابنُ غانم إلى دار ابن وانسوس فاستأذن ، وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بني أمية ألا يقوم الوزير إلا لوزير مثله ، فإنه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه أولاً لحظة^(٣) ، فأبطأ الإذنُ على ابن غانم حيناً ، ثم أذن له ، فدخل عليه فوجده قاعداً ، فلم يتزحزح له ولا قام إليه . فقال له ابن غانم : « ما هذا الكبر ؟ عهدى بك وأنت وزير السلطان وفي أبهة رضاه تتلقانى على قدم وتزحزح لي عن صدر مجلسك ، وأنت الآن في موجدته بضد ذلك ! » فقال له : « نعم . لأنى كنت حينئذ عبداً مثلك ، وأنا اليوم حر » ، فبئس ابنُ غانم منه وخرج ولم يكلمه ، ورجع إلى الأمير فأخبره ؛ فابتدأ الأمير بالإرسال إليه ورده إلى أفضل ما كان عليه .

٤٤ - يعقوب ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

ويكنى أبا قصى ؛ كان أديباً شاعراً مطبوعاً كلفاً بالعلوم ، جواداً لا يلبق

(١) أى عزله من الوزارة . وقد كان لكل عضو من أعضائها دست أى مقعد يجلس عليه عند اجتماع الوزراء . وكان دست رئيسهم - وهو الحاجب - أعلى من دست الآخرين .

(٢) الأصح أن نقراً هنا : وجد لفقده ، أى حزن لغيابه .

(٣) كذا في الأصل بوضوح . وأصح أن نقراً هنا : ولا لحظة .

شيئاً^(١) ، وهو القائل في ابن أخيه أبي أمية العاصي ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن من قصيدة :

تُنَادِي ماجداً من عبد شمسٍ زكىّ الفرع مفضلَ اليدينِ
سما للمكرّمات فقد حواها بهنديّ وخطارٍ رُدَيْني
وغنيّاً حين يسكبُ لا الثريا به جادت ولا نوه البُطَيْنِ

ما أحسن قول أبي سروان بن حيان ، وذَكَرَ ثناء معاوية بن هشام الشيبينسي على أبي قصي هذا : أقول : وصفه بالطبع في الشعر ، ثم لم ينشد له ما يصدّق وصفه ، بل أنشد له ثلاثة أبيات [من قصيدة مدح بها ابن أخيه العاصي ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن]^(٢) ليست بطائل . وله مما قرأتُ في « كتاب الحدائق » لابن فرج :

يا ابنَ الخلائف من بني فِهْرٍ [... ..] الزهرِ^(٣)
يا أَكْرَمَ^(٤) الأملاك كلهم [... ..] مضطر
إن الصيام قد انقضى ومضى يندى يدريك [... ..] البشر

(١) يقال : فلان ما يليق شيئاً من سخائه ، أي ما يملكه . (اللسان ١٢ / ٢١٠) .

(٢) ابن الأبار يتقل هنا عن ابن حيان ، وقد وجدت الموضوع في مخطوطته التي عثرنا عليها ، وأعدّها للنشر مع الدكتور محمود علي مكّي (١٩٥ - ١) ، وأكملت نقص متن ابن حيان منها . وقد علق ابن حيان على هذه الأبيات بقوله : اضطرته القافية إلى أن قرن بين أغزر الأنواء وأنزرها ، فأحال جدا . والأبيات الثلاثة هي المذكورة آنفاً ، وبين روايتي ابن حيان وابن الأبار لما نقلاه عن معاوية ابن هشام الشيبينسي بعض خلاف في الألفاظ .

(٣) وردت هذه الأبيات في الأصل مبتورة هكذا ، ومن أسف أننا فقدنا كتاب الحدائق لابن فرج ، ولم أستطع إكمالها من أي مرجع آخر .

(٤) في الأصل : كرام ، وصوبتها للوزن .

٤٥/ - أخوه بشر ابن الأمير عبد الرحمن

[٣٦ - ب]

ذكر أبو محمد بن حزم في كتاب « جهرة الأنساب »^(١) أنه كان شاعراً ،
وأشده له أبو عمر بن فرج صاحب « كتاب الحقائق » :

حجابك لي عن الدنيا حجابٌ ويوم لا أراك به عذابٌ
وقد كانت تضيق الأرضُ عندي إذا وارك سِئْرٌ أو نقابٌ
فكيف أعيش إذ^(٢) وارك عنى قصور دونها بابٌ فبابٌ ؟

وليعقوب وبشر هذين إخوة جلة [منهم]^(٣) هشام ، وكان من أهل العلم
والفضل والبصر بالعربية ، وأكثر من الرواية عن يحيى بن يحيى . وكان أبوه
الأمير عبد الرحمن الحكم قد نصبه في خلافته للصلاة على جنائز أهل قصره
وأكابر رجاله ، كما نصب عبد الرحمن [بن معاوية] ابنه هشاماً . [ومنهم أبان
و [ثمن على اختلاف فيه ، [وهما]^(٤) ابنا عبد الرحمن بن الحكم ، وكانا أديبين
شاعرين ، وسيأتي ذكرهما في آخر التأليف إن شاء الله تعالى .

(١) لا وجود لهذا في « جهرة أنساب العرب » لابن حزم التي بين أيدينا ، مما يدل
على أن نسختنا مختصرة . ومن أسف أن ذلك الاختصار نال الكثير مما وصلنا من الكتب .

(٢) الأصل : إذا ، ولا يستقيم به الوزن .

(٣) أضافها دوزي هنا (٦٩) وهي إضافة في موضعها .

(٤) وردت هذه العبارة مضطربة في الأصل ، بعضها في المتن وبعضها في الهامش ،
وقد رتبناها على هذا النحو كما فعل دوزي (ص ٦٩) . وقد أثبت دوزي اسم أبان اعتماداً على
أن ابن الأبار ترجم له مع أخيه عثمان بعد ذلك . ولم أجد اسم أبان بين أولاد عبد الرحمن بن الحكم
كما أوردهم ابن حيان نقلاً عن الرازي (مخطوط ١٩٤ ب) ، وليس له ذكر كذلك في نسبه
بني أمية الأندلسيين كما ذكره ابن حزم في « الجهرة » (ص ٩٠) ، وربما كان هذا هو السبب
في قول ابن الأبار بعد أن ذكر أبان وعثمان : « على اختلاف فيه » .

٤٦ — القاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ، أبو محمد

كان من الأدباء الشعراء ، إلا أنه مُقِلٌّ . وكان أحد الجبابرة الموصوفين ، شديد البأوتياها ؛ وقبض عليه أخوه الأمير عبد الله فمات في حبسه مسموماً . ومن شعره [و]^(١) بديهته السائرة في الناس ، وقد دخل دار أخيه عثمان بن محمد فاستسقى ماءً فأبطأ عليه غلامه لعله لم يقبلها ، وأنشأ يقول :

الماء في دارِ عثمانَ له ثمنٌ والخبزُ فيها له شانٌ من الشانِ
فاسأخُ على كلِّ عثمانٍ مررتَ به إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ
كذا قال ابنُ حبانٍ ، وهو غلط لاخفاء به . وإنما البيتان من قطعة
لعبد الملك بن عبيد الرحيم الحارثي أنشدهما أبو عمر [بن عبد البر النمرى في كتاب
« بهجة »^(٢) المجالس] من تأليفه وهي :

يا أختَ كِنْدَةَ جافِي شربِ عثمانِ وأزيمى لبني أودٍ بهجرانِ
يا أختَ كِنْدَةَ سِيرِي سِيرِ ساخِطَةٍ كى تننوي مننوي غَضْبِي وغَضبانِ
/ الماء في دارِ عثمانَ له ثمنٌ والخبزُ فيه له شانٌ من الشانِ [٣٧-١]
عثمان يعلمُ أنَّ الحمدَ ذو ثمنٍ لكنه يشتهى حمداً بمجانِ
والناسُ أكيسُ من أن يحمداً وارجلاً حتى يروا عنده آثارَ إحسانِ
اغسلُ يديكَ بأشنانِ وأنقهما غسلَ الجنابةِ من معروفِ عثمانِ
واسأخُ على كلِّ عثمانٍ مررتَ به إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ

(١) أضفنا الواو هنا للسياق .

(٢) بياض في الأصل ، وهكذا أكله دوزى ، وهو حسن .

وأنشد له الحَمَيْدِي وقال فيه [... ..] القاسم غاط منه^(١) :
 سَكَنْتُ مِنْ قَلْبِي الْهَوَى مَا أَمَكْنَا ولقد أراه للصباية معدناً
 هذا هلالٌ قد بدا ومدامةٌ تجرى براحتة وعيش قد هنا
 وله أبيات كتب بها إلى محمد بن عبد العزيز العتبي الأديب لم يُجد رصفها
 فرأيت حذفها .

٤٧ - المطرف ابن الأمير محمد ، أبو القاسم

شقيق القاسم المذكور آنفاً . برع في الشعر وهو ابن عشرين سنة ، وتوفي
 معتبطاً في حياة أبيه وهو ابن أربع وعشرين ، وكان آدباً ولد الأمير محمد
 وأشعرهم . ذكر ذلك ابن حَيَّان ، وقال أبو محمد بن حزم في كتاب « جمهرة
 الأنساب » من تأليفه — وذَكَرَ المطرف هذا : « كان شاعراً مفلحاً ، علماً
 بالغناء . وكان له عَقِبٌ قد انقرض » .

وأنشد له صاحب « الخدائق » يرثي أخاه عبد الرحمن بن محمد :

أخٌ كان إن لم يمرع الناسُ أصبحتُ مواهبُهُ للناسِ وهي مرابعُ
 كثيرٌ عليك الحزن من كلِّ جانبٍ كما كثرت من راحتك الصنائعُ
 عليك سلامُ الله ، إن الندى لهُ زوالٌ وإن السعى بعدك ضائعُ

وله فيه :

يا عابدَ الرحمنِ ما أوضحَ فينا سُبُلكُ

(١) كذا في الأصل ، ولم أستطع تقويم العبارة من جذوة المقتبس للحميدى كما وصلتنا .

أيقظت^(١) شعري أبدأ فاقول لي والفعل لك
 ما الشكّل والحسرة [...] [...]^(٢)
 يا موت أمجلت فتى في^(٣) الرّوع قدماً أمجلك

/وله أيضا :

[٣٧ - ب]

أشهى من الكاسِ حاملُ الكاسِ أرعاه ما طاف حول جُلّاسي
 يتقل من أجله الجليسُ ولو كان من النسك آمنَ الناسِ

وكتب إلى أخيه المنذر بن محمد ، وكان ماثلاً إليه :

هل أتكى مشرفاً على نهري أرمى بطرفي إليه من قصرى
 عند أخٍ لو دَهَتْه حادثةٌ أعطيته ما أحبّ من عمرى
 نشرب نجليزية^(٤) فضيلتها أتحمّت الخمرَ ذلةً الخمرِ ؟

فوعده الكونَ عنده ، فكتب إليه يستنجزه :

وُلوعُ النفسِ بالوعدِ الوفىِّ وإيجازُ المقالِ على الولىِّ
 فإن أرضاك أن تغدو ضحاةً وإلا كان ذلكَ مع العشىِّ
 نكون ثلاثةً أنتَ المُبدىِّ ونحن إليك ، ثم أبو علىِّ

(١) الأصل : أبغضت ، ولا يستقيم بها المعنى . وقد جعلها دوزى : أيقّضت ، وما أثبتناه أقرب للسياق .

(٢) تركها الناسخ بياضاً ، ولعل تمام البيت :

ما الشكّل والحسرة [لي * الشكّل والحسرة لك]

(٣) نسي دوزى (ص ٧١) هذا الحرف .

(٤) كذا في الأصل ، وقرأها دوزى (ص ٧١) : قحلية ، ولم أجد أى اللفظين أو ما يقرب منهما في باب الخمر في مخصص ابن سيدة ، ولا وجدت لأحدهما معنى يتصل بالخمر في المعاجم ، وكل ما وجدت في مفردات ابن البيطار لفظ نجلي ، عمار كان يتطيب به .

وله في الشَّيبِ :

إِن شَيْبًا وَصَبُوءَةً لُمَحَالُ قَدْ أَنَى أَنْ يَكُونَ عَنْهَا زَوَالُ
رَكِبَ الشَّيْبُ لِعَتَى خَلَّلَ الشَّعْرَ رِ لَوْ قَتِ حَالَتُ بِهِ الْأَحْوَالُ
فَدَعَجَ^(١) النَّفْسَ عَنْ مَزَاحٍ وَلَهُوَ تَلِكْ حَالٌ مَضَتْ وَجَاءَتْ حَالُ
ولمحمد بن عبد العزيز العُتبي فيه ، يفضِّل شعره على أشعار إخوته وأقربائه
يُعْنِي^(٢) مَسَامَعَنَا لَدَيْهِ حَوَالِيَا بِلَاكِيٍّ مِّنْ لَفِظِهِ وَزَبْرَجِدِ
وَالشَّعْرُ يَسْجُدُ نَحْوَ قَبِيلَةِ شَعْرِهِ وَلغَيْرِ قَبِيلَةِ شَعْرِهِ لَمْ يَسْجُدِ

٤٨ - إبراهيم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أخوها

أنشد له ابن فرج في « كتاب الخدائق » :

دُنُوكَ مِنِّي فِي مَنْزِلِي هُوَ الْمَلِكُ بِسَرِّهِ اللهُ لِي
/ فَيَكْتُمُنَا جَانِبَ وَاحِدٍ وَيَجْمَعُنَا الشَّرْبُ مِنْ مَنَهْلِ
وَإِنْ حَالَ دُونَكَ بِأَبَا حَدِيدِ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ مِنَ الْجُنْدِلِ

[١-٣٨]

هؤلاء المروانيون في هذه المائة .

ومن الحسينيين فيها :

(١) الأصل : فزع . فعل أمر من وزع أى ازجر النفس .
(٢) الأصل : يعنى ، ولا معنى له هنا ، وقد تكون صحته ما أثبتناه .

٤٩ - القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي

وَلَى الْبَصْرَةَ^(١) وَطَنْجَةَ وَمَا يَلِيهِمَا لِأَخِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الْقَاسِمِ بَعْدَ أَبِيهِ
سُلْطَانَ الْمَغْرِبِ . وَكَانَ إِدْرِيسٌ قَدْ وُلِدَ مُحَمَّدًا هَذَا وَالْقَاسِمَ وَأَحْمَدَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَعَيْسَى
وَإِدْرِيسَ وَجَمْفَرًا وَيَحْيَى وَحَمزَةَ وَعَبِيدَ اللَّهِ وَدَاوُدَ - وَبِهِ كَانَ يُكْنَى -
وَعَمْرًا ، وَبَنَاتٍ .

وَلَمَّا تَوَفَّى إِدْرِيسٌ مَسْمُومًا فِي حَيَةِ عَنبٍ^(٢) سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ
- كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ - اجْتَمَعَتِ الْبُرْبُرُ عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَبَايَعَتْ لَهُ إِخْوَتَهُ جَمِيعًا ،
وَاتَّخَذَ مَدِينَةَ فَاسٍ قَرَارًا ، وَفَرَّقَ بِلَادَ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ^(٣) ؛ فَكَثُرَ أَخُوهُ عَيْسَى

(١) يريد بَصْرَةَ الْمَغْرِبِ وَكَانَتْ بِلَدًا إِسْلَامِيًّا مَشْهُورًا ، وَلا زَالَتْ آثَارُهُ بَاقِيَةً ظَاهِرَةً
عَلَى يَسَارِ الطَّرِيقِ مِنْ طَنْجَةَ إِلَى سُوقِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَهِيَ عَلَى نَحْوِ ١٠٠ كِيلُومِتْرٍ جَنُوبِي طَنْجَةَ فِي خُطِّ
مُسْتَقِيمٍ تَقْرِيبًا ، وَتَسْمَى بَصْرَةَ الْكُتَّانِ أَوْ بَصْرَةَ الذَّبَانِ ، أَسَسَهَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الثَّانِي سَنَةَ ٢١٨ /
٨٣٣ ، وَقَدْ أَطَالَ الْكَلَامَ عَنْهَا أَبُو عَيْبَةَ الْبَكْرِيُّ (ص ١١٠ - ١١١) وَذَكَرَهَا ابْنُ حَوْقَلٍ
وَإِدْرِيسِيُّ وَغَيْرُهُمَا .

انظر: أحمد المكناسي ، خريطة المغرب الأركيولوجية (تطوان ، ١٩٦١) ص ١١ .
وانظر عنها: الاستقصا للسلاوي (الدار البيضاء ١٩٥٤) ١/١٧٢ .

(٢) هذه أيضاً رواية روض القرطاس (ص ٦) وكانت وفاته حسب رواية هذا
الكتاب في ليلة ١٢ جمادى الثانية ٢١٣/٢٩ أغسطس ٨٢٨ وكانت سنه ٣٨ سنة .

(٣) كان محمد بن إدريس بن إدريس قد قسم نواحي دولته بين إخوته ، نصبته
بذلك جدته كنزة . وقد أورد هذا التقسيم ابن أبي زرع في روض القرطاس (طبعة فاس ، ص ٦) ،
وابن عذارى في البيان المغرب (٢١٠/١) ، والسلاوي في الاستقصا (١٧٣/١) ، والبكري في
وصف إفريقية ؛ وهذا التقسيم يهمننا هنا لتيسير تتبع الحوادث الخاصة بمن يترجم لهم ابن الأبار
من الأدارسة . وفيما يلي جدول مقارنة لهذا التقسيم ، ولم نورد نص ابن عذارى لأنه لا يضيف
شيئاً ذا بال :

ابن إدريس وخرج عليه ، فكتب محمد إلى القاسم يأمره بمحاربته إذا كان
يحاديه^(١) في ولايته ، فأبى القاسم وكتب إليه معذراً من توقفه عما أمره به :
سأترك للراغب الغرب نهياً وإن كنت في الغرب قميلاً وندباً
وأسمو إلى الشرق في همية يعز بها رتباً من أحبباً
وأترك عيسى على رأيه يعالج في الغرب همماً وكرباً

الاستقصا	روض القرطاس	وصف إفريقية
مثل روض القرطاس .	طنجة . سبتة . قلعة حجر النسر . تطوان . بلاد مصوذة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل .	القاسم : البصرة وطنجة وما والاها .
بلاد هوارة . تسول وتازا وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغيثة . أصيلا والبصرة والعرائش وورغة .	بلاد هوارة . تسول . بلاد غيثة . البصرة . أصيلا . العرائش إلى بلاد ورغة .	داود : هوارة تاسلمت . يحيى : داي وما والاها .
تيكساس . ترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة .	مدينة تمنجساس . بلاد هوارة وما والاها .	عمر : صنهاجة وغمارة .
مكناسة . تادلا وما بينهما من بلاد فازاز . أغيات . نفيس . جبال المصامدة . بلاد لمطة . السوس الأقصى . وليلي وأعمالها .	مكناسة . بلاد فازاز . بلاد تادلا . مدينة أغمات . بلاد نفيس . بلاد المصامدة . السوس . تلسان وأعمالها . مدينة شالة وبلاد تامسنا .	أحمد : لم يذكره في هذه الولايات . عبد الله : لمطة وما والاها . حزة : الأودية بقرب ويلي . عيسى : وازمور وملي .

وأجمع الأربعة على أن الباقيين من إخوته كانوا صفاراً ، فبقوا في كفالة جدتهم كثره .
ويلاحظ أن ابن الأبار في كلامه هنا يقول إن القاسم تولى البصرة إلى جانب طنجة متابعا البكري
في حين أنها - حسب روض القرطاس والاستقصا - كانت من نصيب يحيى .
(١) كذا في الأصل ، واللفظ غير واضح المعنى ، فإن كان المراد أن حدود ولايتهما
متجاورة لم يصح ذلك تماماً كما يتضح من الجدول السابق . والغالب أنها تصحيف للفظ يعاديه أو يجاذبه .

ولو كان قلبي عن قلبه لكنت له في القرابة قلباً
 وإن أحدث الدهر من ريبه شقاً علينا وأحدث حرباً
 فإني أرى البعد ستراً لنا يُجدد شوقاً لدينا وحباً
 ولم نَجِنِ قطعاً لأرحامنا نُلَاقِي به آخرَ الدهرِ عتياً
 وتبقى العداوة في عقبنا وأكرم به حين نعقب عقباً
 وأوفق من ذاك جوب الفلاة وقطعُ المخارمِ نَقَباً فنقباً

/ فكتب محمد إلى أخيه عمر - وكان على صنهاجة وغمارة^(١) - يأمره [٣٨-ب] بمحاربة عيسى ، فأجابه وسارع وخرج يريد عيسى بعسكره . فلما قرب من أحواز فاس كتب إلى محمد يستمده ، فبعث إليه من كان معه ، ونفذ في أصحابه قبل لحاق المدد ، فأوقع بعيسى ونفاه عن عمله واستولى عليه ، فأمره محمد بالإقامة فيه ، ثم أمره بمحاربة القاسم ، فخاربه وتغلب على ما كان بيده ، فتخلى القاسم عن ذلك لمحمد وعمر ، وتزهد وبنى مسجداً على ساحل البحر بأصيلاً ولزمه .

فلما عين البربر ذلك نهضوا إليه وهو بمرباطه فصرفوه إلى عمله ، ورجع إليه كل من صدر إلى أخويه محمد وعمر .

وقال الرازي ، وذكر أولاد إدريس بن إدريس : « فأما محمد بن إدريس فولّى مدينة فاس بعد أبيه ، وقسم عمل أبيه على إخوته وأخرجهم عمالاً ، ثم أخذ إلى اللهو واشتهر بالشرب والخلوة بالنساء^(٢) ، فخلعه إخوته ومالك كل واحد منهم ما تحت يده . ثم لم يلبث محمد أن هلك ولم يعقب ، فولّى أمر فاس

(١) هنا أيضاً يختلف التقسيم عما أوردناه في هامش الصحيفة السابقة نقلاً عن روض القرطاس .

(٢) هنا وقع الرازي في غلط كبير ، فخلط بين الإدارة خطأ لا ندري كيف يقع فيه مثله . فإن محمد بن إدريس بن إدريس كان من صلحاء أمراء الإدارة وقادريهم ، وقد ظل =

بعد [هـ]^(١) القاسم أخوه ، ومَلَكَهَا ملك سيادة ، وتجمع الناس إليه من كل ناحية^(٢) ، ولحق المنفيون عن ربض قرطبة بها ، وتمدنت وكثر أهلها .

* * *

= يحكم إلى أن توفي في ربيع الثاني سنة ٢٢١/مارس ٨٣٥ ، وخلفه ابنه علي بن محمد بن إدريس ابن إدريس الملقب بحيدرة ، وظل في الحكم إلى رجب ٢٣٤/يناير ٨٤٨ ، وخلفه أخوه يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وكان أميراً قادراً ذا عناية بشئون العمران ، وفي أيامه بنى جامع القرويين سنة ٢٤٥/٨٥٩ . ثم خلفه ابنه يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وهذا هو الذي أساء السيرة وكثر عبثه في الحرم حتى دخل الحمام على امرأة ، فثار الناس عليه بزعامة رجل من أهل فاس يسمى عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي وأخرجه منها فهرب إلى عدوة الأندلسيين فات بها من ليلته (البكري ؛ ص ١٢٤ - ١٢٥)

وكانت زوجة يحيى هذا هي عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس « صاحب الريف والسواحل » كما يقول السلاوي ، فكتبت إلى أبيها تعلمه بما وقع ، فجمع رجاله ودخل فاس وتولى الأمر . أما ما يقوله الرازي من أن القاسم تولى الأمر ، فرده إلى خلط بين القاسم وابنه يحيى . ذلك أن علياً بن عمر المذكور لم يستطع البقاء طويلاً في الحكم ، إذ ثار عليه رجل من الخوارج الصفرية يسمى عبد الرازق الفهري ، وغلبه على الأمر ، وفر عمر بنفسه إلى بلاد أوربة ، وملك عبد الرازق عدوة الأندلسيين من فاس ، أما أهل عدوة القرويين فامتنعوا عليه ، وبعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس ، فأقبل وولوه عليهم ، فتمكن من هزيمة عبد الرازق الفهري ، وملك بلاد الأدارسة إلى أن اغتاله رجل يسمى الربيع بن سليمان سنة ٢٩٢/٩٠٤ .

انظر : روض القرطاس : ص ٦ وما يليها . ابن خلدون ، تاريخ : ١٤/٤ - ١٨ . أبو عبيد البكري : المسالك والممالك ، الجزء الخاص بالمغرب ، نشره دي سلين في الجزائر سنة ١٩١٠ ، ص ١٢٣ - ١٣٢ . السلاوي ، الاستقصا : ١/١٧٣ - ١٨٣ . أما ابن عذارى فروايته لأخبار الأدارسة يشوبها كثير من الخطأ ، فهو يخلط بين يحيى الأول ويحيى الثاني ، ويخطئ خطأ غريباً : ١/٢١٠ - ٢١٦ .

(١) زيادة لا بد منها للسياق .

(٢) هذا يخالف ما في روض القرطاس (ص ٧) . قال في شأن القاسم بعد أن ذكر مسير أخيه عمر إليه : « فكانت بينهما حروب عظيمة ، ثم هزم القاسم ، واحتوى عمر على ما بيده من البلاد . وسار القاسم إلى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلا ، فبنى هناك مسجداً على ضفة البحر بموضع يعرف بتاهدات ، فأقام يتعبد فيه ، وزهد في الدنيا إلى أن مات رحمه الله تعالى » . وانظر أيضاً البكري ، ص ١٢٤

ومن رجال الرواية :٥٠ - عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث^(١)

الحاجب ، أبو حفص

استحجبه الحكم الربضي ، وكان أبوه عبد الواحد حاجباً لهشام الرضا
والد الحكم . وعن ابن حبان أن هشاماً ولّى عبد الكريم هذا كورة جيان ،
وأنه أغزاه ألبّة والقلاع^(٢) ، وأغزى أيضاً أخاه عبد الملك وولاه سرقسطة .

(١) عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث من أكابر رجال الدولة المرورية الأندلسية أيام الحكم الربضي وابنه عبد الرحمن ، وهو في الغالب من أولاد مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك ، وقد كان أخوه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث من قواد الأمير هشام الرضا ابن عبد الرحمن الداخل . وقد كان عبد الكريم قائداً من قواد الحكم ثم استوزره وولاه الحجابة فأقام في هذه الوظيفة حتى وفاة الحكم ، واستحجبه أيضاً عبد الرحمن الأوسط مع بقائه على القيادة . وتوفي عبد الكريم في طريقه إلى غزوة جليقية سنة ٨٢٤/٢٠٩ - ٨٢٥ . ولم يجد عبد الرحمن من يقيمه مكانه ، فعهد في قيادة الصائفة إلى أمية بن معاوية بن هشام . وبعد موت عبد الكريم تنافس الوزراء في الوصول إلى الحجابة وأكثروا السعي والشفاعات حتى أضجروه ، فقرر ألا يوليها أحداً منهم ، وعطلها مدة ثم اختار لها رجلاً من المقرين إليه ، لم يكن من الوزراء ولا سبقت له خدمة هوسفيان بن عبد ربه ، وأصله من بربر يانقة ، فتولاها إلى أن مات ، ثم خلفه فيها عبد الرحمن بن غانم ، ثم صارت إلى عيسى بن شهيد معظم أيام عبد الرحمن الأوسط . ويجمع مؤرخو الأندلس على أنه لم يل الحجابة أقدر ولا أصلح من عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وعيسى بن شهيد ، وهم يقولون إن عبد الكريم كان أكفاً وأقدر من صاحبه ، ولكن عيسى كان أسلم خلقاً إذ لم يكن يقبل المكافأة على قضاء الحاجة ، أما عبد الكريم فإنه كان يقبل ذلك ولا ياباه . (أبو بكر بن القوطية ، برواية ابن حبان ، المخطوط ص ١١٩٥ ، ١٩٥ ب) .

(٢) ألبّة والقلاع ، علمان جغرافيان يستعملان عادة معاً في النصوص العربية . أما ألبه فهي Alava وهي الإقليم الواقع عند منابع نهر إبرة على الضفة اليمنى (الشمالية) للنهر . وأصل الاسم غير معروف ، فذهب بعضهم إلى أنه مشتق من Uraba و Alba ، بل ذهب بعضهم -

وكان عبدُ الكريم بليغاً مفوهاً شاعراً ، وولى الكتابة للحكم إثر محمد بن أمية ، وقاد الصوائف ، وجرت على يديه فتوح جسام . وعلى يديه استأمن أهل الرِّبَض ؛ وله رسائل عن الحكم في الهيج . ذكر ذلك عيسى بن أحمد الرازي ، قال : « وأخرجه الحكمُ إلى عمروس ^(١) - وكان قد خلع بسرْقُطَةَ - فاستماله وقدم به قرْطُبَةَ ، فوصله الحكمُ وخلع عليه وسجّل له على سرْقُطَةَ وتُطَيْلَةَ ووَشَقَه ، وصرفه إلى الثغرفات هناك . وأنشد ابنُ حَيَّان لعبد الكريم هذا في رثاء الحكم بن هشام وتهنئة ولده الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالخلافة :

[٣٩-١] / كان الزمانُ مرزاً بخليفةِ أزدى فكاد نهارنا أن يُظلماً
حتى إذا قعد الإمامُ لبيعةِ كالغيثِ شحَّ بوبله ثم انهمى
لله أية بيعةٍ ما أعظما وأجل فخرأ في الأنام وأنفما
أعطتُ قريشٌ بيعةً مرضيةً لإمامينا الملكِ الكريمِ المنتمى
وبدا كمثلِ البدرِ ينصدعُ الدجى عنه ويكشف نورهُ ما أبهما
لله أنت أبو المطرفِ في الوغى وخائفٌ ولمعتفٍ قد أعدما

= إلى أن أصله عربي Araba لأن الاسم لم يظهر إلا بعد دخول العرب . أما القلاع فيراد به المنطقة التي تعرف اليوم بقشتالة القديمة Castilla ia Vieja ، سماها العرب كذلك لكثرة قلاعها ، وقد يكون العرب ترجموا بذلك اسمها القديم Castellae . وألبه اليوم إحدى المديریات الثلاث التي يتكون منها إقليم Vascongadas وهو الذي كان العرب يسمونه بلاد البشكونس ، وهذه المديریات هي Quipuzcoa وقاعدتها سان سباستيان وبسكايه Vizcaya وقاعدتها بلباو Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة وعاصمتها Vitoria . وكان العرب في غزواتهم لهذه النواحي يسيرون حتى سرقسطة ، ثم يمشون مع نهر إيره نحو متابعه حتى يفضوا إلى ألبه ثم القلاع ، ولهذا يذكر الإقليمان معاً .
(١) في الهامش إلى يمين هذا السطر بخط مخالف : عيسى بن أحمد الرازي .

٥١ - هاشم^(١) بن عبد العزيز

الوزير ، أبو خالد

هو أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز وكبيره ، وولاه سلفه ما لعثمان بن عفان رضى الله عنه^(٢) . وكان هاشم خاصاً بالأمير محمد بن عبد الرحمن : يؤثره بالوزارة ، ويرشحه مع بنيه - ومفرداً - للقيادة والإمارة . وولاه كورة جيان ، فعلى يده بُنيت أبدة وأكثر معاقلها المنيمة . وهو أحد رجالات الموالى المروانية بالأندلس .

اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في سواه من أهل زمانه ، إلى ما كان عليه من البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة ، إلى ما له من القديم والبيت والسابقة . فلو لم يُعنه سلفه ، لنهضت به أدواته هذه الرقيقة .

ونكبه المنذر بن محمد لأشهر من خلفته ، بعد أن ولاء الحجابة وأظهر عنه الرضا ، وذلك لأشياء حققها عليه في خلافة أبيه محمد ، إذ كان يُخرجه معه قائداً للجيش وبعد ذلك^(٣) .

(١) في الأصل : هشام ، وهو خطأ .

(٢) ذكر ابن الفرضى نسب هاشم وأخيه أسلم في ترجمته لهذا الأخير (رقم ٢٧٨ ج ١/٨٠) : أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان ابن عمرو مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد كان أسلم من أجلاء فقهاء الأندلس ، سمع من يقي بن مخلد وصحبه زماناً طويلاً ، ثم رحل إلى المشرق سنة ٢٦٠ ثم رحل إلى المشرق فلقى الشيوخ ، وعاد إلى قرطبة . وقد تولى قضاء الجماعة فيها مرتين ، توفي في رجب ٣١٩ / يوليو ٩٣١ .

(٣) العبارة مقطوعة هنا . وقد أطال ابن حيان الكلام على هاشم بن عبد العزيز في المقتبس (مخطوطتنا ، ص ٢٢٥ - ١ وما بعدها) ، ولكنى لم أجد ما يصلح هذه العبارة . وقد وجدت في المغرب لابن سعيد (١/٥٣ و ٢/٩٤) عبارة يمكن أن نعدها تقويم الكلام هكذا : « إذ كان يخرجه معه قائداً للجيش ، [فأساء الأدب معه حتى أحقده وأتلف محبته بعد أن صارت السلطنة إليه] بعد ذلك ، [فلما مات محمد وولى المنذر قتله المنذر شرقتة بعد السجن والعذاب] »

وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازي في كتاب «الحجّاب للخلفاء بالأندلس» من تأليفه ، أن المنذر بن محمد استخلف يوم الأحد لثلاث^(١) خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، بعد وفاة أبيه بأربع ليالٍ ، إذ كان غازياً بناحية ربة ، فأغذّ السير ودخل التصرّ يوم الأحد وصلى على أبيه — وكانت وفاته ليلة الخميس لليلة بقيت من صفر — ودُفن . وبويع للمنذر [٣٩ - ٤٠] بقية الأحد ويوم الاثنين بعده ، واستحجب هاشم بن عبد العزيز / إلى أن قتله .

قال : ولما قدم المنذر نزل في السطح وقعد للبيعة في ثياب سفره ، وربما اتكأ على فراشه لما كان أخذه من النصب وألم السفر لطيه المراحل . فلما دخل الناس قام هاشم وبيده كتاب البيعة فافتتح قراءته ، فلما بلغ إلى ذكر الإمام محمد خنفته العبرة ، فلم يبن كلامه . ثم استدرك أمره ورجع من أول الكتاب ، حتى إذا انتهى إلى الموضع الذي انتهى إليه أولاً أخذه أيضاً الحصر ، فلحظه المنذر لحظة منكراً ، ورآها منه هاشم فمضى في قراءة الكتاب حتى أكمله . فلم يشك كل من رأى تلك اللحظة أنه قاتله . قال : ولما وُضع نعش الإمام محمد على قبره ، ألقى هاشم رداءه وقلنسوته ودخل القبر وبكى بكاءً شديداً ، ثم قال متمثلاً وهو يقبر :

أعزّي يا محمدُ عنك نفسى معاذَ الله والمين الجسامِـ

فهل مات قوم لم يموتوا ودُوِّع عنك لي كأسُ الحمامِـ

فكان ذلك مما أوقد عليه موجدة المنذر ؛ والبيتان لأبي نواس الحسن ابن هانى يقولهما في محمد الأمين حين قُتل .

قال الرازي : وذكر أن محمد بن جهور وعبد الملك بن أمية كانا يرفعان عليه ويفريان به ، وأنه خرج توقيع بخط يد الإمام المنذر فيه وهم ، فتنفس هاشم

(١) عند ابن عذارى (١٣٣/٢) : ثمان .

فرغ عنه . قال : وحدثت من كان [حاضراً عند]^(١) هاشم - يعني يوم القبض عليه - إذ أقبل صاحب الرسائل مستحثاً له ، فخرج هاشم ومعه عمر ابنه فقبض منه كتباً كانت بيده . وكان في رحبة داره قوم من أهل لَبْلَةَ قد أتوا لشكر ابن أخيه - وكان عاملهم - فلما خرج هاشم اندفعوا مستهلين بالشكر ، فانتهرهم الفتى الذي أنى فيه وخرج عليهم^(٢) وأغلظ لهم وقال لهم : « يا كذبة ! » . قال : فرأيت هاشماً قد لربدَّ وجهه ، غير أنه لم يُقَارِضْهُ بكلمة ، ومضى .

وكان تحته فرس رائع أشقر ، فلما أتى عند باب الجِنان^(٣) سكب الفرسُ بهاشم فاستقل^(٤) به ووقف [و] قد امتقع لونه ساعة ، ثم تقدم ودخل . قال : فلم ينفض^(٥) أهلُ موكبهِ حتى خرج راجلاً مكبلاً ، فوالله ما رأيت يوماً أكثرَ باكياً من ذلك اليوم ، ولو قلتُ إنه / لم تخلُ دارٌ بقرطبة من بكاءِ علي هاشم [٤٠ - ١] يوم حُبس لما أبعدتُ واصلدتُ ، فإنه كان رَحْمَةً مبسوطة للعامة والخاصة^(٥) .

قال : وأمر المنذر [ب] بحبس أكبر أولاده ، [غير]^(٦) فإنه كان عيناً

(١) بياض في الأصل ، أكلناه للسياق .

(٢) الأصل : حرج . وخرج على : بمعنى سب وشتم ، وهو استعمال يرد كثيراً عند ابن حيان بهذا المعنى .

(٣) باب معروف من أبواب قصر الإمارة بقرطبة ، وكان باباً خلفياً ينفذ إلى حدائق القصر ، والغالب أنه كان يقع على ضفة الوادي الكبير .

(٤) الأصل : وكبحه . وقد صوبها دوزي : وكبَّه ، وهو تصويب صحيح . وقد تركت الضمة فوق تاء استقل كما هي في الأصل .

(٥) وردت هذه العبارة مضطربة في الأصل ، وبعضها في الهامش على اليمين ، فقومناها كما في المتن .

(٦) ورد هذا اللفظ في الأصل : غب . وقد أكلته على هذا النحو كما يقتضيه السياق . وواضح أنه سقط اسم ذلك الولد من أولاد هاشم بن عبد العزيز الذي كان عيناً للمنذر عليه . ولم نجد فيما بين يدي من المراجع ما أسد به هذا النقص ، ولو أنني أستبعد أن يكون هذا الجاسوس ابناً مباشراً لهاشم بن عبد العزيز ، لأنه لو كان كذلك لما فات أصحاب الكتب التي بين =

للمنذر عليه ، يخاطبه بأسراره وجميع أخباره ، ولم يزل عبدُ الملك بن أمية يفرى به^(١) ويرفع عليه ويستعين بالسيدة أخت المنذر في مطالبته ، حتى كان من ضربته وهدم داره وإخراجه منها وقتله ما كان .

قال : وأخرج هاشم صبيحةَ الليلة التي قُتل فيها — ليلة الأحد لأربع بقين من شوال سنة ثلاث وسبعين — غُطيت^(٢) جُثته ورأسه بثوب ، وبُعث به إلى أهله . وكان مواده في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم . ومن شعره ، وكتب به من محبسه إلى جاريته « عاج » :

وإني عدّاني أن أزوركِ مطبقٌ وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبُ
فإن تعجبي يا « عاجُ » مما أصابني ففي ريبِ هذا الدهر ما يتعجبُ
وفي النفسِ أشيا أبيتُ بغمِّها كأنني على جمر الغضى أتقلبُ
تركت رشادَ الأمرِ إذ كنتُ قادراً عليه فلاقيتُ الذي كنتُ أرهبُ

= أيدينا (وكلها مختصرات عدا مخطوطة ابن حيان) الإشارة إلى هذه الغريبة . فابن عذارى يقول : « ثم بعث فيه الأمير ليلاً ، فقتله وسجن أولاده وحاشيته ، واتهب ماله وهدم داره ، وألق أولاده في السجن ، وألزمهم غرم ٢٠٠٠٠٠٠ دينار ، فلم يزالوا في السجن والغرم إلى موت المنذر وولاية أخيه عبد الله ، ثم أطلقهم عبد الله ، وصرف عليهم ضياعهم ، وولى أحدهم الوزارة والقيادة » (البيان : ١١٦/٢)

(١) العداوة بين عبد الملك بن عبد الله بن أمية وهاشم بن عبد العزيز عداوة قديمة ترجع إلى أول ولاية ابن أمية الكتابة العليا للأمير محمد ، وكانت خطة كبرى تجعل صاحبها في عداد الوزراء ، وكان يتولاها قبله حامد بن محمد الزجالي ، وكان عبد الملك بن أمية غير مؤهل لصناعة الكتابة ، فهاجمه هاشم بن عبد العزيز من هذه الناحية ، ومضى ينتقصه ، فنبه الأمير محمد إلى سوء تصرفه فتوقف حيناً عن مهاجمة عبد الملك بن أمية . وقد صرح ابنُ أمية الأميرَ بأنه لا يجيد الكتابة ، فأبقاه الأمير فيها رغم ذلك ووعدته بأن يمهده بمن يعينه فيها . ثم عاد هاشم إلى تنقص عبد الملك وثقده ، واشتدت العداوة بينهما . وقد ظلت الغلبة لهاشم ما عاش الأمير محمد ، فلما مات وخلفه ابنه المنذر أمكنت الفرصة لعبد الملك بن أمية في هاشم ، فلم يتوان في الانتقام (ابن حيان ، مخطوط ، ص ٢٢٤ ب ، ١٢٢٥)

(٢) الأصل : وغطيت .

وكم قائلٍ قال : أنجُ ويحك سالماً
فقلت له : إن الفرار مذلةٌ
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني
فمن يك مسروراً بحالي فإنه^(١)
ففي الأرض عنهم مُستترادٌ ومذهبُ
ونفسي على الأسواء أحلى وأطيبُ
وما من قضاء الله للمرء مهربُ
سينهل في كاسي وشيكاً ويشرب

وله ، وكتب به إلى وليد بن غانم^(٢) الوزير في أسره أثناء مخاطبة :

فكم غصةٍ بالدمع نهنتُ خوفَ أنْ يُسرَّ بما أبدية شنانُ كاشحُ
تحاملتُ عنه ثم نادمتُ في اللججِ نجومَ الثريا والدموعُ سوافحُ
وله مما قاله بديهاً ، ووقع بذلك على ظهر رقعة لأحد أبنائه خاطبه فيها

بشعر ضعيف :

لا تقل - إن عزمت - إلا قريضاً راثقاً لفظه ، ثقيفاً رصينا

(١) في البيان لابن عذارى (١١٦/٢) :

* فن يك أسى شامتاً بي فإنه *

(٢) وليد بن عبد الرحمن بن غانم من أجل وزراء الأمير محمد وأقدرهم وأعظمهم مروءة وأكثرهم ثقافة وعلماً . كانت أول الوظائف الكبيرة التي وليها وظيفته « صاحب المدينة » وواه إياها الأمير محمد ، ثم استعفى منها لخلاف في الرأي مع الأمير محمد حول مسألة تتصل بالإدارة والمال ، ثم ثبتت صحة رأيه ، فعاد الأمير محمد واستدعاه ليشغل وظيفته صاحب المدينة كما كان ، فأبى ، وظل معتزلاً إلى أن رفعه محمد إلى مرتبة الوزارة . وكان وليد صديقاً لهاشم بن عبد العزيز ، فلما وقع هاشم أسيراً في غزوة خرج إليها تحت قيادة المنذر بن محمد ولي العهد للقضاء على ابن مروان الجليقي غضب الأمير محمد إذ رأى في وقوع هذا الوزير القائد الأثير إليه مهانة للدولة ، فجعل « يلومه ويستقصره ويحمل عليه وينال منه » ولم يبق في المجلس من لم يحمل على هاشم ، إلا وليد بن غانم فقد تصدى للدفاع والاعتذار عنه ، فأعجبت هذه الشهامة الأمير محمداً . وفي سنة ٢٦٣ خرج وليد في الغزاة تحت إمرة الأمير المنذر لقتال ابن مروان الجليقي وكان هاشم في أسره . وقد أطلق ابن مروان أسره هاشم سنة ٢٦٤ .

ابن حيان ، المخطوط : ٢٣٢ ، ب . ابن عذارى ، البيان : ١٠٢/٢ - ١٠٣ .

[٤٠-ب] / أودع الشعر ، فهو خير من الغيث ، إذا لم تجد مقالا سمينا

وما أحسن قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي في هذا المعنى :

حور لمعناك لفظاً كي تزان به وقل من الشعر سحراً ، أو فلا تقل
قال كحل لا يفتن الأبصار منظره حتى يصير حشواً الأعين النجل

ولهاشم في البيرة يذم وروده عليها ، وهي مكان أوليته :

إذا نحن رُحنا عنك يا شرّ بلدة فلا سقيت ربك صوب الرواعد^(١)
ولا زال سوط من عذاب منزل على قائم من ساكنيك وقاعد
فأجابه فتى من أهلها المتأدين يعرف بابن وجيه :

لقد حرم التوفيق من ذم بلدة يروح بها في نعمة وفوائد
ومن يقني سوط خزي منزل على قائم من ساكنيها وقاعد
فإن كنتم لم تحمدوا ما اخترتم فكل لكل لا ثم غير حامد

٥٢ - ابنه عمر بن هاشم

سجنه الأمير المنذر بن محمد مع إخوته لما نكب أباهم ، ثم أمر بصلبهم في الغزاة التي توفى فيها ، وولى أخوه الأمير عبد الله بن محمد فعجل الكتاب بإطلاقهم ، ثم قدم وولى عمر هذا كورة جيان ، وأخاه أحمد بن هاشم الوزارة والقيادة . ومن شعر عمر :

يا خليلاً فضله با د على كل خليل
والجيد الشعر في ك بل بسيط وطويل

(١) كذا عند ابن حيان وابن الأبار ، وفي البيت زحاف ظاهر .

بضروب الضرب والإيدِ قاع والقول الأصيلِ
لا تلمني واصفحن عند (م) م وسهل لي سبيلي
في خلاصى [...] العذرا الجميل^(١)

٥٣ - تمام بن عامر الثقفي

الوزير ، أبو غالب

هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة^(٢) ، دولى عبد الرحمن
ابن أم الحكم الثقفي ؛ وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية
ابن أبي سفيان ، / عُرف بها ابنه اشرفها .

[٤١ - ١]

ودخل تمام بن علقمة أبو غالب الأندلس في طالعة بلج ، وهو أحد النقباء
القائمين بدولة عبد الرحمن بن معاوية ، وولى له الحجابة والقيادة . وهو افتتح
طليطلة عنوة مع بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، ثم ولى وشقة وطرطوشة
وطرسونة ؛ وعمر طويلاً وتوفى في آخر دولة الحكم الربضى .

وقد وُلد تمام بن عامر هذا [سنة أربع وثمانين ومائة]^(٣) ، وكان غالب بن تمام

(١) الأصل : العذرا الجميل . وقد جعلها دوزى (ص ٧٧) : الجهل الجميل .

(٢) ذكر ابن حبان نقلاً عن « كتاب القاضى أبى الوليد بن الفرضى المؤلف فى الأدباء »
نسبه الكامل ، قال : « هو تمام بن أحمد بن عامر بن غالب بن تمام بن علقمة مولى عبد الرحمن
ابن أم الحكم الثقفى »

(٣) أكلت العبارة بهذا للسياق ، وسيذكر ابن الأبار نفسه تاريخ مولده فى آخر
ترجمته ، ولكن إذا حسبنا هذا التاريخ على أساس تاريخ وفاته وعمره بحسب ما يذكره ابن
الأبار ، لكان ميلاده سنة ١٩٧ هـ .

والياً على طَلَيْطَلَةَ ، وقتله سليمانُ بن عبد الرحمن بن معاوية وصلبه ومثل به في انتزائه على أخيه هشام بن عبد الرحمن الأمير بعد أبيهما .

وَوَلَّى تمام بن عامر خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله ، فانتظمت وزارته لثلاثة من الخلفاء . وعُمرُ عمرًا طويلاً زائداً على عمر جده الأكبر ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقد بلغ ستاً وتسعين سنة . وله الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولائها والخلفاء فيها ووصف حروبها ، من وقت دخول طارق بن زياد مُفْتَتِحِهَا إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم .

وكان عالماً أديباً ، ذكر ذلك ابن حَيَّان . وقال أبو بكر الرازي : ولد عامر ابن أحمد تماماً ؛ وَلَى الوزارة والحيل والقيادة ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين - يعني ومائتين - ومولده سنة أربع وتسعين ومائة . ومن شعره :

يُكَلِّفُنِي الْعُدَالَ صَبْرًا عَلَى التِّي (١) أَبِي الصَّبْرِ عَنْهَا أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّهَا
إِذَا مَا قَرَعْتُ (٢) النَّفْسَ يَوْمًا فَأَبْصَرْتُ سَبِيلَ الْهَدَى عَادَ الْهَوَى فَأَضَلَّهَا
وَكَمْ مِنْ عَزِيزِ النَّفْسِ لَمْ يَلْقَ ذِلَّةً أَقَادَ الْهَوَى مِنْ نَفْسِهِ فَأَذَلَّهَا
عَجِبْتُ لِمَعْدُولٍ (٣) عَلَى حَبِّ نَفْسِهِ يَكَلِّفُهُ عُدَالَهُ أَنْ يَعْلَمَهَا

(٢) الأصل : إنني ، وقد جعلها دوزي (ص ٧٨) : أنسى ، والتصويب من ابن حيان . وقد قال تمام هذا الشعر في زوجته أم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية ، قال ابن حيان : « فجاء من نسلها الوزير الكاتب عيسى بن فطيس ، فتَّامُ جده لأمه . وكانت أم الوليد بارعة الجمال سبَّاءً للألباب ، فرآها تمام فعَلَّقَهَا وَهَامَ فِيهَا ، فانقاد لهواه في نكاحها ، فكان أعداؤه يعيبونه بها ، ومن قوله فيها لما عُدل في نكاحها . . » ثم أورد الأبيات الواردة في متن ابن الأبار . (٣) ابن حيان : وزعت .

(٤) الأصل : لمعدور ، والتصويب لدوزي ، ص ٧٨ . وقد جعل ابن حيان هذا

البيت :

عجبت لمشغوف على الحب نفسه يكلفه عداله أن يسلمها

٥٤ - منصور بن محمد بن أبي البهلول

دخل الأندلس جدّه أبو البهلول - واسمه منصور بن صدّقة - في أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية فاستعمله ، وكان يُكَنِّيهِ لِسِنِّهِ وفضله ؛ ثم تصرف ابنه محمد للأمير الحَكَم في بعض أشغاله ؛ وحجب منصور هذا مسألة^(١) بن عبد الرحمن بن الحَكَم / في الكور المجنّدة^(٢) دهرأ ، ثم وليّ العَرَض^(٣) [٤١ - ب] للأميرين محمد وابنه المنذر بن محمد ؛ ذكره الرازي ، قال : وكان فيه تصرف ورواية غزيرة وشعر حسن يمدح به الخلفاء ، وأنشد له :

كما أن خير العالمين محمدٌ براحتة عين من الجود تنبعُ

وله :

بمحمدٍ مُحمّدَ الزمان كما بفعاله قد أحسن^(٤) الذكْرُ

(١) الأصل : سلمة ، وكذلك عند دوزي (ص ٧٨) ، وقد صوبت الاسم من قائمة أسماء أبناء عبد الرحمن عند ابن حيان (مخطوط ص ١٢) .
(٢) هذا التعبير غير واضح لي ، لأن الكور المجنّدة هي الكور التي أنزل فيها جند العرب على أيام أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي كما هو واضح في ترجمته وفي أصول أخرى ، وقد عالجتنا هذا الموضوع في « فجر الأندلس » . ولكن : كيف يحجب رجل لمسلمة بن عبد الرحمن الأوسط في هذه الكور؟ ربما جاز تفسيره على أنه كانت هناك إدارة خاصة للكور المجنّدة ، أي خاصة بما ينبغى على كل منها من جند وأرزاقهم وحقوقهم وما إلى ذلك ، تولاها أيام عبد الرحمن ابنه مسلمة ، وكان منصور هذا حاجبه في هذه الإدارة ، وحاجبه هنا تعنى شيئاً مثل مدير مكتبه في تعبيرنا الحديث . فإذا صدق هذا الفرض كانت وظيفة إدارية كبيرة ، لأن الكور المجنّدة كانت تقدم لجيش الإمارة معظم جنده العرب .

(٣) العَرَض وظيفة من وظائف التنظيم العسكري ، وهي استعراض الجنود المقيدين في الديوان في أوقات منتظمة للتأكد من وجودهم والتثبت من سلاحهم وخيل الفرسان منهم وحالتهم وما إلى ذلك . وتسمى أيضاً الاعتراض والتمييز . وكان العَرَض يجري في ميدان كبير خارج العاصمة ، وفي صبيحته ينادى ببوق جهير ليحضر الجند .

(٤) في الأصل : حسن مشكولة هكذا ، ولا يستقيم بها الوزن .

أيامُه بيضٌ مهذبةٌ لولا مكارمُه انقضى الدهرُ
وله :

كم ، إلى كم أتسلى ؟ ليس لي صبرٌ . . أجل ، لا !
بأبي أنت وأمي وترى قتلِي حياً ؟
حاشَ لله بأن أسـ لو عن الحب وكلاً

٥٥ - عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبدة الوزير ، أبو عثمان^(١)

تصرف للأمير عبد الله بن محمد في السكور وحجابه الأولاد والمدينة والخييل
والقيادة ، ثم في الكتابة الخاصة والوزارة . وكان - مع اقتنانه في الأدب
واتصافه بالبلاغة - ذا بأس وغناء في الحروب ، وكانت له فتوح جمة ومقاريم^(٢)

(١) استكثر الأمير عبد الله بن محمد من الوزراء أول عهده حتى بلغوا في بعض الأوقات
ثلاثة عشر وزيراً ، ثم تناقص عددهم حتى أصبحوا أربعة عند موته . أما الحجابة فقد استغنى
عنها أخريات أيامه مكتفياً ببدر بن أحمد الخصى الصقلبي وصيفه « اللصيق بنفسه ، الخفيف
عليه » كما يقول ابن حيان (ص ٤ من الجزء الذي نشره الأب ملسور أنطونيا) . قال ابن حيان
(ص ٥ من ذلك الجزء) : « ومن الغريب أن اجتمع في بيت الوزارة في أيامه أربعة رجال
من وزراءه - أي وزراء الأمير عبد الله - أقارب من بيت واحد من صميم الموالي آل أبي عبدة
حسان بن مالك ، هم :

أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة (صاحب الترجمة) .

وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن أبي عبدة .

وسلم بن علي بن أبي عبدة .

وعبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة المعروف ^{بـ}بديحيم .

(٢) هذه الصيغة - جمعاً لمقام - غريبة من ابن الأبار ، وقد أخذها عن ابن حيان .

محمودة . وتوفي حاملاً بتحمل بدر الوصيف^(١) عليه بعد أن استأذن للحج ، فأدى
فرضه وكره إلى قرطبة فلزم داره ؛ وسيأتي ذكر هذا مع نسبه مستوفى عند ذكر
ابنيه جهور الوزير ومحمد . وفيه يقول العتيبي الشاعر^(٢) ، وقد اعتل وهو
بلى الكتابة :

لَأَيُّنَعِ الْعِيءُ مَذُّهُ أَصْبَحَتْ مَرْتَدِيًّا ثَوْبَ السَّقَامِ وَجَنَّتْ زَهْرَةُ الْكَلِمِ
وَاسْتَوْحَشَ الطَّرْسُ مِنْ أَنْسِ الْبَدِيحِ إِذَا نَشِبَتْ فِيهِ وَطَالَتْ عُجْمَةُ الْقَلَمِ
ومن شعر عبيد الله :

صدودٌ ليس يبأغه عقابٌ وعقبٌ ليس يثنيه عتابٌ
وإبعادٌ - بلا ذنبٍ - طويلٌ وإعراضٌ وهجرٌ واجتنابٌ
فلا سهرٌ يطيبٌ ولا رقادٌ ولا طعمٌ يسوغٌ ولا شرابٌ
/ جسمي ناحلٌ والجفنُ مني قريحٌ ، والقواد له اضطرابٌ [١-٤٢]
وموتٌ عاجلٌ أحلى وأشهى إلى من أن يطاواني العذابُ

٥٦ - سوار بن حمدون القيسي المحاربي

من محارب بن خصفة بن قيس عيلان . ثار بناحية البراجلة من كورة
إلبيرة في سنة ست وسبعين ومائتين ، وهي السنة الثانية من ولاية الأمير عبد الله

(١) ذكرنا اسمه الكامل في التعليق الذي قبل السابق ، وقد أورد ابن حيان في سيرة الأمير
عبد الله ما يدل على ذكاء بدر هذا وحسن رأيه ، فهو صاحب الفضل في استئلاف بني الحجاج
الثائرين في إشبيلية وكسبهم إلى جانب الأمير عبد الله .

(٢) محمد بن عبد العزيز العتيبي ، نقل ابن سعيد من « المسهب » أنه كان من نهام
شعراء دولة الأمير محمد ، وكان مخصوصاً بالقاسم ابنه ، كما كان مؤمن بن سعيد مخصوصاً
بسلمة ابن الأمير محمد (المغرب ، ١/١٣٤) .

ابن محمد ، وانضوت إليه بيوتات العرب من إلبيرة وجيان وريّة وغيرها ، عند ما تميزت الأحزاب^(١) بالعصبية وشبّوا نار الفتنة . وكان مبتدأ رئاسة سوار هذا أنه كان صاحباً ليحيى بن صُقالة — أول الخارجين بالبراجلة بهذه الدعوة — عن استبصار شديد وحميّة ، فصبّ على المولدين والعجم منه ومن أصحابه أعظم آفة ، إلى أن أصابوا منه غرة فثاروا به بغتة وقتلوه^(٢) . فرأس أصحابه بعده سواراً هذا ، فاشتد به أمرهم وقام طالباً بثأر صاحبه . وكان شجاعاً محرّباً^(٣) ، فكثرت أتباعه واشتدت شوكتُه واعتز العربُ بمكانه ، فلَفَفَ جموعها وحى ذمارها وسعى لإدراك ثارها . وقصد حصناً^(٤) اجتمع فيه من المولدين والنصارى نحو من ستة آلاف رجل ، فنازلهم بالعرب حتى قهرهم ، وأخرج نابلاً^(٥) رئيسهم المقيم

(١) جعلها دوزي « الأعراب » دون مبرر (ص ٨٠) . والعبارة منقولة بنصها من ابن حيان : « قال عيسى بن أحمد (الرازي) : في صدر هذه السنة ثار سوار بن حمدون القيسي بناحية البراجلة من كورة إلبيرة ، وقد انضوت إليه بيوتات العرب من كور إلبيرة وجيان وريّة وغيرها عندما تميزت الأحزاب بالعصبية وشبوا نار الفتنة . . . » . وقد أراد دوزي بهذا أن يلقى تبعه هذه الفتنة الكبرى — التي شغلت كل أيام الأمير عبد الله وجزءاً من أيام عبد الرحمن الناصر — على العرب ، وهو غير صحيح كما يتضح من البيان الشافي الذي يقدمه ابن حيان عن هذه الفتنة في الجزء الذي نشره ملشور أنطونيا .

(٢) كان يحيى بن صُقالة القيسي قد « وادع أهل حاضرة إلبيرة الذين دعوتهم للمولدين والمسألة وعقد بينه وبينهم أماناً مؤكداً ، حلفوا عليه أيماناً مغلظة توثق بها منهم ، واطمأن إليهم فجعل يأتي حاضرتهم ينزل فيها ويقوم الأيام ، وهم يرصدون منه غرة في بعض قدّماته إليهم ، فثاروا به بغتة وقتلوه ، فرأس أصحابه سواراً » . ابن حيان ، المقتبس (تحقيق ملشور أنطونيا) ص ٥٥ .

(٣) محرّب مصطلح يستعمله ابن الأبار كثيراً ، ويريد به الكثير الحرب . وقد ورد اللفظ عند ابن حيان (ص ٥٥) : محارباً .

(٤) هو حصن منت شافر Monte Sacro على الجبل الذي يحمل نفس الاسم ، وهو مطل على سهل غرناطة .

(٥) الأصل نائل ، والتصحيح من ابن حيان — (المقتبس ، ص ٥٥) . كان زعيماً من زعماء المولدين الذين قاموا على العرب في كورة إلبيرة . وقد كانت أول حرب نابل مع يحيى بن صُقالة ، فغلبه على حصن منت شافر وانزعه منه ، فاسترده سوار .

فيه عنه ومَلَكَه . وكان نَابِلٌ قد انتزعه من يحيى بن صُقالة ، فاسترده سَوَار إلى مُلْكِه .

ثم افتتح حصون المسالمة والنصارى حصناً حصناً ، وقتل من ظفر به وغنم أموالهم . ولقيه جَعْد بن عبد الغافر — عامل الأمير عبد الله — فهزمه سَوَار وقتل من أصحابه نحواً من سبعة آلاف ، وأسر جعداً فمنّ عليه وأطاعه وأبلغه وأمنه^(١) .

وغلظ أمره فاستبق حينئذ إلى حصن غرناطة بالقرب من مدينة البيرة ، وصعد إليه فتبوأه داراً اجتمعت إليه فيه عرب كورة البيرة وكاتبته عرب النواحي إلى حدود « قلعة رباح » وغيرها ، وكانت دار الداخلين إلى الأندلس من بكر ابن وائل ، فصاروا إلباً معه على المولدين . وبجَّح^(٢) سَوَار بما تهيأ له على أعدائه ، وعلت هِمَّتُه ، وأمَلتُه العربُ ، وعلا في الناس ذكره ، وقال الأشعار الجزلة ، / وأكثَرَ الفَخَّارَ بنفسه وقومه . ذكر ذلك ابنُ حَيَّان ، وحكى أنه أوقع بأصحاب [٤٢ - ب] ابن حَفْصُون ثانيةً ، ويقال إن قتلام كانوا فيها اثني عشر ألفاً ، وتُعرف

(١) بعد أن انتصر سوار المحاربي على نابل ومن معه من المولدين والمسالمة استشرى أمره وانطلق يستولى على حصونهم ويقتل من يظفر به منهم ويغنم أمواله ، وكانت نتيجة إسرائفه أن أخذ بقية المولدين والمسالمة ينضمون إلى الثورة ، فخاف جعد بن عبد الغافر عامل كورة البيرة للأمير عبد الله أن يؤدي ذلك إلى خروج الكورة كلها من يده ، فسار إلى حرب سوار وانضم إليه المولدون ، فانهزم جعد ووقع في أسر سوار ، ثم أطلق هذا سراحه . وكان جعد من أقدر قواد الأمير عبد الله ، وكذلك كان أخوه أمية ، وقد ظل أمية يقاتل في سبيل الإمارة القرطبية والجماعة حتى استشهد في معركة مع بني الحجاج الخارجي في إشبيلية في موقف يفيض حمية ورجولة ،

(٢) جعلها دوزي (ص ٨١) : فخم ، ولا محل للتغيير ، لأن الكلمة صحيحة في موضعها : بجح بمعنى فرح وعظمت نفسه عنده (اللسان : ٢٢٨/٣) .

بـ « وقية المدينة »^(١) . قال : وقد ذكرها سعيد بن جودي السعدي صاحب
سوار والوالي رئاسة العرب بعده في شعر له ، منه :

ولما رأونا راجعين إليهم تَوَأَوْا سِرَاعاً خَوْفَ وَثِقِ الْمَفَاصِلِ
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ وَالرَّمَاحُ تَنُوشُهُمْ كَوَقْعِ الصِّيَامِي تَحْتِ رَهْجِ الْقَسَائِلِ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ عَانٍ مُصَفَّدٍ يُقَادُ أَسِيرًا مُوثَقًا فِي السَّلَاسِلِ
وَأَخْر مِنْهُمْ هَارِبًا قَدْ تَضَايَقَتْ بِهِ الْأَرْضُ يَهْفُو مِنْ جَوِّي وَبَلَابِلِ
ومنه :

لَقَدْ سَلَ سَوَارٌ عَلَيْكُمْ مُهَنَّدًا يَجِدُّ بِه الْهَامَاتِ جَدَّ الْمَفَاصِلِ
بِهِ قَتَلَ اللَّهُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَيْنَا وَكَانُوا أَهْلَ إِفْكِ وَبَاطِلِ
سَمَا لِبَنِي الْحَمْرَاءِ إِذْ حَانَ حَيْنُهُمْ بِجَمْعِ كَيْثِلِ الطَّوْدِ أُرْعَنَ رَافِلِ
أَدْرْتُمْ رَحَى حَرْبٍ فِدَارَتْ عَلَيْكُمْ لِحْتَفٍ قَدْ أَفْنَاكُمْ بِهِ اللَّهُ عَاجِلِ
لَقَيْتُمْ لَنَا مَلُومَةً مُسْتَجِيرَةً تُجِيدُ ضَرَابَ الْهَامِ تَحْتِ الْعَوَامِلِ
بِهَا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ فَعِيَانُ غَارَةٍ وَمِنْ آلِ قُحْطَانَ كَيْثِلِ الْأَجَادِلِ
يَقُودُهُمْ لَيْثٌ هَزَبَرٌ ضَبَارِمٌ مِحْسٌ حُرُوبٍ مَا جَدُّ غَيْرُ خَامِلِ

(١) كسب سوار بن حمدون القيسي انتصارين كبيرين ، الأول انتصاره على جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله على البيرة وأهل البيرة الذين يعرفون هنا بأهل الحاضرة ، وقد ذكرنا هذا الانتصار ويسمى بوقية جعد . والانتصار الثاني كان على أهل البيرة أيضاً ، وكان سوار وأصحابه قد احتلوا حصن غرناطة واتخذوه قاعدة لهم فأراد خصومهم من المولدين والمسألة أن يخرجوهم منه ، وهاجموا الحصن ، ولكن سواراً استطاع الانتصار عليهم وأوقع بهم بعد مقتلة عظيمة ، قال ابن حيان : « فيقال إن قتلهم في هذه الوقية كانوا اثني عشر ألفاً ، وهذه هي وقعة سوار الثانية المعروفة بوقعة المدينة » . هذا ، وقد كانت نتيجة شدة سوار أن انضم المولدون والمسألة في كور جيان والبيرة ودية إلى عمر بن حفصون ، قال الأمر إلى أن قتل سوار في إحدى المعارك . (ابن حيان : المقتبس ، ص ٥٨ - ٦١) .

أرومته من خير قيس سما به إلى المجد قدماً والعلا كل فاضل
له سورة قيسية عربية بها زاد عن دين الهدى كل جاهل^(١)

وهي طويلة . وقال في ذلك :

فما كان إلا ساعة ثم غودروا كئيل حصيدٍ فوق ظهرٍ صعيدٍ
وقال أيضاً قصيدة أخرى ذكر فيها أمر جعد بن عبد الغافر يخاطب
للمولدين^(٢) :

لم تزالوا تبغونها عوجاً حتى وردتم للموت شرّاً ورودٍ
فاصلوا حرّها وحرّاً سيفٍ تتلظى عليكم كالوقود
/ قد قتلناكم بيحيى وما إن كان حكم الإله بالمرود
هجتهم يا بني العبيد^(٣) ليوثاً لم يكونوا عن نارهم بقعود
[١-٢]

(١) أورد القصيدة بكاملها ابن حيان في المقتبس (تحقيق منشور أنطونيا ، ص ٥٧ - ٥٨) فيما عدا الأبيات الخمسة الأخيرة التي ذكرها ابن الأبار . ويلاحظ أن هذه الأبيات واضحة الوضع ، فإن سواراً لم يكن يذود عن «دين الهدى» وإنما كان يحارب جند إمارة قرطبة الذائدة عن «دين الهدى» ، وكائن يحارب المولدين والمسلمة وهم مسلمون ، بل كان عمر بن حفصون إلى ذلك الحين مسلماً ، وإنما كان خارجاً عن طاعة الإمارة . وهذا يكفي للدلالة على أنها أضيفت فيما بعد ، أضافها رجل لا يعرف الظروف التي أحاطت بثورة يحيى بن صفالة وخلفه سوار بن حمدون ثم خلفهما سعيد بن جودي ، وكلهم قيسيون .

(٢) قال ابن حيان في التقديم لهذه الأبيات : «ولسعيد بن جودي في مديح سوار بن حمدون وذكر وقيعته الأولى بأهل حاضرة البيرة وأسرته لجعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله وأخذه بنار يحيى بن صفالة أميرهم قبله قصيدة طويلة منها .» (المقتبس ، ص ٥٨) .

هذا ، وقد أورد ابن الأبار مختاراً من هذه القصيدة وترتيب الأبيات عنده يختلف عن ترتيبها في المقتبس (ص ٥٩) ، ولم نر ضرورة للإشارة إلى اختلافات الترتيب في المرجعين .
(٣) المقتبس : العبود .

وهذه اللفظة هنا تكشف عن حقيقة هذه الفتنة التي جرت على الإمارة الأندلسية وأهلها بلاء عظيماً . فإن أبا الخطار الحسام بن ضرار عندما فرق الجند العربي على الكور التي عرفت باسم =

جاءكم ماجدٌ يقود إليكم فتيةً ذادةً كمثل الأسود^(١)
 يطلب الثارَ ، ثارَ قومٍ كرامٍ آزرُوا بالمهود بعدَ العهد^(٢)
 فاستباح الحمراء^(٣) لم يبق منهم غير عانٍ في قدّه مصفود
 قد قتلنا منكم أوفاً وما يهـ ديلُ قتلِ الكريمِ قتلُ العبيدِ
 فلئن كان قتله غدره ما كان بالنكسِ ، لا ولا الرعديدِ

يريد يحيى بن صقالة أمير العرب القائم على المولدين . وقال يحيى بن أخي

= الكور المجندة ، وهي : البيرة ورية وجيان وإشيلية وشذونة وباجة وتدمير ، أنزلهم فيها « على أموال العجم من مال ونعم » أي جعلهم سادة هذه الكور ، « وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة » . وقد أسلم أهل هذه الكور شيئاً فشيئاً ، ولم يعودوا أهل ذمة ولا عجم ، ولم يعد من الشريعة أن يؤدوا ثلث أموالهم لأولئك العرب ، ثم إن أعدادهم تكاثرت نتيجة للأمان والاستقرار في ظل أمراء قرطبة ، وثقلت عليهم تلك الجباية الكبيرة ، ومن ناحية أخرى لم تعد لهذا الوضع ضرورة بعد قيام الإمارة وقيامها بأمر جميع أهل الأندلس ، ولهذا فقد بدأوا يتململون من هذا الوضع ، وناصرتهم الإمارة ورجالها . ولكن العرب المستقرين في تلك الكور استمسكوا بضرورة الأداء على هذا النحو ، فثار المولدون والمسألة وأيدهم عمال الإمارة وساربوا أولئك العرب ، ثم تطور الأمر بعد ذلك واتسع مداه ودخلت فيه عوامل أخرى ، وخاصة بعد أن دخل في الموضوع عمر بن حفصون .

(١) المقتبس (ص ٥٩) : فتية منهم كمثل الأسود .

(٢) الأصل : أدروا بالمهود قبل العهد . وقد قرأ دوزي : إذ وفوا . وعند ابن حيان : أخذوا بالمهود قبل العهد . وفي مخطوط « الإحاطة » في أكاديمية التاريخ في مدريد :

يطلب الثار ابن قوم كرام أخذوا بالمهود قبل المهود

وقوله : « أخذوا بالمهود » يؤيد ما قلناه من أن أولئك العرب كانوا يستمسكون بما عاهدتهم عليه أبو الخطار .

(٣) الحمراء هنا اختصار « بنى الحمراء » ، وهكذا كان أولئك العرب يسمون أهل

البلاد .

يحيى بن صقاله ، من قصيدة طويلة يمدح فيها سواراً ويذكر وقعة البيرة
ويناقض العبلي^(١) شاعر المولدين ، وقيل إنها لسعيد بن جودي^(٢) :

لسوارٍ على الأعداء سيفٌ أباد ذوى الغواية فاضحلوا
سقام كأسٍ حثفٍ بعد حثفٍ بها نهل العبيدُ معاً وعلوا
قتلت بواحدٍ سوارُ ألفاً وألفهم بواحدٍنا يقبلُ
وأكثرُ قتلنا لهم حلالٌ بما ارتكبه ظلماً واستحلوا
فأوردنا رقابهم سيوفاً تشبُّ النارُ منها إذ تسلُّ
ورثنا العزَّ عن آباءِ صديقٍ وإرثكم بنى العبدانِ ذلُّ
وأول شعر العبلي^(٣) :

قد انقصت قناتهم وذلوا وضمضع^(٤) ركن عزم الأذل

(١) الأصل : الصلى ، والتصويب من المقتبس لابن حيان (ص ٦٢ - ٦٣) وهو
عبد الرحمن بن أحمد المعروف بالعبلي ، ينسب إلى قرية عبلة التي منها أصله ، وكان شاعر البيرة
المحامي عن المولدين ، وكان يقابله في الجانب العربي محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي «أسد بنى
خزيمة ، شاعر العرب القائم فيها مقام العبلي في المولدين ، وكان كل منهما يحرص قومه ويناضل
عن مذهبه ويصف ما يجرى لقومه على أصدادهم من الوقائع الخزية ، فلهما في ذلك أشعار كثيرة ،
وكل منهما كان بعيد المدى في فرط العصبية» .

(٢) قيلت هذه الأبيات رداً على قصيدة العبلي ومطلعها :

قد انقصت قناتهم وذلوا وزعزع ركن عزم الأذل

وقد أورد ابن حيان الأبيات في المقتبس (ص ٦٥) وبين روايته ورواية ابن الأبار

خلاف .

(٣) الأصل : العبدى ، وهو تصحيف .

(٤) في المقتبس (ص ٦٤) : وزعزع .

فما طَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ لَدَيْهِمْ وَهَامَ عِنْدَنَا فِي « الْبَيْرِ » طَلٌّ^(١)
ومن شعر سَوَّار قوله من قصيدة طويلة :

صَرَمَ الْغَوَانِي يَا هُنَيْدُ مَوْدِي إِذَا شَابَ مِفْرَقُ لِعَتِي وَقْدَالِي^(٢)
[٤٣-ب] / وَصَدَدَنْ عَنِي يَا هُنَيْدُ وَطَالَمَا عَلَقَتْ حِبَالُ وَصَالِهِنَّ خِبَالِي
وَقُتِلَ فِي صَدْرِ سَنَةِ سَبْعِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَكَانَ أَمْدُهُ فِي رِثَاثَتِهِ
نَحْوَ الْعَامِ^(٣) .

٥٧ - سعيد بن جودي السعدي ، أبو عثمان

هو سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي ؛ هو من
هو أزن من جند قنشرين .

(١) الأصل : ظل دون شكل . وقد تكون : ظلٌّ ، وهي قراءة طيبة تعطى معنى جميلاً .
وقد جعلناها : كطلٌّ متابعة لرواية ابن حيان ، ص ٦٦ .
و « البير » يراد بها « البيرة » .

وذكر ابن حيان لمناسبة هذا البيت أنه « لما ظهرت العرب على أهل حاضرة البيرة وسبيل
الأمير عبد الله لأميرهم سعيد بن جودي على الكورة ، فدخل الحاضرة ، وأتاه شاعرهم عبد الله
بن أحمد العبلي (كذا) ، وقد ذكر قبل ذلك أن اسمه عبد الرحمن) بشعر يمتدحه فيه ، فاستمع له
وأمر له بجائزة . ثم ذكره أحد الحاضرين بشعره الذي قال فيه هذا البيت ، فأمر سعيد بن جودي
بعض بني صفالة بقتله وإلقاء جثته في « بئر غامضة » ففعل ، فكأنه فهم لفظ « البير » على أنها
« البئر » لا ترخيماً للفظ البيرة .

(٢) صحف دوزي هذا البيت تصحيفاً شديداً أفسد وزنه ومعناه :

صرمن الغواني يا هنيدي مودتي إذا شاب مفرق نتي وقْدَالِي

ثم أضاف حاشية طويلة يفهم منها أنه خلط بين البيت وما قبله ، ووضح أنه من قصيدة
أخرى . ومن الغريب أن يعسر عليه هذا البيت مع وضوحه ومع أنه قرأ وفسر ما هو أعسر منه
بكثير .

(٣) راجع المقتبس ، ص ٦٠ .

وَلَى جَدُّهُ جُودَى بْنُ أَسْبَاطِ الشَّرْطَةِ لِلْأَمِيرِ الْحَكَمِ الرَّبَيعِيِّ ، وَوَلَى
 أَيْضاً قِضَاءَ بَلَدِهِ الْبَيْرَةِ - وَقَعَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي « الْمُنْتَعِجِ » مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ بَطَّالٍ
 فِي الْأَحْكَامِ ^(١) . وَلَمَّا قُتِلَ سَوَّارُ بْنُ حَمْدُونَ ذَلَّتِ الْعَرَبُ بِمَقْتَلِهِ ، وَكَلَّ حَدُّهَا
 بِمَا نَزَلَ فِيهِ ، وَكَانَ قَدْ أُصِيبَ عَلَى يَدَيْ بَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ حَنْفُصُونَ ^(٢) . فَيُقَالُ
 إِنْ جِئْتَهُ مَرْقَهَا ثَكَالَى نِسَاءَ الْمَوْلِدِينَ قِطْعاً ، وَأَكَلَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ حَنْقاً عَلَيْهِ ،
 لَمَّا نَالَهُنَّ بِهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ مِنَ الشَّكْلِ فِي بَعُولَتِهِنَّ وَأَهْلِيهِنَّ . فَنَصَبَتْ الْعَرَبُ
 لِإِمَارَتِهَا بَعْدَهُ سَعِيدَ بْنَ سَلِيمَانَ بْنَ جُودَى صَاحِبَهُ ، وَعَلَّقَتْ أَمَالَهَا بِهِ ، فَلَمْ يَسُدَّ
 مَكَانَهُ ، وَلَا بَلَغَ مَدَاهُ فِي السِّيَاسَةِ . عَلَى أَنَّهُ كَانَ شَجَاعاً بَطْلاً وَفَارِساً مُحَرِّباً ،
 قَدْ تَصَرَّفَ مَعَ فِرُوسِيَّتِهِ فِي فَنُونِ الْعِلْمِ ، وَتَحَقَّقَ بِضُرُوبِ الْأَدَبِ ، فَاغْتَدَى أَدِيباً
 نَحْرِيّاً ، وَشَاعِراً مُحَسَّناً ، تُعَدُّ لَهُ عَشْرُ خِصَالٍ تَفَرَّدَ بِهَا فِي زَمَانِهِ لَا يُدْفَعُ عَنْهَا :
 الْجُودُ ، وَالشَّجَاعَةُ ، وَالْفِرُوسِيَّةُ ، وَالْجَمَالُ ، وَالشَّعْرُ ، وَالْخَطَابَةُ ، وَالشَّدَّةُ ، وَالطَّعْنُ ،
 وَالضَّرْبُ ، وَالرَّمَايَةُ . وَهَابَهُ ابْنُ حَنْفُصُونَ هَيْبَةً لَمْ يَهَبْهَا أَحَدٌ مِنْ مَارِسِهِ ،
 إِذْ لَمْ يَلْقَهُ قَطُّ إِلَّا عَلاَهُ وَهَزَمَهُ .

وَلَقَدْ دَعَاهُ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمْ إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَلَمْ يَجِبْهُ ابْنُ حَنْفُصُونَ إِلَيْهَا وَحَادَ عَنْهُ .
 وَوَاجِهَهُ يَوْمًا فَالَقَى عَلَيْهِ ذِرَاعَهُ وَاجْتَذَبَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَمَا نَجَّاهُ مِنْهُ إِلَّا أَصْحَابُهُ

(١) هُوَ أَبُو أَيُّوبِ سَلِيمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ بَطَّالِ الْبَطْلِيِّوسِي ، أَصْلُهُ مِنْ بَطْلِيُوسِ وَاسْتَقَرَّ
 فِي الْبَيْرَةِ وَعَاشَ فِيهَا . تَرَجَّمَ لَهُ ابْنُ بَشْكَوَالٍ ، وَذَكَرَ كِتَابَ « الْمُنْتَعِجِ فِي أَصُولِ الْأَحْكَامِ »
 وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَسْتَفِي عَنْهُ الْحُكَّامُ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ شَاعِراً مُجِيداً ، وَقَدْ سَمِيَ « الْعَيْنِ جُودَى »
 لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَرُدُّ فِي أَشْعَارِهِ « يَا عَيْنِ جُودَى » ، وَقَدْ انْصَرَفَ عَنِ الشَّعْرِ عِنْدَمَا كَبُرَتْ سِنُهُ
 وَتَزَهَّدَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٤ أَوْ نَحْوَهَا .

« الصَّلَةُ » لِابْنِ بَشْكَوَالٍ ، رَقْمٌ ٤٤٠ ص ١٩٦ . فَهَرَسْتُ ابْنَ خَيْرٍ ، ص ٢٥٢ .

(٢) قَتَلَ سَوَّارُ عَلَى يَدِ حَفْصِ بْنِ الْمَرَّةِ قَائِدِ عَمْرِ بْنِ حَنْفُصُونَ « الشَّدِيدِ التَّمَرْدِ وَاللَّعْنَةِ »
 كَمَا يَقُولُ ابْنُ حَيَّانٍ (ص ٥١) وَقَدْ قَتَلَ حَفْصٌ هَذَا سَنَةَ ٢٨٠ عَلَى يَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنَ أُمِيَّةِ قَائِدِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ عَلِقَ ابْنُ حَيَّانٍ عَلَى قَتْلِهِ بِقَوْلِهِ : « كَبِيرُ قَوَادِهِ وَلِزَازُ حُرُوبِهِ
 وَخَلِيفَتُهُ فِيمَا غَابَ عَنْهُ مِنْ مَسَاعِيهِ ، فَكَانَ وَجَدَهُ عَلَيْهِ حَسَبَ مَكَانِهِ مِنْ أَثَرَتِهِ » (ص ١٠٨) .

الذين انقضوا على سعيد فتنفذوا عمر من يده . وله زَرْقَةٌ بعيدة المدى إلى بعض القناطر المعتلية مشهورة النسبة إليه ، لم يقدر أحد بعده ممن يتعاطى الشدة يبلغ إليها — ذكر ذلك أبو مروان بن حيان في تاريخه^(١) .

وقال في موضع آخر : كان ، مع رئاسته وشجاعته ، شاعراً مقلقاً وخطيباً مصنوعاً ، فصيح اللسان ، ربيط الجنان ، جميل الشارة ، حسن الإشارة ، ثبت [٤٤ - ١] الأصالة ، واسع الأدب / والمعرفة ، يضرب في صنعة الشعر بسهمه وافرة ، ويتصرف من سبله بكل منيعة^(٢) . وحكى أن الأمير عبد الله بن محمد أشجّل له على كورة البيرة ، لما ظهرت العرب على حاضرتها . فاتصل قيامه بأمر العرب ، إلى أن قُتل غيلةً بأيدي بعض أصحابه في ذى القعدة من سنة أربع وثمانين ومائتين . قال : وزعموا أن من أقوى الأسباب في قتله أبياتاً من الشعر قالها في غمص الأئمة من بنى مروان . منها ، قال لعبد الله :

يا بنى مروان جِدُّوا في الحربِ نَجَمَ الثائرُ من وادى القصبِ
يا بنى مروان خَلُّوا مُلْكَنَا إنما المُلْكُ لأبناء العربِ^(٣)
ورثاه الأسدى شاعر العرب في ذلك الأوان ، وقال فيه مُقَدِّم بن مُعافى يرثيه :
من ذا الذى يُطعمُ أو يكسو وقد حوى حِافَ الندى رَمْسُ ؟
لا اخضرتِ الأرضُ ولا أورقَ الـ مودُ ولا أشرقتِ الشمسُ

(١) روى ذلك ابن حيان وبعضه عن تاريخ عبادة بن ماء السماء . انظر « المقتبس » ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٢) كذا في الأصل ، وكذلك عند ابن حيان : « المقتبس » ، ص ١٢٣ .

(٣) روى هذه الأبيات أيضاً ابن حيان (المقتبس ، ص ٣٠) ولكنه جعل صدر

البيت الأول :

* قل لعبد الله يجِدُّ في الحرب *

وأضاف إليها بيتاً ثالثاً :

قربوا الورد المحل بالذهب واسرجوه ، إن نجى قد غلب

بعد ابن جودي الذي لن ترى أكرم منه الجن والإنس
دموع عيني في سبيل الأسي على سعيد أبداً حبس
وقام بأمر العرب بعده محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني صاحب
حصن الحمة ، إلى أن استنزله الناصر عبد الرحمن بن محمد . ولسعيد بن جودي
شعر كثير ، وقد ذكرنا منه جملة . وسمع يوماً منشداً ينشد قول أبي قيس بن
الأسلت :

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم يوماً غير تهجاع
أسي على جلّ بني مالك كل امرئ في شأنه ساع^(١)
فقال معارضاً له على البديهة :

الدرع قد صارت شماری فما أبسط حاشاها تهجاع
والسيف إن قصره صانع طوله يوم الوغى باعى
/ وما كمتي لي بمستقصير^(٢) إذا دعاني للقاء داع
هذا الذي أسي له جاهداً كل امرئ في شأنه ساع

[٤٤ - ب]

وله في جارية سمها بقُرْطُبة تغني الأمير عبد الله بن محمد — وذلك في إمارة
أبيه الأمير محمد — فهم بها واشترى جارية سماها باسمها « جيجان » ، فلم يسله
ذلك عنها وهام بها دهرأ^(٣) :

سمى أبي أن يكون الروح في بدني فاعتاض قاي منه لوعة الحزن
أعطيت جيجان روحى عن تذكرها هذا ولم أرها يوماً ولم ترني

(١) وردت هذه الأبيات في الأغاني (١٥٢ / ١٥) وقد راجعها على أصلها هناك
وقومها بمقتضاه .

(٢) في المقتبس (ص ١٢٤) : بمستصفر .

(٣) روى الحكاية بالتفصيل ابن حيان في « المقتبس » (ص ١٢٤) ، وقد ورد اسم
الجارية عنده « جيجان » . وكلتا صورتى هذا الاسم عند ابن حيان وابن الأبار قلقة يبدو أنها محرقة .

كأنتى واسمها والدمعُ منسكبٌ من مقلتي راهبٌ صلى إلى وثني^(١)
وله في جارية مُحلت إليه من قرطبة ، فلما خلا بها أعرضت عنه ورمت
بطرفها إلى الأرض خجلاً فقال :

أما لئلا الأخطارِ عني إلى الأرضِ أهذا الذي تُبدين - ويحك! - من بغضى؟
فإن كان بغضاً لست والله أهله ووجهي بذاك اللحظ أولى من الأرض
وله أيضاً يهزل ويتغزل :

لا شيء أملح من ساقٍ على عنقي ومن مناقلةٍ كأساً على طبعي
ومن مواصلةٍ من بعدٍ معتبةٍ ومن مراسلةٍ الأحابِ بالحدقِ
جريتُ جرىَ جموحٍ في الصبأ طلقاً وما خرجتُ لصرفِ الدهرِ عن طلقى
ولا اثنتيتُ لداعي الموتِ يومٍ وغنى كما اثنتيتُ وحبلِ الحبِّ في عنقي

ومقاصده في غزله المشوب بشجاعته تشبه مقاصد أبي دُلف القاسم بن عيسى
العجلى ، وكانت له أيضاً رئاسة وثورة .

ولسعيد أيضاً في جارية جميلة عرضت له صباحاً في غلالة حمراء وهو خارج
إلى مجلسه ، لتأخذ عليه الطريق وهي تتثنى في حركتها فقال :

قضيبٌ منَ الريحانِ في ورقٍ مُحمرٍ
ثم أعيته الإجازة طولَ نهاره وقد شغل بها فكره ، حتى دخل عليه حاجبه
[٤٥ - ١] فاستأذن لعبيدبس / الشاعر الكاتب - وكان ينتابه هو وغيره - فساعة
دخلَ عليه ناداه سعيد :

قضيبٌ منَ الريحانِ في ورقٍ مُحمرٍ

(١) أورد ابن حيان قبل هذا البيت بيتاً هو :
فقل بلحيان ياسؤلى ويا أملئ استوص خيراً بروح زال عن بدن

فأجابه من قبل أن يجلس :

وعهدى بالريحان في ورق خضر

فسرّ وأجزل صلته .

وله يرثى :

أمستنصراً بالصبر قد دُفن الصبرُ مع الحنّ^(١) المأمولِ إذ ضمّه القبرُ
فيا عجباً للقبرِ مِنْهُ يضمُّهُ وقد كان سهلُ الأرضِ يخشاهُ والوعرُ
وما مات ذلك الماجدُ الترمُّ وحدهُ بل الجودُ والإقدامُ والبأسُ والصبرُ
وإن يَكُنْ الشيطانُ زَيْنَ حَيْرَةٍ لقاتله في الكُفْرِ ، بل دونه الكُفْرُ
فشمسُ الضحى تَرجو لفقدانِ نورِهِ وبدرُ الدجى يبكيهِ والأنجمُ الزهرُ
وله حين أسره عمر بن حفصون ، رأس الفتنة بالأندلس ومضرم نارها وركنُ

العصبية للعجم والمولدين ، وذلك قبل إمارة سعيد ورئاسته للعرب :

خليلى صبراً ، راحةُ الحرِّ في الصبرِ ولا شيءٌ مثلُ الصبرِ في الكربِ للحرِّ
فكم من أسيرٍ كان في القيدِ مؤثماً^(٢) فأطلقهُ الرحمنُ من حلقِ الأسيرِ
لئن كنتُ مأخوذاً أسيراً وكنتما فليس على حربٍ ولكن على غدرِ
ولو كنتُ أخشى بعضَ ما قد أصابني حمتنى أطرافُ الردينيةِ السمرِ
فقد علمَ الفتياتُ أنى كميها وفارسها المقدامُ في ساعةِ الذعرِ

(١) لم أعثر على شيء يكشف عن شخصية الحسن هذا ، والغالب أنه من زعماء جماعة

يحيى بن صقاله وسوار بن خلدون وسعيد بن جردى .

(٢) جعلها دوزى (ص ٨٧) وملشور أنطونيا (المقتبس ، ص ١٢٦) : القيد ،

ولاداعى لذلك فالقد صحيحة في معنى القيد ، واستعمالها في الشعر كثير .

ومن هذه القصيدة :

بِهَمِّكَ أَلْقَى خَالِقِي يَوْمَ مَوْفِي وَكَرْبُكَ أَقْضَى لِي مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ^(١)
وإن لم يكن قبرٌ فأحسنُ موطنًا من القبر للفتيان حَوْصَلَةُ النَّسْرِ

٥٨ - سليمان بن وانسوس

الوزير ، أبو أيوب

هو سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد الله وانسوس المكناسي مولى سليمان
[٤٥ - ب] ابن عبد الملك . أصله من البرابر ، وله فيهم بيت شرف / بالأندلس . وكان جده
أصبغ رئيساً بماردة مطاعاً ، ثار فيها على الأمير الحكم بن هشام فلما كفها لنفسه
واتصل خلافه فيها سنين ، وجرت له خطوب كبار في حال المعصية والطاعة .
وتعهد ابن ابنه هذا مهاد الطاعة من بعد نزوات سلفه ، وعلق حبال الخدمة ،
فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة ، إلى أن ارتقى الذروة من خطة الوزارة للأمير
عبد الله ، وصارت له حظوة . وكان أديباً مُفْتَنّاً ، وشاعراً مطبوعاً ، حسن
البيان ، بليغاً ، حصيفاً ، داهياً ؛ وكان في حليته كوسجاً^(٢) . ومن شعره يفرى

(١) أسقط ابن الأبار هنا بيتين يوضحان المقصود بالبيتين اللذين أتى بهما ، وهما :

فيا ظاعناً أبلغ سلامي تحيةً إلى والدي الهائمين لدى ذكري
وأدُّ إلى عرسي السلام وقل لها عليك تحياتي إلى موقف الحشر

ويفهم من هذين البيتين أنه يخاطب زوجه في البيتين اللذين أوردهما ابن الأبار .

(٢) الأصل : وكان في حليته كوسجاً له . والكوسج هو الذي لا شعر على عارضيه ،
ولهذا فقد غلب على ظني أن « حلية » هي « حية » وهم الناسخ في كتابها . وكان سليمان بن وانسوس
كوسجاً أي لا شعر على عارضيه ، في حين أن حليته كانت طويلة ضخمة وصفها الأمير عبد الله
كما رأينا بأنها « هلوقة » . وهذا التعارض بين ضخامة اللحية وانعدام شعر العارضين هو الذي
جعل الأمير عبد الله يسخر من حلية سليمان بن وانسوس .

الأمير عبد الله بن محمد بجمهور بن عبد الملك البُخْتِي ، وكان قد صُرف عن عمله
بكورة البيرة لتَظلم الرعية :

جاء الحمارُ - حمارُ المرج - محتشياً^(١) مما أفاد من الأموال والطُرفِ
خلى ليرةً قد أودت مساكنها بقبح سيرته والعنفِ والسرفِ
فاحمل على العير حملاً يستقلُّ به وأترك له سبياً للتبن والعلفِ
فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته أمر بإدخاله إليه فضحك منه وقال له :
« يا سليمان لو زدتنا في الأبيات لزدنا الحمارَ في الغرْم » ، وأمر بإغرامه ثلاثة
آلاف دينار . وقد تقدم لسليمان هذا خبرٌ مع الأمير عبد الله يدل على شرف ذاته
وعلو همته .

٥٩ - عامر بن عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي ، أبو مروان

ولّى أبوه عامرٌ طليطلةً ، ثم صرفه عنها عبد الرحمن بن الحكم بأخيه
عبد الله بن كليب . وكان أحد وجوه أصحاب السلطان ، واختص بصحبة هاشم
ابن عبد العزيز . وكانت فيه - مع أدبه وبلاغته - حدة ومعارضة للناس ،
وتحكك بالشعراء ، فلم يسلم منهم ؛ وهو القائل في الاعتذار :

عَظُمَ الخطاءُ فهل تُقِيلُ يا سيدي ، أو ما تقولُ ؟
أنت العزيز بهفوتى وأنا بها العبد الذليلُ
والله لو أرى استظهتُ لما بدتُ منى فضولُ
ولما رأى منى الصديقُ سوى قوامٍ لا يميلُ

(١) روى الحكاية ابن حبان عن أبي الوليد بن القرضى بتفصيل . وقد ورد هذا اللفظ فيه : محتشياً
وقرأها دوزى (ص ٨٨) : محتشياً ولا معنى لها ، والصواب ما أبتناه .

[١-٤٦] / ولسان صدق لا يزو ل من الصواب ولا يحول
فأبت على الكاس إلا ل أن يداخاني الدهول^(١)

٦٠ - عبد الرحمن بن وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد

ابن غانم

كان هو وأخوه محمد وأبوهما وليد في بيت أدب رائع وكتابة وجلالة ،
وولى وليد للأمير محمد بن عبد الرحمن خِطَّتِي الوزارة والمدينة ، وقاد جيش الصائفة
الذي قدّم عليه ابنه عبد الرحمن بن محمد ، وكان عدده عظيماً . وولى أيضاً محمد
ابن وليد خطة المدينة ، وسيأتي ذكرها . وعبد الرحمن هو القائل (وسمع
عبيد الله بن يحيى بن يحيى صاحب مالك وقد سئل عن النعامة ففسرها
بطير الماء) :

ذهب الزمان بصفوة العلماء وبقيت في ظلم وفي عمياء
وأنى طعام رقع من بعدهم لا فرق بينهم وبين الشاء
فإذا سألت عن النعام أسدّهم علماء ، يفسره بطير الماء

(١) نقل ابن الأبار هذا عن ابن حيان ، ونقله ابن حيان عن أبي الوليد بن الفرضي (مخطوط ابن حيان ،
ص ٢٢٧ ا و ب) وقد روى حكايته مع الوزير محمد بن جهور وكيف أمر هذا الأخير بضربه وسجنه ، وكيف
حاول الوزير هاشم بن عبد العزيز إنقاذه من يد ابن جهور فلم يستطع ، مما حط من قدره أمام الناس . ولعله
يعتذر في هذه الأبيات للوزير ابن جهور .

انظر أيضاً : « المغرب لابن سعيد » : ١ / ٩٤ - ٩٥ .

وهؤلاء شعراء بني الأغلّب ملوك إفريقية في هذه المائة ،
وفي آخرها انقرض ملكهم حسبما يُذكر بعد :

٦١ - زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلّب ، أبو محمد

وُلِيَ بعد أخيه أبي العباس عبد الله الجميل^(١) سنة إحدى ومائتين . وكان
أبوه - إبراهيم بن الأغلّب - إذا قدم عليه أحد من الأعراب والعلماء بالعربية
والشعراء ، أصحّبهم ابنته زيادة الله هذا وأمرهم بملازمته ، فكان أفضل أهل بيته
وأفصحهم لساناً ، وأكثرهم بياناً . وكان يعرب كلامه ولا يلحن ، دون تشادق
ولا تقعر ، ويصوغ الشعر الجيد . ولا يُعلم أحد قبله سُمِّي « زيادة الله »
ولا « هبة الله » قبل وُلد إبراهيم بن المهدي^(٢) .

وَوُلِدَ زيادةُ الله قبلَ هبة الله هذا بنحو من ثلاثين سنة .

وهو الذي بنى جامع القيروان بالصخر^(٣) والآجر والرخام بعد أن هدمه ،
وبنى المحراب كله بالرخام / من أسفله إلى أعلاه ، وهو منقوش بكتاب وغير [٤٦ - ب]
كتاب ، ويستدير به سوار حسان ، بعضها مجزعة بأسود ناصعة البياض
شديدة السواد ، ويقابل المحراب عمودان أحمران ، فيهما توشية بحمرة صافية

(١) قال ابن عذاري عن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلّب هذا : « . . وكان من أجل
الناس وجهاً وأقبحهم فعلاً وأعظمهم ظلماً . . » . وله حكاية مشهورة في كتب التاريخ المغربي
مع صلحاء القيروان ، إذ نصحوه بأن يعدل عن سياسته فأبى ، فدعوا عليه « فيقال إن قرحة
خرجت تحت أذنه ، فقتلته في السادس من دعاء القوم . وقال من حضر غسله أنه لما كشفت
عنه ثيابه ، ظن أنه عبد أسود بعد جماله ، وذلك بسبب سوء فعاله » . توفي في ذي الحجة ٢٠١ /
يونيو ٨١٧ .

ولهذا يلقبه ابن الأبار بالجميل .

انظر : البيان المغرب ، ٩٥ / ١ - ٩٦ .

(٢) وردت هذه العبارة أيضاً عند الثوري : نهاية الأرب ، طبعة جسيار ويميرو ،

ص ١٣٩ .

(٣) الأصل : بالصحن ، وقد صوبناها للسياق .

دون حمرة سائرهما ، يقول كلُّ من رآها من أهل المشرق والمغرب أنه لم ير مثلهما .
وقد بذل فيهما صاحب القسطنطينية وزنهما ذهباً فلم يُجِبْهُ الناظرُ للإسلام
في ذلك^(١) .

وأول من بنى هذا الجامع الأشرف عقبة بن نافع الفهري ، وهو الذي
اختط مدينة القيروان في سنة ثلاث وخمسين من الهجرة .

فلما وليَ حسان بن النعمان الغساني إفريقيةَ هدمه — حاشى الحراب —
وبناه بالطوب . فلما وليَ يزيد بن حاتم إفريقيةَ ، سنة خمس وخمسين ومائة ،
هدمه وبناه . فلما وليَ زيادةُ الله هذا ، هدمه وبناه مع الحراب كما وُصف
وتم بنيانه سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

وبعد ذلك بمم أو نحوه توفي في رجب سنة ثلاث وعشرين .

ولأبي إبراهيم أحمد بن محمد — والد إبراهيم بن أحمد السفاك — زيادةٌ
في هذا الجامع كملت سنة ثمان وأربعين ومائتين^(٢) ، وهي عليها إلى اليوم .

(١) يروى أن زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب كان يقول بعد أن فرغ من
تجديد الجامع : « ما أبالي ما قدمتُ عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات : بنياني المسجد
الجامع بالقيروان ، وبنياني قنطرة أم الربيع ، وبنياني مدينة سوسة ، وتوليتي أحمد بن أبي محرز
قاضي إفريقية » — ابن عذارى ، البيان ، ١٠٦/١ .

(٢) تحدث النويري (ص ١٥٠) بشيء من التفصيل عن تلك الزيادة التي أضافها أبو إبراهيم
أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، قال : « ولأبي إبراهيم آثار عظيمة في المباني
بإفريقية ، فن ذلك بنيان الماغل الكبير بباب تونس — وهو بمعنى الصهرج عندنا — وزاد
في جامع القيروان النهر والمجنبات والقبة ، وبني الماغل الذي بباب أبي الربيع ، والماغل الكبير
الذي بالقصر القديم ، وبني المسجد الجامع بمدينة تونس ، وبني سور مدينة سوسة ، وكان آخر
ما عمل الماغل الذي بالقصر القديم » .

وأبو إبراهيم هذا من أحسن أمراء بني الأغلب سيرة وأبقاهم أثراً مع أنه كان من أصغر
من تولى منهم سناً ، فقد تولى في الثانية والعشرين — أو الثالثة والعشرين — من عمره ، ولم يحكم
غير سبع سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً . وكان موته يوم الثلاثاء ١٤ ذي قعدة سنة ٢٤٩/٢٠ =

ومن شعر زيادة الله - على أنه كان يصنعه ويكتمه - ما يُروى أن المأمون كتب إليه أن يدعو على منابره لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، فأنف من ذلك وأمر بإدخال الرسول عليه - بعد أن تَمَلَّأ من الشراب ، وحلَّ شعره ، ونارٌ عظيمة بين يديه في كوانين ، وقد احمرت عيناه - فمال الرسول ذلك المنظر ، ثم قال : « قد علم أمير المؤمنين طاعتي له وطاعة آبائي لأبائه ، وتقدّم سلفي في دعوتهم ، ثم يأمرني الآن بالدعاء لعبد خزاعة ؟ هذا والله أمر لا يكون أبداً » . ثم مد يده إلى كيس إلى جانبه فيه ألف دينار فدفعه إلى الرسول ليوصله إلى المأمون ، وكانت الدنانير مضروبة باسم إدريس الحنفي ، ليُقله ما هو عليه من فتنة المغرب ومناضلة العلويين ، وكتب جواب الكتاب وهو سكران في آخره أبيات منها :

أنا النار في أحجارها مستكنة فإن كنت ممن يقدح الزند فأقدح
أنا الليث يحمي غيـله بزئيره فإن كنت كلباً حان موتك فانبج
/ أنا البحر في أمواجه وعُبابه فإن كنت ممن يسبحُ البحرَ فاسبح [٤٧-١]

فلما صحا بعث في طلب الرسول فقاته ، وكتب كتاباً آخر يتلطف فيه ، فوصل الكتاب الأول والثاني ، فأعرضوا عن ذكر الأول وجاوبوه عن الثاني بما أحب . وصدر البيت الأول من هذه الأبيات وقع في ما تمثل به المأمون ،

٨٦٢ يناير ، أما ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلّب فقد كان مصابياً بشبه جنون جعل منه أكبر سفاك للدماء عرفه تاريخنا ، ولم تقتصر جرائمه على خصومه السياسيين أو من يخشى خطرهم ، بل كان يقتل للذة القتل ، وقد أورد النويري - نقلاً عن أبي إسحاق إبراهيم الرقيق - بياناً مفزَعاً ببعض المذابح التي أوقعها بأهل بيته وخدمته حتى لقد قتل ٣٠٠ خادم بسبب منديل ضاع منه ، وقتل ابناً من أبنائه وثمانية من إخوته ، وقتل ١٦ من بناته مرة واحدة . وكان به شنوذ وسيل للفلان ، وكان عنده منهم فيف وستون ، فشك في أمرهم مرة فقتلهم جميعاً على أشنع صورة ، إلى آخر هذا البيان الأسود . وكان يتلذذ لمنظر القتل ويتفنن فيه ، ومن هنا فإن لقب السفاك الذي سباه به ابن الأبار قليل في حقه .

إذ قتل ليلاً بالمطبق إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد
ابن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بابن عائشة وأصحابه ، فقال حين فرغ
من ذلك :

أنا النار في أحجارها مستكنة متى ما يهيجها قاذح تنضم
حكاه المسعودي .

وكان زيادة الله يدعو للمأمون ، وابن شكلة^(١) - وهو إبراهيم بن
المهدي - ببغداد قد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين ، إلى أن قدم المأمون ببغداد
فكاتبه وشكر له فعله .

وله يخاطب أمه « جلاجل » - جارية الليث بن سعد^(٢) - وقد استفحل
أمر الجند في خلافهم عليه ، واستولوا على إفريقية كلها ، إثر وقعة على أصحابه
شديدة خاف منها على ملكه ، وأيقن بانقطاع مدته ، وبلغ ذلك منه كل مبلغ ،
فدخلت عليه أمه تصبره وتسئل الأمر عليه ، ففكر ساعة ثم رفع رأسه وأنشد
أبياتاً منها :

أمنت سببية كل قرم باسلي ومن العبيد جاجماً أبطالاً
فإذا ذكرت مصابياً بسببية فابكي جلاجل واندي إعوالاً

(١) ورد الاسم على هذا الضبط عند المسعودي ، انظر « مروج الذهب » (تحقيق باربييه
دي مينارد ، باريس ١٨٧١) : ١٠/٦ .

(٢) سمع إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة من الليث بن سعد قبل أن يلي حكم
إفريقية ، ويقال إن الليث وهب له « جلاجل » أم ولده « لمكانه منه » كما يقول ابن عذارى .
وزيادة الله الأول هو ثاني ولد من أولاد إبراهيم بن الأغلب يلي الإمارة (ابن عذارى ، البيان ،
٩٢/١) .

يا ويح نفسي حين أركب غادياً بالقِيروانِ تخالني مختالاً
 في فتيةٍ مثل النجوم طوالع ومخالني بين النجوم هلالاً
 فاليوم أركب في الرعاع ولا أرى إلا العبيد ومعشراً أنذالاً^(١)
 وله في النسب :

بالله لا تقطعن بالهجر أنفاسي فأنت تملك إنطاق وإخراسي
 حدود طرفك عن طرفي إذا التقيا مجرّعي كأس إرغام وإتعاسي
 لو لم أبحك حمي قلبي ترودُ به لم تستبح مهجتي يا أملح الناس
 / وله أيضاً في تفاعلة :

[٤٧ - ب]

ولابسة ثوب اصفرار بلا جسم تنمُ بأنفاس الحبيب لمشمم
 تجمع معشوق لديها وعاشق فذو نظري يزو إليها وذو شم
 سأنيكِ أو أفنى عليك تذكراً لمن أنتِ عطر منه في الرشف والشم
 فقد هجت في قلبي لظي لتذكرى وعنوانه في مقلتي دمة تهبي
 كاني أذني حين أدنيك من به أثرت اشتياقي في عناق وفي ضم

(١) كانت أيام زيادة الله بن الأغلبي كلها أيام فتنة واضطراب ، بسبب قلة كفايته وسوء تصرفه مما كان سبباً في ثورة منصور الطنبلي التي كادت تطيح بدولة بني الأغلبي . وقد كان زيادة الله لهذا في ضيق وهم دائمين ، وربما كان هذا بعض سبب إسرافه في الشراب . وتشير أبيات زيادة الله إلى وقعة سببية التي كانت سنة ٢١٠/٨٢٥ - ٨٢٦ ، أوقعها بجند زيادة الله هاجر بن نافع صاحب منصور الطنبلي وقسيه في الثورة ، وكان يقود جند زيادة الله فيها ابن أخيه محمد بن عبد الله بن الأغلبي ، فقتل في المعركة ، وقد كاد أمر زيادة الله يتلاشى بعدها . قال ابن عذاري : « ولم يبق بيد زيادة الله من إفريقية كلها إلا قابس والساحل ونفزاوة وإطرابلس ، فإنهم تمسكوا بطاعته ، ولم ينقصوه شيئاً من جبايته . وملك منصور جميع حمل زيادة الله ، وخرّب السكة باسم نفسه » (البيان المغرب ، ١/١٠٠ - ١٠١) .

٦٢ - الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عقال (ويلقب بنجر)

وَلِيَّ إفريقية بعد إبراهيم بن الأغلب ثلاثة من أبنائه لصلبه ، أولهم أبو العباس عبد الله : وَلِيَّ بعهد أبيه ، وكان عند وفاته بطرابلس ، فقام أخوه زيادة الله بالأمر في مضيئه ، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وسائر الناس ، فكان يتحامل عليه في ولايته ويتنقصه ، وهو يظهر التجمل والاحتمال^(١) ؛ وعوجل فلم تطل مدته ، ولم يوصف بأدب فنذكره . وثانيهم أبو محمد زيادة الله المتقدم الذكر : وهو كان أطولهم ولايةً ، وأمتهم بعد أبيهم أدبا . وثالثهم أبو عقال الأغلب هذا : وَلِيَّ بعد أخيه زيادة الله ، وهو كان أقصرهم ولايةً ؛ أقام سنتين وتسعة أشهر وأياماً ، غير أن الملوك منهم من عقبه^(٢) دون أخويه . وكل من وَلِيَّ بعده من آل الأغلب - إلى أن انقرض ملكهم وزال سلطانهم - من ولده . وآثاره صالحة : أمّن الجند وأحسن إليهم ، فلم يكن في أيامه - على قصرها وتقلصها - حروب . وغير مما أحدث العمال كثيراً ، وقبض أيديهم عن أموال الرعية ، وقطع النيذ من القيروان ؛ فحُمدت سيرته ، وظهرت فضيلته ، وانتشر عدله . وكان له حظ من الأدب يصوغ به مقطعات من الشعر ، فمنها قوله :

(١) عندما توفي إبراهيم بن الأغلب في شوال ١٩٦ / يونيو ٨١٢ كان ابنه وولي عهده عبد الله بطرابلس ، فقام ابنه الثاني زيادة الله بأخذ البيعة على نفسه وأهل بيته ورجال الدولة لأخيه الغائب ، ولما وصل عبد الله إلى القيروان سلم إليه الأمر ، ولكن عبد الله لم يحمد لأخيه هذا الفضل وجعل دأبه التحامل على أخيه وإطلاق لسانه فيه ، فخاف زيادة الله وخرج إلى المشرق . وعندما توفي أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب في صفر ١٩٧ / أكتوبر ٨١٢ تولى زيادة الله بعده .

(٢) الأصل : غيبته .

له مقلة تكفيه حملَ سلاحِهِ محاربة الحاظها من تسالمة
سقى صبَّه من خرها فبدا بها كما تفعل الصبياء ما هو كاتمهُ
وقد سكرت أجفانه فكأنما تُسقيهِ من صبيائها وتنادمه

٦٣/ - ابنه محمد بن الأغلِب بن إبراهيم بن الأغلِب ، [٤٨ - ١]

أبو العباس

ولّى بعد أبيه أبي عقاب في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين
ومائتين ، وتوفى يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين
وهو ابن ست وثلاثين سنة ، فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر
وإثنى عشر يوماً .

وكان كوسجاً : كان وجهه وجه خصىٍ ليس فيه إلا شعرات يسيرة ، عقيماً
لا يولد له ، موصوفاً بحلم وجود . وحاربه أخوه أحمد فظفر به وأخرجه إلى المشرق ،
وكانت في أيامه حروب كثيرة نُصر فيها . وأما أخوه الثاني - ويسمى أيضاً
محمدأ ، ويكنى أبا عبد الله - فكان والياً على طرابلس من قبله ، ومات بها في
أيامه سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ؛ ومن ولده أمراء بني الأغلِب الولاة بعد أبي
العباس هذا (١) .

(١) هذه المعلومات تصحح خطأ كبيراً جارياً في نسب بني الأغلِب ، فإن كل المؤرخين
يتابعون ابن عذارى وابن خلدون والنويرى في القول بأن أمراء بني الأغلِب بعد أبي العباس
محمد بن الأغلِب السعدى كانوا من نسله ، وأن أحمد الوالى بعده ابنه . ولكن ما يذكره ابن
الأبار هنا من أن محمدأ الأول كان عقيماً لا ولد له ، وأن أحمد الذى جاء بعده هو ابن أخيه -
واسمه محمد أيضاً - الذى تولى طرابلس ، يغير الوضع . ولم ينتبه لذلك زامباور في معجمه

وأبو العباس [هو] القائل يفخر - في ما نسبه إليه بعض خاصته ، وقيل إنه لعبد الرحمن بن أبي مسلمة - قاله على لسانه عند ظفره بخارجٍ عليه :

أليسَ أبي وجدِّي أوطأني - وجدُّ أبي وعمّايَ - الرقابا ؟
ورثتُ الملكَ والسلطانَ عنهمُ فصرتُ أعزَّ من وطىء الترابا
وقدّمتني الخلائفُ واصطفوني فمن مثلي قديماً وانسابا
أنا الملك الذي أسمو بنفسي فأبلغ بالسوء بها السحابا
إذا نَقَبَتَ عن كرمي ومجدي وجدّتي المصاصة^(١) واللّبابا
أنا الملك الذي أيدتُ ملكي بسيفي إذ كشفتُ به الضبابا
فأمضى إن سرّدتُ^(٢) الجفنَ عنه فأغتصبُ النفوسَ به اغتصابا
لقد فتح المهيمنُ لي بسيفي وإقداي ، إذا ما الجمعُ هابا
أمتُ به ابنَ حمزة^(٣) حين دبتُ عقاربُ غدره وسعى نخابا

= الأنساب ، ولا الذين ترجموه إلى العربية (١٠٥/١) ، بل لم ينتبه لذلك فوندرهايدن الذي ألف كتاباً ضخماً عن الأغلبة بالفرنسية سبق أن أشرنا إليه (ص ٢١٣ - ٢١٦) .

وقد وصف ابن عذارى والنويرى محمداً هذا بالجهل والغباء ، بل أورد ابن عذارى حكاية أيد بها هذا الوصف ، ولكن الحقيقة - كما يتضح من التفاصيل التي يقدمها النويرى - أنه كان من أذكي بني الأغلّب وأشدهم مكرأ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠٧/١ - ١١٤ . النويرى ، ١٤٦ - ١٥٠ .

(١) كذا في الأصل ، على اعتبار أن المصاصة العصاراة التي تمص . وقد تكون صحة

اللفظ : الخلاصة .

(٢) الأصل : أمضى إذا سررت ، ولا يستقيم به الوزن أو المعنى .

(٣) ابن حمزة هو نصر بن حمزة الجروى وزير أبي جعفر أحمد بن أبي عقاب الأغلّب

ابن إبراهيم بن الأغلّب ، وأحمد هذا هو أخو أبي العباس محمد المترجم له هنا ، وكان قد ثار عليه بمعاونة صاحبه نصر بن حمزة الجروى وأخيه داوود ، وتمكن من أن يتولى الأمر دون أخيه دون أن يخلمه . وقد تمكن محمد بالحيلة من أن يستعيد سلطانه ويتغلب على أخيه أحمد وأنصاره ، ثم أخرجه مبعداً إلى المشرق ، وقتل نصر بن حمزة الجروى ، وبهذا يفخر هنا . أما داوود بن حمزة الجروى فكان قد انضم إلى محمد نكاية في أحمد بن الأغلّب لأنه فضل أخاه عليه .

أَسَلْتُ بِهِ دَمَ الْأُودَاجِ مِنْهُ فَصَارَ لِشَيْبِ لِحَيْتِهِ خَضَابًا^(١)
 / أَظِلُّ عَشِيرَتِي بِجَنَاحِ عِزِّي وَأَمْنَحُهَا الْكِرَامَةَ وَالثَّوَابَا [٤٨ - ب]
 وَأَصْطَنَعُ الرِّجَالَ وَأَصْطَفِيهِمْ^(٢) وَأَغْفِرُ لِلْمَسِيءِ إِذَا أَنَا بَا
 وَأَسْمُو بِالْخَمِيسِ إِلَى الْأَعَادِي فَأَكْسِرُ بِالْعَقَابِ لَهَا الْعَقَابَا
 أَنَا ابْنُ الْحَرْبِ رَبَّتِي وَوَلِيدًا إِلَى أَنْ صَرْتُ مَمْتَلِكًا شَبَابَا
 لَعَمْرُؤُا أَيُّكَ مَا أَنْ عَيْبَتْ قَوْمِي وَمَا أَخْشَى بِقَوْمِي أَنْ أَعَابَا
 بَنَيْتُمْ لَهُمْ مَكَارِمَ بَاقِيَاتِ إِذَا مَا صَارَتْ الدُّنْيَا خَرَابَا

٦٤ - إبراهيم بن أبي إبراهيم أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي عقاب الأغب

وهو خزر المذكور قبل ابن إبراهيم بن الأغب ، أبو إسحاق .
 ولى بعد أخيه أبي عبد الله محمد بن أحمد ، الذى يُعرف بأبي الغرائيق ، لكثرة
 ولوعه بتصيدها . وكان محمد هذا قد عقد لابنه أبي عقاب الأغب ولاية عهدة ،
 واستحلف إبراهيم هذا خمسين يميناً بجامع مدينة القيروان ألا ينازعه ، وذلك
 بحضور مشيخه الأغب^(٣) وقضاة القيروان وفقهاها ، فلما هلك أبو الغرائيق

(١) ورد هذا الشطر في الأصل هكذا :

* فصارت لشيب لحيته خضابا *

ولا يستقيم به الوزن ، وقد قومت على هذا النحو .

(٢) الأصل : أطيبهم .

(٣) في النويرى : وذلك بحضور مشايخ بني الأغب وقضاة القيروان وفقهاها (ص ٢٥٣)

لست مضين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين ، خلع ابنه أهل
القيروان وقدموا إبراهيم بن أحمد في قصة طويلة ، فابتلاه الله بظلمه ، وامتنحهم
بإسرافه ، حتى سموه « الفاسق » . وكان أول أمره قد أحسن السيرة فيهم نحواً
من سبع سنين ، ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء ما لم يرتكبه أحد قبله ،
وأخذ في قتل أصحابه وكتابه وحجابه ، حتى إنه قتل ابنه أبا عقاب وبناته ؛
والأخبار عنه في ذلك فظيعة شنيعة . وكان كثير المال شديد الحسد ، على اتصافه
بالحزم والعزم والضبط للأمر . ولم يكن يوصف بعلم بارع ولا أدب ، وكان ربما
صنع من الشعر شيئاً ضعيفاً ، فمن ذلك قوله :

نحن النجوم بنو النجوم ، وجدنا قمر السماء أبو النجوم تميم
والشمس جدتنا ، فمن ذا مثلنا متواصلان : كريمةٌ وكريمٌ ؟

[٤٩ - ١] / وحذف هذا النظم الغث أولى من إثباته ، وليتبه بعقاب أهل بيته عوقب
على أبياته . ولم يل إفريقية قبله أطول عمراً منه في سلطانها . ملك تسعاً وعشرين
سنة إلا خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ليطول به الابتلاء ؛ والله يفعل ما يشاء .
وحكى أبو عبيد البكري في كتاب « الممالك والمسالك » من تأليفه أن
إبراهيم بن أحمد هو الذي بنى مدينة رقادة واتخذها وطناً ، وانتقل إليها من
مدينة « القصر القديم » وبنى بها قصوراً عجيبة وجامعاً . ولم تزل بعد ذلك
دار ملك لبني الأغلبي ، إلى أن هرب عنها زيادة الله أمام أبي عبد الله الشيعي .
وسكنها عبيد الله المهدي ، إلى أن انتقل إلى « المهديّة » ، فدخلها الوهن وانتقل
عنها ساكنوها . ولم تزل تخرب شيئاً بعد شيء ، إلى أن ولي معد بن إسماعيل ،
فخرّب ما بقي منها وعفى آثارها ولم يبق منها غير بساتينها .

قال : وليس بإفريقية أعدل هواء ، ولا أرق نسيماً ، ولا أطيب تربة من
مدينة رقادة . وذكروا أن أحد بني الأغلبي أرق وشرّد عنه النوم أياماً ، فعالج

إسحاق — يعنى طيبهم ، وهو الذى ينسب إليه إطريرقل إسحاق^(١) — فلم ينم ، فأمره بالخروج والمشى ، فلما وصل إلى موضع رَقادة نام ، فسميت رَقادة من يومئذ ، واتخذت داراً ومسكناً وموضع فرجة للملك . قال : ولما بناها إبراهيم ابن أحمد منع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رَقادة ، فقال بعض ظرفاء أهل القيروان :

يا سيدَ الناس وابنَ سيديهمِ ومن إليه الرقابُ منقادُه
ما حرَّم الشُّربَ في مدينتنا وهو حلال بأرض رَقاده ؟

ومع بُعد إبراهيم في الملكة عن الإسجاح ، فقد كان لا يخلُ بنصيبه من السماح . حكى أبو إسحاق الرقيق أن بكر بن حماد التاهرتي^(٢) كان يفتجع هذا الطاغية ويمدحه ، فغدا يوماً بمدح له على « بلاغ » الخادم فقال له : « الأمير عنا مشغول في هذا اليوم » ، قال : « فالطف بي في إيصال رقعة إليه » ، قال : « إنه مصطبوح في الجنان مع الجوارى ، ولا يصل إليه أحد » ؛ فكتب بكر في رقعة ، واحتال « بلاغ » في / توصيلها مساعدة له ، وفيها أبيات منها :

[٤٩ - ب]

(١) العبارة كلها منقولة عن المسالك والممالك للبكري (صفة إفريقية ، ص ٢٧ - ٢٨) . والإطريرقل أو الإطريرقال - كما جاء في معجم الكتاب المنصوري المعروف باسم « مفيد العلوم ومبيد الهموم » لابن الحشاء - دواء مركب فيه لا محالة بعض الهليلجات أو كلها ، ويزاد فيه بحسب الحاجة من الأفاويه ، وصوابه بضم الفاء .
واقظر : دوزى ، ملحق القواميس ، ٢٨/١ .

(٢) ترجم له أبو بكر المالكي في « رياض النفوس » : ١٦/٢ - ١٩ ، وأورد كثيراً من الشعر في رثاء ابنه وفي الزهد . وقال « سعى به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير ، فخرج هارباً من القيروان يريد تاهرت بلده ، فلما صار بسبابة خرج عليه قطاع الطريق ، فقتل ولده عبد الرحمن وجرح بجراحات ، فزال في بطنه فتق منها إلى أن مات (سنة ٢٩٦/٩٠٨ - ٩٠٩) . وترجم له الدباغ في « معالم الإيمان » (١٩٢/٢) وذكر أساتذته ورحلته إلى البصرة سنة ٢٢٧ . وقد أضاف الدباغ أن قاسم بن أصبغ أخذ عنه ، وقال إنه كان ثقة عالماً بالحديث ورجاله ، شاعراً فصيحاً .

خُلِقْنَ العوانى للرجال بليّةً فهنّ موالينا ونحن عبيدُها
 إذا ما أردنَ الوَرَدَ في غير حينِه أتتنا به في كل حين خدودُها
 وكتب تحت الأبيات :

فإن تَكُنِ الوسائلُ أعوزتني فإنّ وسائلِي وردُ الخدودِ
 فلما قرأها أنشدها الجوارى ، فأظهرن له سروراً بها وشفعن إليه إلى أن
 خرج بصرّة مخطومة فيها مائة دينار ؛ ووصل منه إلى بكرٍ مالٍ عظيم .

٦٥ - ابنه عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو العباس

وَلِيَ بعد أبيه إبراهيم ، وكان شجاعاً بطلاً ،^(١) ذا بصر بالحروب والتدبير ،
 عاقلاً أديباً عالماً ، له نظر في الجدل وعناية باللغة والآداب . وكان في أيام أبيه على
 خوف شديد منه ، لسوء أخلاقه وقبح أفعاله ، وجراته على قتل من قرّب منه أو
 بعد ، وكان يُظهر من طاعته والتذلل له أمراً عظيماً . وكان أبوه يوجهه إلى
 محاربة كثير ممن يخالف عليه ، ويفضله على سائر ولده ، ثم ولاه عهده وصير إليه
 خاتمه ووزارته ، وكتب بذلك كتاباً تاريخه يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع
 الأول سنة تسع وثمانين ومائتين .

وفي ذى القعدة منها هلك أبوه إبراهيم بن أحمد ، ومن ذلك الوقت رُمي

(١) لم يصفه بذلك غير ابن الأبار ، بل قال ابن عذارى : إنه أظهر التقشف والجلوس
 على الأرض وإنصاف المظلوم ، وجالس أهل العلم وشاورهم ، وكان لا يركب إلا إلى الجامع ،
 فقال قوم : إن أهل النجوم أمروه بذلك ، وقال قوم : « به وسوسة » . ثم ذكر كيف احتال
 على ابنه زيادة الله حتى سجنه مع نفر من أصحابه ، فكان هذا حافزاً لزيادة الله على تدبير مقتل أبيه .

ابن عذارى ، ١/١٣٣ - ١٣٤ . النويرى : ١٦٣ - ١٦٤ .

بالنجوم ، فكانت تتناثر كاللطر يمينا وشمالا ، وكانت تؤرخ بسنة النجوم^(١) .
 ومَلَكَ عبدُ الله سنةً واحدةً واثنين وخمسين يوماً ، وكانت أيامه - على
 قصر مدته - أيام عدل وصلاح وحسن سيرة ، إلى أن قُتِل ليلة الأربعاء آخر
 شعبان سنة تسعين ومائتين : تولى قتله ثلاثة من خدمه الصقالبة وهو نائم ،
 وأتوا برأسه ابنة زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الأغالبة وهو محبوس من قبل
 أبيه - وكان قد صانعهم على ذلك - فقتلهم وصلبهم . ومن شعر عبد الله في
 دواء شربه بصقلية :

[١-٥٠] / شربتُ الدواءَ على غُربةٍ بعيداً من الأهلِ والمنزلِ
 وكنتُ إذا ما شربتُ الدواءَ تطيبتُ بالمِسكِ والمنَدَلِ
 فقد صار شرنى بِحارِّ الدماءِ ونقعِ العَجَاجَةِ والقسطلِ

٦٦ - ابنه زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو مضر

خاتمة ملوك الأغالبة ، عليه انقراض ملكهم وزال سلطانهم بعبيد الله المهدي
 أول ملوك الشيعة .

ولما هزم أبو عبد الله الشيعي - داعية عبيد الله - عسكر زيادة الله
 هذا يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين^(٢) ،

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) كانت الأربس^{٢٥٦} آخر معاقل زيادة الله الثاني آخر أمراء بني الأغلب ، فلما سقطت
 في يد أبي عبد الله الشيعي أسقط في يده وقرر الفرار ، ولم يلبث في القيروان إلا ريثما أخذ ماتيسر
 من ماله ومتاعه ، « فلما كان وقت صلاة العتمة من ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة
 [سنة ٢٩٦] ركب فرسه وتقلد سيفه ، وقدم الأحمال تمر بين يديه ، هارباً على عيون أهله
 وحرمه وولده . . . » .

وكانت تلك هي نهاية أمر بني الأغلب ، على رغم محاولة أخيرة يائسة قام بها إبراهيم بن أبي
 الأغلب وأبي أهل القيروان أن يؤيدوه فيها فاضطر إلى الفرار لاحقاً بزيادة الله .

ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١/١٤٧ - ١٤٨ .

وَدُخِلت مدينة الأُزْبُس بالسيف ، وبلغ الخبر زيادةَ الله عند صلاة العصر يوم الأحد بعده ، فر على وجهه وأسلم البلاد ، ولحق بإطرابلس ميمماً ديار مصر ، وذلك في خلافة المقتدر بن جعفر بن المعتضد ، فكانت ولايته ست سنين إلا شهرين وأياماً ، أتلف جُلَّها في اللذات والبطالة ، حتى انتقضت دولته وظفر به عدوه .

وكان فراره من مدينه رَقادة التي بناها جده إبراهيم بن أحمد ، وأجرى إليها المياه ، واغترس فيها صنوف الثمار الطيبة والرياحين ، وبنى على القصور التي أحدث فيها سوراً ، وأحد هذه القصور يسمى « بغداد » ، وآخر منها يسمى « المختار » ، فصارت أكبر من القيروان ، وبينهما ستة أميال .

فلما ولي زيادةُ الله هذا ، انتقل إليها وحفر بها حفيراً بناه صهر يمجاً ، طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع ، وأجرى إليها ساقية وسماه « البحر » ، وبنى فيه قصرأ وسماه « العروس » على أربع طبقات أنفق فيه — سوى خَسَر^(١) اليهود والهجم — مائتي ألف دينار واثنتين وثلاثين ألف دينار .

وكان عبید الله^(٢) يقول : « رأيت ثلاثة أشياء بإفريقية لم أر مثلها بالمشرق ، منها هذا القصر » . فبهذا وأمثاله كان اشتغاله ، حتى حالت لأول وهلة حاله ، ليصدق ما قاله أبو الفتح البُستِيّ :

إذا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً فاحكم على مُلكه بالويلِ والحربِ
[٥٠ - ب] / وحكى أبو إسحاق الرقيق أنه سأل « مؤنساً » المغنى هل يعلم صوتاً من أصواته لم يسمعه منه ، فقال : « والله يا مولاي ما علمت غير بيت ، وقد أنسيتُ أوله » ، قال : « هاته » ، فغناه :

(١) وردت هكذا مشكولة في الأصل ، فتركها كما هي ولو أنني لم أعرف معناها هنا ، وقد تكون صحتها : عشر اليهود والمعجم .
(٢) المراد عبید الله المهدي أول خلفاء الفاطميين في إفريقية .

فقد صرتُ بعد البينِ أقنعُ بالهجرِ
ثم وجهه في صاحب البريد عبد الله بن الصائغ^(١) - وكان شاعراً مجيداً -
فعرّفه ما جرى وقال له : « بحياتي إلازدت عليه شيئاً » ، فقال ابن الصائغ :
ولى كبدٌ لولا الأسي لتصدّعتُ وقلبٌ أبى أن يستريح إلى الصبرِ
وقد كنتُ أخشى هجرهم قبل يئسهمُ فقد صرتُ بعد البينِ أقنعُ بالهجرِ
فأعجبه ذلك ووقع منه أحسن موقع ، وغنى به « مؤنس » فطرب وأمر له
بجمع نفيسة وكيس فيه ألف دينار وفرس بسرج ولجام مُحلّين . وهذا قد كان
يحسن منه لولا انهما كه [في ملذاته]^(٢) الذي كان فيه هلاكه .

وقال أبو بكر محمد بن محمد الصولي في كتاب « الأخبار المنشورة » من تأليفه :
حدثني أبو الحسن علي بن جعفر الكاتب ، حدثني أبي ، قال : كان لزيادة الله
ابن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد - وهو زيادة الله الأصغر ، وكان أميراً بإفريقية -
غلام فحل صبي يدعى خطاباً - وهو الذي اسمه في السكك - فسخط عليه
وقيده بقيد من ذهب ، فدخل يوماً من الأيام صاحبه على البريد - وهو
عبد الله بن الصائغ - فلما رأى الغلام مقيداً تأخر قليلاً ، وعمل بيتين وكتب
بهما إلى زيادة الله وها :

يأيها الملك الميمون طائرُهُ رفقاً فإن يد المعشوق فوق يدك
كم ذا التجلد والأحشاء راجفةٌ أعيد قلبك أن يسطو على كبدك

(١) عبد الله بن الصائغ هو صاحب بريد زيادة الله هذا ثم وزيره ، وهو الذي أشار
عليه بقتل أعمامه ومن يتوقع أن ينافس في العرش من آلِه ، وهو وأبو مسلم منصور بن إبراهيم -
الذي ولّاه الخراج - مسئولين عن كثير من الأخطاء التي وقع فيها وأدت إلى ضياع ملكه وذهاب
حولة بني الأغلب . وقد آل أمره إلى أن قتله زيادة الله ، وكان ذلك بعد فرارهما جميعاً . وقد كان
مقتل عبد الله بن الصائغ في طرابلس سنة ٢٩٦ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ / ١٣٤ - ١٤٦ .

(٢) أضفت ذلك للسياق .

فأطلق الغلام ورضى عنه ، ووصل عبد الله الصائغ بالقييد الذهب^(١) .

ومن شعر زيادة الله ما حكى الصولي أيضاً في « كتاب الوزراء » من تأليفه أن العباس بن الحسن ، لما استوزره المكتفي أبو محمد علي بن أحمد المعتضد ، أراد أن يريه أنه فوق الوزير قبله القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في التدبير ، [٥١ - ١] فاستأذنه في مخاطبة بن الأغلب هذا ، ففعل ، فوجه ابن الأغلب إليه / برسول معه هدايا عظيمة ومائتا خادم وخيل وبرز كثير وطيب ، ومن اللبوذ^(٢) المغربية ألف ومائتان ، وعشرة آلاف درهم في كل درهم عشرة دراهم ، وألف دينار في كل دينار عشرة دنانير ، وكتب على الدنانير والدرهم في وجهه :

ياسائراً نحو الخليفة قل له أن قد كفاك الله أمرك كله
زيادة الله بن عبد الله سي ف الله من دون الخليفة سله

وفي الوجه الآخر :

ما ينبري لك بالشقاق منافق إلا استباح حريمه وأحله
من لا يرى لك طاعة فالله قد أعماه عن طرُق الهدى وأضله

(١) روى ابن عذارى هذا الخبر في صورة أخرى ، فذكر كلفه بهذا الغلام خطاب وكتابة اسمه في سكة الدنانير والدرهم ، ثم غضبه عليه ، ولكنه قال إن الذي قال الشعر جارية من جواريه . (البيان : ١ / ١٤٣)

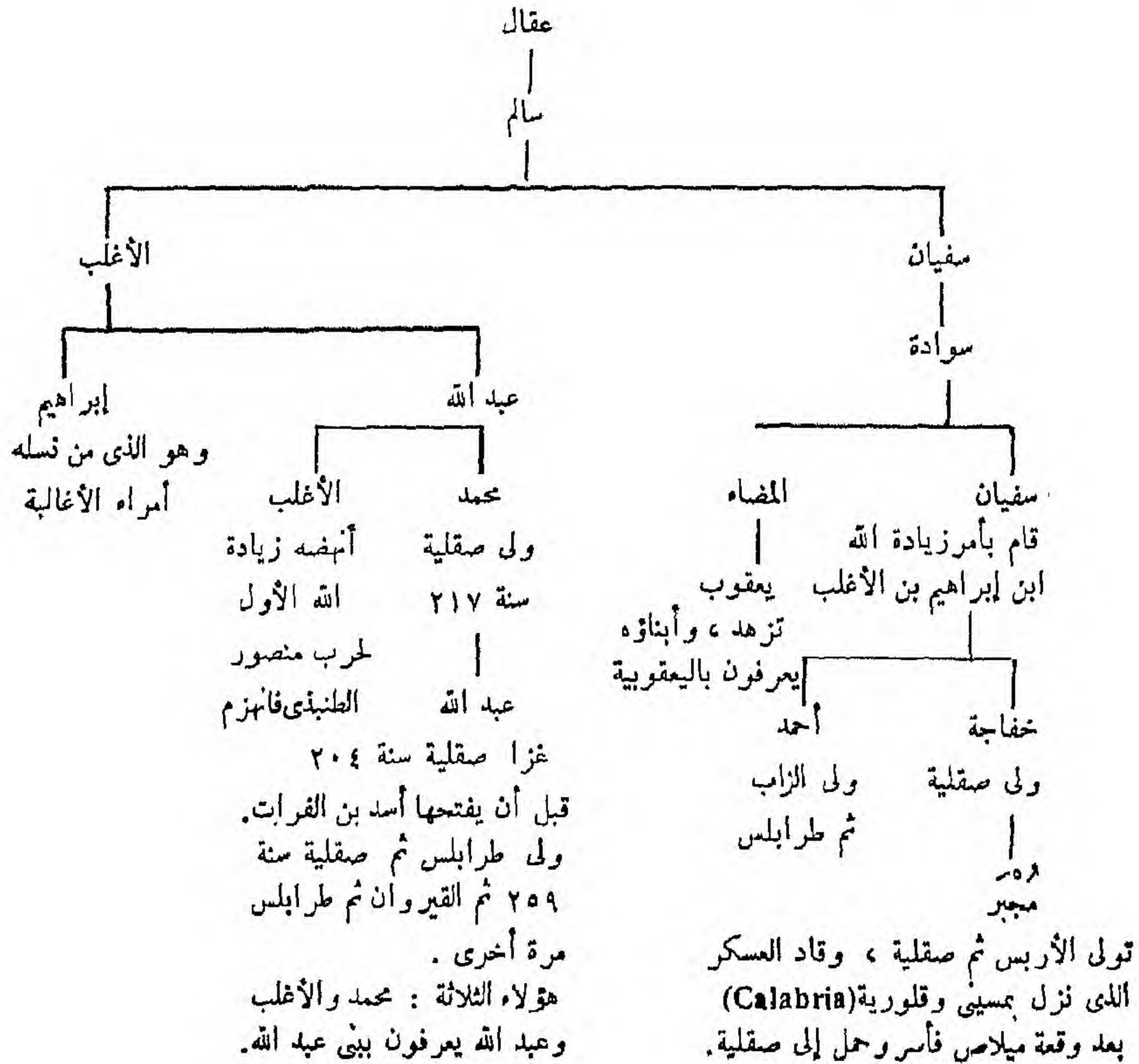
وغلام فحل معناه أنه ليس من الحصيان ، فقد كان أولئك الغلمان الذين يشتريهم الأمراء إما فحولا - أي لم يخلصوا - أو خصياناً .

(٢) كذا . والمشهور اللبوذ بالبدال المعجمة وهو قماش من الصوف الغليظ الأبيض ، كان يستعمل في صنع نوع من القلائس الطوال ، وفي بعض الأحيان تصنع منه الحفاف . وقد يلبسه المقاتلة ليقى أجسامهم . وهو يقابل بالفرنسية feutre . انظر : ملحق القواميس لدوزي :

٦٧ - محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلِب بن إبراهيم ابن الأغلِب، أبو العباس^(١)

وَلِي لابن عمه إبراهيم بن أحمد بن محمد طرابلس ، فكان يشق عليه حسن سيرته ويكره ذلك . وكان عالماً أديباً شاعراً خطيباً ، مع عشرة لإخوانه ، ولين

(١) سيذكر ابن الأبار هنا وفي الفصلين التاليين نقرأ من كبار بني الأغلِب الذين نسي زامباور ذكرهم في جدول نسبهم (ص ١٠٥ من الترجمة العربية) . وقد رأيت لهذا أن أكل هذا الجدول هنا :



جانب لأخذانه ، لا ينادم إلا أهل الأدب . وكان أبوه زيادة الله قد ولى إفريقية بعد أخيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد ، وكان محمود السيرة ذا رأى ونجدة .
يُروى عن سليمان بن عمران القاضي أنه قال : « ما ولى لبنى الأغلب أَعقلُ من زيادة الله الأصغر » ، سماه « الأصغر » لأنه سُمى باسم عم أبيه زيادة الله ابن إبراهيم المتقدم ذكره . وبعدها ولى زيادة الله بن عبد الله ثالثهم ، وهو آخر ولاتهم .

ولم يزل إبراهيم بن أحمد يحقد على محمد هذا ما يؤثر عنه من جميل ، إلى أن قتله . وكان الذي هاجه لذلك وبعثه عليه - مع قدم حسده له - أنه وجه رسولا إلى بغداد ، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم ، فقال المعتضد : « عجبا من إبراهيم ! ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه ، وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولى عليه وإحسان » ، فمضى إبراهيم قاصداً إلى طرابلس فقتله وصلبه بغيّاً وحسداً ، وقتل أولاده وعاث في أصاغرم عيَّته المشهور ، حتى إنه شق جوف بعض نسائه عن جنينها جرأة على الله تعالى ، وذلك سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

[٥١ - ب] وقرأت في تاريخ أبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرفيق / أن المعتضد كتب إلى إبراهيم من العراق : « إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فأسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس » ، فخرج إبراهيم إلى طرابلس في خفية ، وأظهر أنه يريد الخروج إلى مصر ، حيلة منه ، إلى أن ظفر به فقتله وصلبه . وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً .

قال : وكان محمد هذا أديباً ظريفاً ، ألف كتاب « راحة القلب » وكتاب « الزهر » و « تاريخ بني الأغلب » .

ومن شعره ما أنشده له أبو علي حسين بن أبي سعيد القيرواني صاحب
« الكتاب المغرب عن المغرب » :

وما شجا قلبي بتوزر أنى تناءيتُ عن دار الأحبة والقصرِ
غريباً ، فليت الله لم يخاقِ النوى ولم يجزَّ بيننا آخرَ الدهرِ

ومن بني عمهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم ، أبو العباس .
ويُعرف هو وأبوه محمد وعمه الأغلب بن عبد الله ، ببني عبد الله . وجده عبد الله
— الذين يعرفون به — هو أخو ألى إسحاق إبراهيم بن الأغلب .

وكان عمه الأغلب ممن أمهض لحرب منصور بن نصر الطنبُذِي أيامَ زيادة الله
ابن إبراهيم ، فجنَّد له جنده وانهمزم .

وولَّى محمد بن عبد الله لزيادة الله المذكور صقلية سنة سبع عشرة ومائتين ،
وفتح بها فتوحات . وقد كان زيادة الله أغزاه إليها سنة أربع ومائتين — قبل
فتحها على يد أسد بن الفرات بنحو من ثمانى سنين — فسبى منها شيئاً كثيراً
وانصرف .

ثم وليها ابنه عبد الله بن محمد هذا لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد
ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، المعروف بأبي الغرائيق ، سنة تسع وخمسين
ومائتين — وكان قد ولي قبل ذلك بمحيط أطراباس — ثم وليها مرة أخرى
بعد ولاية صقلية [و] ولي أيضاً إمارة القيروان . وكان أديباً شاعراً ، طالباً
للحديث والفقهِ . وهو القائل لما أتاه كتابُ عزله عن طراباس يخاطب أبا
هارون موسى بن مرزوق صاحب بريدها ، وكان له صديقاً :

قد أتى في الكتاب ما قد علمنا من تناء ورحلة وفراقِ
وعددنا الأيامَ فهي ثمانٍ بعد خمسٍ سريعة الإفتراقِ

[١-٥٢] / فعليك السلام إن فراقى قد دنا ، والفراقُ مر المذاقِ

ومن بنى أخى الأغلب بن سالم :

٦٨ - يعقوب بن المضاء بن سواده بن سفيان

ابن سالم بن عقال التيمي

كان أبوه من أمراء بني عمه الأغلبية ، ورغب يعقوب عن السلطان وولايته ، وانصرف إلى النسك ، ونزاع السواد ، وأعرض عن الدنيا ومال إلى الآخرة . وله بنون يتسبون إليه فيقال لهم « اليعقوبية » . وهو الذي توجه إلى العباس محمد ابن الأغلب الكوسج ، مع ابن عمه خفاجة بن سفيان بن سواده ، فأصلحا بينه وبين أخيه أحمد القائم عليه وأشارا بتأمينه ، وقد تفاقم الخطب بينهما ، فقبل ذلك محمد في حديث طويل ، ووصل إليه وعانبه ، ثم أمره بالتوجه إلى المشرق ، فسار إلى العراق وبها مات . ويعقوب هو القائل :

فإن تك لمتي كُسيتُ بياضاً وُبدل لي المشيبُ من الشبابِ
فقد عُمرتُ ذا فرعٍ أثيث كأن سواده حنكُ الغرابِ
فلا تعجل ، رويدك ، عن قريبٍ كأنك بالمشيبِ وبالخصابِ

٦٩ - أحمد بن سفيان بن سواده بن سفيان

ابن سالم بن عقال

وعقال هو ابن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محرت بن سعد بن حزام

ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وسالم بن عقال هو جد الأغلبة ،
وهو جد هؤلاء .

وَلِيَ أَحْمَدُ هَذَا الزَّابَ ثُمَّ وَلِيَ طَرَابِلُسَ وَأَعْمَالَهَا سَنِينَ كَثِيرَةً ، وَلَهُ بِهَا أَخْبَارٌ
وَأَنَارٌ وَوَقَائِعٌ مَشْهُورَةٌ . وَكَانَ مِنَ الْجُنُودِ بِمَكَانٍ رَفِيعٍ ، وَهُوَ أَيْضًا مِمَّنْ قَامَ بِنَصْرَةِ
أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى أَخِيهِ أَحْمَدَ ، مَعَ أَخِيهِ خَفَاجَةَ بْنِ سَفْيَانَ وَابْنِ عَمِّهِمَا
يَعْقُوبَ بْنِ الْمُضَاءِ ، حَتَّى ظَفَرَ بِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَنْحَفَظَ سُلْطَانَهُ . وَكَذَلِكَ قَامَ أَبُوهُ
سَفْيَانُ بْنُ سَوَادَةَ بِأَمْرِ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ فِي حَرْبِهِ ، وَكَانَ سَبَبَ
ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَفِي أَحْمَدِ بْنِ سَفْيَانَ هَذَا يَقُولُ بَكْرُ بْنُ حَمَّادِ التَّاهَرْتِيُّ مِنْ
قَصِيدَةٍ لَهُ :

/وقائلة : زارَ الملوكَ فلم يُفدُ فياليته زارَ ابنَ سفيانَ أحمدًا [٥٢-ب]
فَتَى يُسْخِطُ الْمَالَ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ وَيُرْضِي الْعَوَالِي وَالْحُسَامَ الْمَهْنَدَا
وَكَانَ خَفَاجَةَ بْنَ سَفْيَانَ - أَخُو أَحْمَدَ هَذَا - مِنْ رَجَالَاتِ بَنِي عَمِّهِ الْأَغْلَبَةِ ،
وَهُوَ أَكْبَرُ سَفَامِنَهُ وَأَجَلُ حَالًا ، وَوَلِيَ صَقْلِيَّةَ فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، وَنُصِرَ عَلَى الرُّومِ
فَلَهُ فِيهِمْ فَتُوحَاتٌ شَهِيرَةٌ .

ومن شعر أحمد :

قَرَّبُوا الْأَبْلَقَ إِيَّيْ أَعْرَفُ الْخَيْلِ الْعِتَاقَا
وَعَلَيْهَا أَصْرَعُ الْأَبِ طَالَ طَعْنًا وَاعْتِنَاقَا
أَخْبَطَ الْأُرُوحَ وَالْأَنْفُسَ بِالرَّمْحِ صِدَاقَا
وَأَرَوَّى مِنْ نَجِيعِ الْهَامِ أَسْيَافًا رِقَاقَا
تَنْقَعُ الْأَعْدَاءَ فِي النَّقْعِ حَمِيمًا وَغَسَاقَا
فَإِذَا مَا دَارَتْ السَّلْمُ بِمَا نَبَغَى وَفَاقَا

وأزحنا كلَّ ما كا ن شقاقاً ونفاقاً
اصطبغناها سُـلَافاً وشربناها اغتباقاً
وأدرنا الكاس بالرا حـ على الشربِ دهاقاً

وله أيضاً من قصيدة أخرى :

إنما الأبلقُ حِصْنِي ثم رُمحِي وحُسامِي
فيه عزِّي لعشِيرِي وبه عنهم أحمِي
وبه أشنى من الأعـ داء صـدري بانتقامـ
أنا من سر نزار وابنُ ساداتِ كرام
أنا من سعدِ تميمـ لستُ من سعدِ جذام
أنا من قد جالَ ذِكْرِي وجـري بين الأنام
باحتمالي كل ثَقْلِي في الملماتِ العِظام
وسِدادِي^(١) كل ثغْرِ ثم حزمِي وقِيامِي
أنجبتني السادةُ الصَّيِّدُ ، همامٌ لهمام
[سالم قد كان]^(٢) جدِّي ثم سفيان المحامي
أركبُ الهولَ بكرًا تي على الجيش اللّهُمام
[أخطف]^(٣) الأرواحَ كالصِّفةِ رِ لأرواحِ الحِمام
تعرف الأنسرُ بأسي فهي من فوقِ حوام

- (١) الأصل كلمة لم يبق منها إلا شيء مثل : طي ، وفي نسخة باريس جعلها الناسخ :
ملى ، فجعلتها هكذا . والكلمة الأصلية لا تخرج على أي حال عن هذا المعنى .
(٢) بياض بالأصل ، أكلمته على هذه الصورة للسياق .
(٣) هذه الكلمة ناقصة في الأصل .

مَيَّزَتْ فِي الْحَرْبِ رَايَا تَنِي وَأُرْمَاحِي الدَّرَامِي
 فَهِيَ حَوْلِي عَاكِفَاتٍ وَهِيَ خَلْفِي وَأَمَامِي
 تَرْقُبُ الطَّعْمَ الَّذِي عَوَّ (م) دَثُّهَا يَوْمَ صَدَامِي
 أَبْدَأُ تَعْرِفُ مِنِّي هَكَذَا فِي كُلِّ عَامٍ
 فَإِذَا مَا آتَى السَّنَدُ مُوَصَّرْنَا لِلْمُدَامِ
 أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنَّا أَنْجُمًا تَحْتَ الظَّلَامِ
 تَتَلَقَى وَنُبَّادِي بِتَحِيَّاتِ السَّلَامِ
 وَنُنِيلُ الزَّائِرَ إِلَيْهِ رَوْفَ مَنْ قَبْلَ الْكَلَامِ

* * *

/ ومن رجال الأغالبة :

[٥٣ - ١]

٧٠ - مجبر بن إبراهيم بن سفيان

كان من أهل الشرف والثروة ، وولاه إبراهيم بن أحمد الأربُسَ وغيرَها ،
 وكان ينادمه لحذقه الغناء ، ثم أخرجه إلى صقلية وولاه المسكر الذي بمسِينِي
 وأرضِ قَلُورِيَّةِ بعد وقعة ميلاص^(١) فخرج في شينِي يريد قَلُورِيَّةَ^(٢) ، فأسرتَه الروم
 وحمل إلى القسطنطينية فمات بها . وهو القائل في أسره ، من قصيدة طويلة بعث
 بها من محبسه عند الروم ورواها في أيام بني الأغلب أكثر الناس :

(١) ميلاص هي Milazzo فرضة صغيرة على الساحل الشمالي لجزيرة صقلية ، وهي

إلى الشرق من مسِينِي Messina

(٢) قَلُورِيَّةِ هي Calabria وهي شبه الجزيرة الغربي البارز من جنوب شبه الجزيرة

الإيطالية في اتجاه صقلية .

ألا ليت شعري ما الذي فعل الدهرُ ياخواننا يا قَيْرَوَانَ ويا قَصْرُ
 ونحن فإننا طمخطختنا^(١) رَحَى النَّوَى فلم يجتمع شملنا [لا] ولا وَفْرُ
 رأينا وجوه الدهر وهي عوابسُ بأعينٍ خطبٍ في ملاحظها شَزْرُ
 وآخر هذه القصيدة :

لعل الذي نجى من الجبِّ يوسفًا وفرَّجَ عن أيوبَ إذ مسَّهُ الضرُّ
 وخلصَ إبراهيمَ من نارِ قومه وأعلى عصا موسى فذلَّ له السحرُّ
 يصبِّرُ أهلَ الأسْرِ في طولِ أسْرِهم على مُعضلاتِ الأسرِ، لا سَلِمَ الأسرُ!

٧١ - أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبيل

(بالباء ، بواحدة واللام) ويعرف حمزة بالحرون ، وقد تقدم ذكره . وابنه
 محمد بن حمزة هو الذي وجهه زيادة الله بن إبراهيم للقبض على منصور الطنُبُذِي
 بقصره بالمحمدية ، فكاده .^(٢) وقتل محمد هذا في وقعة سَبِيَّة^(٣) ، أيام خلاف
 منصور والجند على زيادة الله .

(١) لم أجد في معاني طمخطخ مما يتشبه مع المعنى هنا إلا ما جاء في لسان العرب (٧/٤)
 من أن المطمخطخ هو الضعيف البصر ، وقد طمخطخ الليل بصره إذا حجبتة الظلمة عن انفساح
 النظر . والأوفق هنا طمخطخ بمعنى فرق وكسر وبدد (اللسان : ٣٦١/٣) . واللفظ مستعمل في هذا
 المعنى في العامية المصرية في صورة ضحضح .

(٢) كان ذلك في أول ثورة منصور بن نصر الطنُبُذِي في تونس . وقد روى ابن عذارى
 الخبر بالتفصيل ، وكيف احتال منصور على محمد هذا ومن معه - ومن بينهم القاضي شجرة
 ابن عيسى - وحبسهم ، حتى تمكن من تونس . وقد هزمهم هزيمة كبيرة ، وكان ذلك في
 ٢٤ صفر ٢٠٩/٢٧ أبريل ٨٢٤ .

انظر : « البيان المغرب » : ٩٨/١ - ٩٩ .

(٣) كانت وقعة سببية في ٢٠ محرم سنة ١٤/٢١٠ مايو ٨٢٥ ، وقد قتل فيها محمد هذا .

وكان أحمد بن محمد حاجباً لإبراهيم بن أحمد ومقدماً عنده ، قد فوّض إليه
أموره . وولى ابن عمه القيروان . وهو من بيت رئاسة وقيادة ، مع علم واسع
وأدب بارع ؛ ومن شعره :

ليس كلُّ الذي يُدار علينا من أمورٍ يوافق المقدورا
قد قضى الله ما لنا وعلينا قبل أن يُرِمَ العدوُّ الأمورا

٧٢ - الحسن بن منصور بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر

ابن نافع / بن محمية المسلي المذحجي ، أبو علي [٥٣ - ب]

من بيت قيادة وإمارة ؛ وكان جدُّ أبيه عبد الرحمن بن عامر ، وابن عمه عامر
ابن إسماعيل بن عامر بن نافع ، ممن قدم مع محمد بن الأشعث الخزاعي من قواد
العباسية . وخرج عمه عامر بن نافع على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ؛ وسيأتي
ذكره . وعامر بن إسماعيل هو الذي قتل مروان الجعدي ، وكان مقدماً عند
أبي العباس السفاح ومن بعده لأجل ذلك .

وكان الحسن بن منصور هذا يجمع إلى شرف آبائه وأهل بيته علماً واسعاً
وأدباً كاملاً ، وأقل ما تصرف فيه الشعر . وكان بصيراً باللغة ، نافذاً في النحو ،
عالماً بأيام العرب وأخبارها ، ووقائمه وأشعارها . وهو القائل يرثي ابن عم له
يُكنى أبا الفضل ، من قصيدة طويلة أولها :

حلّ أمرٌ لم يُغنِ فيه احتمالٌ يتقصر الوصفُ دونه والمقالُ
كان من قبله البكاء حراماً وهو من بعدُ للعيون حلالُ

ومنها :

يا أبا الفضل حَمَلْتَنِي المنايا منك ما لا تقوى عليه الجمالُ
وكأني^(١) لما تَضَمَّنَكَ اللحدُ دُيْمِينٌ قد فارقتها الشمالُ

وله :

يا قاتلي ظلماً ، ألم تخشَ ما جاء به التنزيلُ والآيُ ؟
وَأَيَّتَ بالوعدِ فما ضَرَّكُمْ لو صدقَ الميعادُ والوأيُ؟^(٢)
نأيتَ عني فتبدَّلْتَنِي كذا لعمري يفعل النأيُ
فإن يكنْ هجرى من رأيكم فليس لي في هجركم رأيُ

وله يخاطب ابن عمه أبا العرب بن عامر بن نافع :

يا مَنْ سما للمكرمات فخازها وغدا وأصبح للسماح مليكاً
إن الإلهَ بعنه وبفضله جمعَ المكارمَ والمفاخرَ فيكا
أشبهتَ آباءَ كراماً سادةً بيضَ الوجوهِ معظَّمينَ ملوكاً
[٥٤ - ١] / وَجَّهَ إِلَيْنَا بِالْمُسَبِّحِ - إني تَفْدِيكَ نَفْسِي قد ضَمَنْتُ الدِيكَ

ولهذه الأبيات قصة ذكرها صاحب « الكتاب المغرب عن

أبناء المغرب » .

(١) الأصل : وبأني .

(٢) أصل الوأي الوعد الذي يوثقه الرجل على نفسه ، ويعزم على الوفاء به (اللسان :

٧٣ - عبد الله بن الصائغ

(المعروف بصاحب البريد)

أحد ولاية زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك بني الأغلب وأصحابه المخصوصين بلطف المنزلة عنده ، وتغيّر عليه آخراً فقتله بطرا بلس عند انتقاض دولته وهربه إلى مصر أمام الشيعي في سنة ست وتسعين ومائتين ؛ وقد تقدم من خبره ومن شعره ما أغنى عن إعادته . وهو القائل أيضاً :

رأيتُ دجناً فقلت الراحُ أشبهُ بي فقمُ بنا أيها الخمورُ نصطبِحِ
فقام يمسح وجهاً كله قمرٌ ومثُ أئمهُ من شدة الفرحِ
وله :

طالعتني طوالعُ الشوقِ لما أن بدا البدرُ في مثالِ طلوعكُ
يا غزالاً أقسى من الصخرِ قلباً ليتَ قلبي يبيتُ بين ضلوعكُ
أنا أرضى أن أقبلَ نعليه لكَ على قبحِ ما بدا من صنيمكُ
وله :

إذا قلتُ : زرنى ، قال : قالوا وشنّعوا .. ترى - هكذا - من كان فينا يُصدّقُ ؟
فيا كبدي رقيّ على الكبد التي أقامت على عهد الهوى وهي تحرقُ
كأنى إذا ما الليلُ أرخى سدوله بقلبي إلى بعض النجوم مُعلقُ

أول ملوك الشيعة الناجمين في آخر هذه المائة :

٧٤ - عبيد الله الملقب بالمهدى ، أبو محمد

قال الرازي^(١) : « اختلف الناس في نسب عبيد الله . فقال قوم : هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن البصرى من مدينة سلمية . وزعم هو أنه عبيد الله ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . قال : وأخبرنا الثقة عن أبي القاسم أحمد بن إسماعيل الرسى الحسنى أنه قال : [٥ - ب] بالله الذى / لا إله إلا هو ، ما عبيد الله منا^(٢) . ولا أقول هذا لما فعل ، فقد فعل من لا يُشك في نسبه أكثر من فعله وأشنع . »

وقال أبو بكر بن الطيب الباقلانى ، وذكر عبيد الله وبنيه : هم أدياء ، إذ هم بنو عبيد الله بن ميمون القداح ، ادّعوا إلى علي بن أبي طالب ؛ وذكر لهم قصة طويلة^(٣) .

وأهل مصر يصححون نسبهم .

وذكر ابن أبي الطاهر^(٤) في « أخبار بغداد » أن اسم الخارج بالقيروان عبيد

(١) كلام الرازي عن العبديين له أهمية خاصة هنا ، ولا نعرف إن كان القائل هنا أحمد بن محمد الرازي أو ابنه عيسى بن أحمد . وعلى أى حال فهو يصور لنا الآراء التى كان يتناقلها بنو أمية الأندلسيون وأنصارهم في نسب العبديين ، وهم خصومهم سياسياً ومذهبياً . ويلاحظ أن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر كان لا يستبعد صحة انتساب عبيد الله الشيعى إلى علي بن أبي طالب ، فقد ساق ابن عذارى هذا النسب ثم قال : « وهو مذهب المستنصر بالله الأموى » . البيان المغرب : ١٥٨/١ .

(٢) نسب مثل ذلك القول إلى أبي القاسم بن طباطبا العلوى ؛ قال : « والله الذى لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعى منا ، ولا بيننا وبينه نسب » . ابن عذارى ، البيان : ١٥٨/١ .

(٣) ذكر الباقلانى ذلك في كتابه « كشف الأسرار وهتك الأستار » .

(٤) كذا ، والأصح ابن أبي طاهر ، وهو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور صاحب « تاريخ بغداد » المتوفى سنة ٨٩٣/٢٨٠ ، وكتابه هذا من أكبر المراجع التى اعتمد عليها الطبرى في تاريخه .

الله بن عبد الله بن سالم ، مولى مُكرم بن سندان الباهليّ صاحب شُرط زياد المنسوب إليه عسكر مكرم ، فانتقل عبدُ الله بن سالم إلى سلبية . وكان وكيلا للتجار ، وقيل كان يبيع الصُّنْفَر ويتشيع . فلما خرج القرمطى بالشام أضرّ به وطالبه ، فهرب إلى مصر ثم إلى المغرب ، وكان يُعرف بابن البصرى .

قال الرازى : ودخل معه — يعنى القيروان — ابنُه محمد المعروف بأبى القاسم (واختلفوا فى اسمه ونسبه ، فطائفة قالت : عبد الرحمن ابنُه ، وطائفة قالت : محمد ربيُّه) . ويقال إن عبيد الله من بنى حسن بن على ، وأن أبا القاسم القائم بعده من بنى الحسين بن على ، إسماعيلى تزوّج عبيدُ الله أمّه وهى رومية تسمى «لعب» .

وقيل فى اسم أبى القاسم عبد الرحمن ومحمد كما تقدم ، وقيل حسن ويكنى أبا جعفر . خرج به عبيدُ الله من الشام يتصدى للسلطان ، ويخاطر فى طلب الملك قاصداً المغرب ، وعبيدُ الله إذ ذاك شابٌّ عند كماله . وخرج معه خاصته وثقاتُ رجاله ، ولما انتهى إلى مصر أمّل أن يقصد اليمنَ ، ثم كره ذلك فخرج من مصر فى زى التجار ، وخلص من يد عاملها فى قصة طويلة ، وانتهى إلى سجستان^(١) فدان له المغرب واجتمعت عليه البربرُ . وزحف داعيته أبو عبد الله الشيعى بهم إلى زيادة الله الأغلبى فكسر جيشه فى سنة ست وتسعين ومائتين — حسباً ذكر قبل — فهرب زيادةُ الله إلى مصر . وبيع لعبيد الله برّ قادة يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ، وكان وصوله إليها يوم الخميس قبله ، ودُعِيَ له بالإمامة .

وفى هذه السنة انقرض مُلك بنى الأغلب بعد مائة سنة واثنى عشرة سنة .

(١) كذا فى الأصل بفتح السين الأولى ، والمشهور بكسرها ، وسترکها بضبط المخطوط

فيما يلى من النص .

[٥٥-١] ومُلكَ بنى مدرار بسجلماسة بعد مائة سنة وستين سنة ، ومُلك / بنى رُسْتَمُ بتاهرت عن مائة وثلاثين سنة .

وكثرت السعيات بأبي عبد الله الشيعي — وهو الذي مهد لملك عبيد الله وشدد سلطانه مجالداً ومجادلا — فقتله وأخاه أبا العباس يوم الثلاثاء مُستهلّ ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ، وأمر بدفنهما في بستان القصر .

ثم ابتداءً ببناء « المهديّة » يوم السبت لخمس خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وثلثمائة ، وارتاد مواضعها ؛ وقصد التحصين بها على أهل بيته لما كانوا يتحدثون به من ظهور أبي يزيد الخارج عليهم وعيئته في ملكهم ، فكان ذلك . وفي بنائها يقول بعض شعراء إفريقية :

خُطَّتْ بأرجاء المغربِ دارُ دانت لها الأمصارُ والأقطارُ
لانت ببردِ الماءِ لما أيقنت أن القلوبَ على الحسينِ حرارُ

وكان انتقالُ عبيدِ الله إليها في شوال سنة ثمان وثلثمائة ، بعد أن ملك إفريقية وأعمال المغربِ وطرابلسَ وبرقةَ وصقليةَ .

وسيرَ وليّ عهده أبا القاسم إلى مصر دفعتين : الأولى في سنة إحدى وثلثمائة ، فملك الإسكندريةَ والقيومَ وجبى خراجهما وخراج بعض أعمال الصعيد ، وعاد إلى المغرب في سنة اثنتين وثلثمائة ؛ والثانية سنة ست وثلثمائة ، فملك الإسكندريةَ أيضاً .

ولم يزل سلطانه يتمهد ، وظهوره يتزايد ، إلى أن توفى منتصفَ شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . فكانت ولايته — منذ وصل إلى رقادة وبويع بها ، إلى يوم وفاته — أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً . وقيل : كانت خلافته — من يوم ظهوره بسجلماسة في أول ذي الحجة سنة ست وتسعين

ومائتين وفيها سُلِّمَ عليه بالخلافة ، إلى يوم وفاته بالمهدية — خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وهو ابن اثنتين وستين سنة . مولده سَلَمِيَّة — وقيل ببغداد — سنة ستين ومائتين . ومولد أبي القاسم ابنه سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ثمانين .

وكان ، مع نبذته وشهامته ، مفوّهاً فصيحاً عالماً أديباً . قال أبو عبيد البكري : لما تغلب عبيدُ الله الشيعي ، كتب إلى أهل المغرب يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدبُّر بإمامته ، وكتب بمثل ذلك إلى سعيد بن صالح^(١) ، وكان والياً على نَكُور^(٢) وما إليها من أعمال المغرب / لبني مروان ؛ وكتب في أسفل [٥٥ - ب] كتابه أبياتاً كثيرة ، منها :

(١) راجع عن تاريخ سعيد بن صالح هذا ونسبه وتاريخ بني صالح أمراء نكور البيان المغرب لابن عذارى : ١٧٦/١ - ١٨١ .

(٢) نكور مدينة كانت في شمال المغرب على نحو عشرة كيلومترات جنوب الحسيمة الحالية إلى الشرق يسيراً ، ولم يبق من آثارها اليوم إلا أطلال قليلة ، وهي واقعة في إقليم صنهاجة الريف على السفح الشمالي لجبال الريف . وقد أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور في أواخر القرن الهجري الأول . وفي سنة ٢٤٤/٨٥٨ - ٨٥٩ نزل بها النرمان - الذين تسميهم النصوص الجوس - وانتهبوا ما فيها . وفي سنة ٤٧٣/١٠٨٠ - ١٠٨١ خربها يوسف بن تاشفين . وقد أجريت بها حفريات سنة ١٩٥٩ .

انظر : أحمد المكناسي : « المدن المنبرسة في شمال المغرب » .

وكتب المكناسي كذلك بحثاً قصيراً عن أطلالها وما قام به من الحفائر فيها في سنة ١٩٥٩ ، ونشر نتيجة بحثه في دراسة في مجلة تمودة تحت عنوان :

Reconocimientos Arqueológicos en el Rif, Tamuda, ano VII, Tetuán 1959
Jasc. I, II, p. 156-158 .

وانظر : خريطة المغرب الأركيولوجية ، لنفس المؤلف (تطوان ١٩٦١) ص ٢٤ .
وقد تحدث عنها البكري والإدريسي ، أنظر فهرس الأعلام في كل منهما .

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلاً
وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم وأدخلها عفواً وأماؤها عدلاً
قال : فأجابه رجل من شعراء الأندلس من أهل طَلَيْطَلَة يعرف بالأخْمَش ،
أمره سعيد بن صالح بذلك :

كذبت ، وبيت الله ، لا تحسنُ العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصلا
وما أنت إلا جاهل ومناققُ تمثّلُ للجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى^(١)
وكان عبید الله إذا رأى ابنه أبا القاسم ونظر إليه فسُرَّ به يقول :
مباركُ الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين

٧٥ - أبو عبد الله الشيعي

داعية عيد الله المهدي

كان - مع قوّده الجيوش وخوضه الحروب - عالماً أديباً شاعراً . وهو
الذي حارب جيش زيادة الله بن الأغلب وهزمه ، نائباً عن عبید الله وناصرأ
لمذهبه وداعياً إلى دعوته . وزحف إلى القيروان ونازلها ، ومها جمهور أجناد
إفريقية ، فدخلها واستولى على رقاداة - دار ملك الأغالبة حينئذ - وعلى
أعمال إفريقية .

(١) روى ابن عذاري في البيان المغرب (١٧٨/١) هذه الأبيات مع خلاف في الألفاظ .

وقد ورد لفظ الجلالة الوارد في البيت الأول : الإله ، ولا يستقيم به الوزن ، فصوبناه

على رواية البيان المغرب .

وقدم عبيدُ الله بعد ذلك من سَجَلَمَاسَةَ ، فبُويع له وَقَوِيَ أمرُهُ واشتد سلطانُهُ ، ولم يلبث أن قتله وأخاه أبا العباس - وكان أكبرَ منه ، كما تقدم وصفُ ذلك - تولى قتلَهما عَرُوبَةُ السَكْتَامِيِّ^(١) ، ثم قُتِلَ عَرُوبَةُ هذا منافقاً واستُوصل أهلُ بيته في أيام عبيد الله . وأبو عبد الله الشيعي هو القائل بعد إيقاعه بجيش بني الأغلِب :

من كان مغتبطاً بآبِنِ حَشِيَّةٍ فَحَشِيَّتِي وَأَرِيكَتِي سَرَجِي
من كان يعجبه ويهجه نَقْرُ الدَّفُوفِ وَرِنَةُ الصَّنَجِ
فأنا الذي لا شيء يُعْجِبُنِي^(٢) إِلَّا اقْتَحَمِي لِحَاةَ الرَّهْجِ

/ سل عن خميسي إذ طلعتُ به يوم الخميس ضحى على الفج [١٠٥٦]

البيت الأول من هذه القطعة كقول امرئ القيس :

يَارُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ حَبَالَهَا وَهَشَيْتُ مَتْنَدًا عَلَى رِسْلِي

وأبيات القصيدة كلها على خلاف ذلك . وكقول الآخر ، ويستشهد

به العروضيون :

(١) هو عروبة بن يوسف الملوسي الكتامي ، كان من رجال أبي عبد الله الشيعي واشترك معه في معظم غزواته ، ولكنه كان يحسده ويحسد أخاه أبا العباس المخطوم ، فظل يسعى بهما ، مع نفر آخر من رجال كتامة حتى حفزا عبيد الله على قتلها . وقد اشترك في قتلها مع عروبة جبر بن ثُمَّاسِبِ الميلي . ولم يقدم عبيد الله على قتلها إلا بعد أن تخلص من نصيرها الأكبر بين شيوخ كتامة وهو أبوزاك تمام بن معارك الأجانى : أمر واليه على طرابلس فقتله .

(٢) الأصل : « فأنا الذي يعجبه ولا شيء يعجبني » مع إشارة فوق « يعجبه » فهت منها بعد لآي أنها مشطوبة ، وكذلك الواو التي تليها .

بالله أبي محمد الحسن ، بلغ في ولايته سبعاً وأربعين سنة ، وبويع له في [ذى]
العدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة^(١) .

وقرأت في كتاب أبي الحسين بن أبي السرور الروحي الإسكندري في أخبار
[٥٦ - ٥٦] ملوك العبيدية^(٢) / أن المستنصر بالله أبا تميم معد بن علي بن الظاهر بن الحاكم
بلغ في ولايته بمصر ستين سنة وأشهرًا ، فأرنب على هؤلاء الخلفاء .

وتسمّى الناصرُ عبدُ الرحمن بن محمد بأمر المؤمنين بعد سنين من خلافته ،
لما ضعف سلطانُ العباسية بالشرق ، وغلبت عليهم الأتراك ، وادعت الشيعةُ
ماشاءت بإفريقية ، وساعدتهم عليه قبائلُ البربر وأصبح الناس في الآفاق فوضى ؛
وكان من قبله من آباءه يُدعون بالأمراء .

وظهرَ لأول ولايته من يُمن طائره ، وسعادة جده ، واتساع ملكه ، وقوة
سلطانه ، وإقبال دولته ، وخمود نار الفتنة — على اضطرامها بكل جهة —

(١) إليك تواريخ حكم أولئك العباسيين الثلاثة الذين يكادون يضاهون عبد الرحمن الناصر
في طول المدة :

- أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق المقتدر : ١٩ رجب ٣٨١ - ١٠ ذى الحجة ٤٢٢ .
- أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر : ١١ ذى حجة ٤٢٢ - ١٣ شعبان ٤٦٧ .
- أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء : ٢ ذىعدة ٥٧٥ - ٣٠ رمضان ٦٢٢ .
- (٢) كذا ورد اسم الكتاب ومؤلفه ، ولم أعر على ما يزيدنا معرفة بهذا المؤلف وكتابه .
ولدينا في تاريخ الفاطميين بهذا الاسم كتاب « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » لأبي الحسن علي بن
حماد الصنهاجي المتوفى عام ٦٢٨/١٢٣١ ، وله كتاب آخر هو « النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة » .
وقد نشر فوندرهايدن كتاب أبي الحسن علي بن حماد في أخبار العبيديين سنة ١٩٢٧ في باريس
مع ترجمة فرنسية ، وأخطأ فجعل اسمه ابن حماد . ولا ينبغي الخلط بين هذا المؤلف وأبي عبد الله
محمد بن حماد البرنسي السبتي ، وهو من أهل القرن السادس الهجري ، ومن تلاميذ القاضي
عياض ، وله كتاب « المقتبس في مفاخر المغرب والأندلس » .

انظر مقال ليثي بروفنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب لعبيد الله بن صالح بن عبدالحليم .
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ . ص ٢٠٥ .

واقبياد العصاة لطاعته ، ما تعجز عن تصوره الأوهام ، وتكل في تحبيره الأرقام .
وقيض له من ابنه وولي عهده الحكم المستنصر بالله ، المدعو بأمير المؤمنين بعده ،
من زان ملكه ، وزاد في أبيته ، وقام بأمره أحسن قيام ؛ فكل جلاله ،
وجل كماله .

وكان الناصرُ - على علاء جانبه واستيلاء هيئته - يرتاح للشعر وينبسط
إلى أهله ، ويراجع من خاطبه به من خاصته .

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الحداثق » : حدثني
أبو بكر إسماعيل بن بدر^(١) ، أنه خاطب أمير المؤمنين الناصر لدين الله
عبد الرحمن بن محمد ، رحمه الله ، في غزاة كان آلى ألا يأنس فيها بمنادمة أحد
حتى يفتح معقلا ، فافتح معقلا بعد آخر ، وتمادى على عزمه في العزوف عن
المنادمة ، فذكر أنه كتب إليه :

لقد حَلَّتْ مُحْيَا الرَّاحِ عِنْدِي وَطَابَتْ بَعْدَ فَتْحِكَ مَعْقَلِينَ
وَأَذْنَ كُلِّ هَمٍّ بِانْفِرَاجٍ وَأَنْ يَقْضَى غَرِيمٌ كُلَّ دَيْنٍ
قال : فلم يحركه ما خاطبته به ، فعاودته بالمخاطبة فقلت :

يَا مَلِكًا رَأَيْهِ ضِيَاءٌ فِي كُلِّ خُطْبٍ أَلَمَّ دَاجٍ
مَنْ لِي بِيَوْمٍ بِهِ فِرَاقٌ لَيْسَ أَخُو حَرْبِهِ بِنَاجٍ

(١) ذكره ابن الفرضي (رقم ٢١٤ ج ١ ص ٦٢) : إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد
مولى نعمة لبني أمية . من أهل قرطبة ، يكنى أبا بكر . وبعد أن ذكر شيوخه قال : إلا أن
صناعة الشعر غلبت عليه وطارت باسمه وكانت ألصق به . وطال عمره إلى أن سمع بعض الناس
منه وتسهلوا فيه . وولي أحكام السوق ، فحمد أمره فيها ، وتوفى في أول ولاية المستنصر بالله
سنة ٣٥١ .

وذكره أيضاً الفسبي (رقم ٥٤٣ ص ٢١٥) وقال إنه كان أثيراً عند عبد الرحمن الناصر ،
م أورد له بضعة أبيات رواها له أبو محمد علي بن أحمد بن حزم .

بكل بيضاء من رآها يحسبها شملة السراج -
لا تنس مولاك في وغان واذكره في حومة الهياج -
[٥٧-١] / فذكر أنه جاوبه بقوله :

كيف وأنى لمن يفاجي من لوعة الهم ما أناجي
يطمع أن يستريح وقتاً أو يقتل الراح بالمزاج ؟
لو حُمل الصخرُ بعض شجوى عاد إلى رقة الزجاج -
كنت لما قد علمت الهوى لَ إذ أنا مما شكوتُ ناج -
فصرتُ للبين في علاج طمَّ وأرَبى على العلاج -
الوردُ مما يهيج حُزنى ويبعث السوسنُ احتياجي
أرى ليالى بعدَ حُسنٍ أقبحَ من أوجهِ سماج -
لا ترَجُ مما أردتَ شيئاً أو يؤذن الهمُّ بانفراج -

٧٧ - ابنه الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله ، أبو العاصي

وَلَى بعده الخلافة وهو ابن سبع وأربعين سنة - وقيل ابن ثمان وأربعين سنة - وشهرين ويومين ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من رمضان سنة خمسين وثلاثمائة ، وتوفى لليلتين خلتا من صفر سنة ست وستين ، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام ؛ استغرقت خلافة أبيه الطويلة عمره ، حتى كان يقول له فيما يُحكى عنه : « لقد طوّأنا عليك يا أبا العاصي ! » وكان حسن السيرة فاضلاً عادلاً مشغولاً بالعلوم ، حريصاً على اقتناء دواوينها ، يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان ، ويبدل في أعلاتها ودقاترها أنفس

الأثمان . ونفق ذلك لديه ، فحُمِلت من كل جهة إليه ، والمَلِكُ سوقٌ ، ما نفق فيها جُلب إليها ، حتى غصَّت بها بيوتُه ، وضائق عنها خزائنه .

قال ابن حَيَّان عند ذِكْرِ الحَكَمِ : كان من أهل الدين والعلم ، راغباً في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ، باحثاً عن الأنساب ، حريصاً على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درسَ نُسبُه أو جَهَلَه بقبيلته التي هو منها ، مستجلباً للعلماء ورُواة / الخُديث من جميع الآفاق ، يشاهد مجالس العلماء ويسمع [٥٧ - ب] مهم ويروى عنهم .

وكان أخوه عبدالله - المعروف بالولد^(١) - على مثل هذه الحال من المحبة في العلم والعلماء والرواية ، وتوفي في حياة أبيه مقتولاً فتصيرت كتبه إلى أخيه الحَكَمِ .

ولم يُسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحَكَمِ في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها . أفاء على العلم ، ونوّه بأهله ، ورغّب الناس في طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه ، ومنهم أبو إسحاق محمد ابن القاسم بن شعبان^(٢) بمصر ، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما ؛ جرى ذِكْرُ هذا في كُتُب تواريخهم .

وبعث إلى أبي الفرج الأصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عيناً ذهباً ، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني ، وما لأحد مثله ،

(١) الولد هنا مصطلح أندلسي لا يطلق إلا على الأمراء ، وكثيراً ما يختص به ولي العهد .
 (٢) كبير فقهاء المالكية في مصر في أواخر العصر الإخشيدى ، وأصله أندلسي من فرطبة ، وقد أرسل إليه عبد الرحمن الناصر عشرة آلاف دينار ليفرقها في شيوخ المالكية ، فأخرج الإخشيد مثلها (كما يقول ابن الزيات في الكواكب السيارة) ليفرقها في شيوخ الشافعية . وكان يرجو الله أن يميته قبل دخول الفاطميين مصر ، فمات قبل ذلك بثلاث سنوات .

ووصل بذلك المال رَحِمَهُ ، إذ كان قسيمه في المروانية ، ومن ولد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالمشرق ، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ، أو ينسخه أحد منهم .

وألف له أيضاً أنساب قومه بني أمية موشحةً بمناقبهم وأسماء رجالهم ، فأحسن فيه جدا ، وخلد لهم مجداً . وأرسل به إلى قرطبة وأنفذ معه قصيدة حسنة من شعره — وكان محسناً — يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية ونفخهم على سائر قريش ، فجدد له عليه الصلة الجزيلة .

وكان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التوايف ، ورجالٌ يوجههم إلى الآفاق عنها^(١) . ومن وراقيه بينداد محمد بن طرخان ، ومن أهل المشرق والأندلس جماعة . وكان مع هذا كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها ، وقلما تجد له كتاباً كان في خزائنه إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم : يقرؤه ويكتب فيه بخطه — إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه — نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به ، ويذكر أنساب الرواة له ، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده ، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن . وكان موثقاً به مأموناً عليه . صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ، ينقلونه من خطه ويحاضرون به .

[٥٨ - ١] قلت : وقد اجتمع لي من ذلك جزء مفيد مما وُجد بخطه ، ووجدت أنه يشتمل على فوائد جمة في أنواع شتى .

قال^(٢) : وكان قد قيّد كثيراً من أنساب أهل بلده ، وكلف أهل كُور الأندلس أن يُلحِقوا كل عربيٍّ أُخيلَ ذِكرُهُ قبل ولايته ، وأن يصحَّح

(١) هنا يحسن أن تقرأ : باحثين عنها .

(٢) يستمر ابن الأبار في الرواية عن ابن حيان .

نسبهم أهل المعرفة بذلك ، ويؤلف من الكتب^(١) ، ويُرَدُّ كل ذي نسب إلى نسبه ، وفرج ذلك بالعلم فتم له من ذلك ما أراد ، ونفع الله بكرم قصده البلاد والعباد .

وقال أبو محمد بن حزم في « كتاب جمهرة الأنساب » من تأليفه ، وذكر الحَكَمَ : اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوء وعلو . وكان رفيقاً بالرعية ، محباً في العلم ، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم . وأخبرني « تليد »^(٢) الفتي — وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس — أن عدد النهارس التي كانت [فيها] تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط .

قال : ولم يعقب إلا هشاماً الوالي بعده ، وقد انقرض ولا عقب له ولا لأبيه^(٣) . وذكر الحميدى في تاريخه أن الحَكَمَ رام قطع الخمر من الأندلس ، فأمر بإراقتها وتشدد في ذلك ، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله ، فقبل إنهم يعملونها من التين وغيره ، فتوقف عن ذلك .

ومن شعره :

عجبتُ ، وقد ودعتها ، كيف لم أمتُ وكيف اثنيتُ عند الفراقِ يدي معي
فياملتي العبري عليها اسكبي دماً ويا كبدي الحرّي عليها تقطمي

(١) المراد أن الحكم المستنصر أمر أن تصحح أنساب الناس وتكتب بحسب ما في كتب الأنساب

(٢) في جمهرة الأنساب لابن حزم (تحقيق ليثي بروفنسال) : تأييد الفتي (ص ٩٢)

وهذه العبارة كلها واردة عنده .

(٣) عبارة ابن حزم (الجمهرة ص ٩٢) : فأما الحكم المستنصر فلم يعقب إلا هشاماً

الوالي بعده ، ولي الأمر وهو ابن أحد عشر عاماً . وكان متغلباً عليه ، لا أمر له ولا نهي ، تلقب بالمؤيد ، ومُخلع المرة بعد المرة ، وقد انقرض ، ولا عقب له .

وكان الحكم قد أنجب قبل هشام غلاماً سماه عبد الرحمن ولد سنة ٩٦٢/٣٥١ ،

ومات طفلاً .

قال ابن حَيَّان : وعلى إطباقِ أهلِ وقته في نَزارةِ جَنَى أدبه ، فقد أنشدني
الفقيه أبو علي الحسن بن أيوب الحداد^(١) له بيتي شعر ارتجلهما يوم ودَّعته حظيته
أم هشام ، لما خرج لغزوته الفذة المعروفة بِشَنْتِ اشْتِيَيْنِ^(٢) ، فأكثر من
التعلق به والوآه لفراقه ، وكان شديد الكلف بها ، وذكر البيتين . قلت :
وقد قرأتُ في ما يُروى لمِهيَّار الدَّيْلَجِيِّ :

ومن عجبٍ أني أحزنُ إليهمُ وأسألُ شوقاً عنهمُ ، وهمُ معي
وتبكي دماً عيني ، وهمُ في سوادها ويشكو الهوى قلبي ، وهم بين أضلعي
/ قيامتاتي العَبْرَى أفيضي عليهمُ ويا كبدي الحَرَمَى عليهمُ تقطعي

[٥٨ - ب]

فلا أدري : أوافقَ الحكمَ في بيته الأخير أم سرقه وغيره كما ترى ؟

وقال أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي (المعروف بالاشتركوني^(٣)) ، صاحب

(١) ذكره ابن بشكوال في «صلته» (رقم ٣٠٦ - ١٣٦/١ - ١٣٧) : الحسن
ابن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصاري ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا علي ، ويعرف بالحداد .
ويعد أن ذكر شيوخته قال : وجمع مسائله في أربعة أجزاء . روى عنه جماعة من كبار العلماء
منهم أبو عمر بن مهدي ، وقال : كان من أهل العلم بالمسائل والحديث ، مقدماً في الشورى على
جميع أصحابه لسنه ، راوية للحديث واللغات ، وافر الحظ من الأدب ، حسن الشعر في الزهد
والرثاء وشبهه ، ذا دين وفضل . ولد في المحرم سنة ٣٣٨ ، وتوفي ودفن ضحوة يوم السبت
خلف باب القنطرة في رمضان سنة ٤٢٥ .

(٢) رسم الاسم هنا دقيق ، لأنه بالإفرنجية San Estéban ، وفي إسبانيا أكثر من
موضع بهذا الاسم ، ولكن المراد هنا San Estéban del Mall قرية صغيرة في مديرية
وشقة Huesca تابعة لمركز Benavarre . وكانت غزوة شنت اشْتِيَيْن سنة ٣٥٢ /
٩٦٣ ولم يكن هشام قد ولد بعد . وأم هشام المذكورة هنا هي صبح البشكنسية .

(٣) هذه الأبيات لا وجود لها في ديوان مهيَّار .

(٤) ترجم له ابن بشكوال في الصلة (رقم ١١٧٥ ج ٢ ص ٥٣٩) ولم يذكر نسبه .
هذه ، وإنما اكتفى بقوله : محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي من أهل سرقسطة ، سكن قرطبة ،
يكنى أبا الطاهر . وبعد أن ذكر شيوخته قال : وكان مقدماً في اللغة والعربية ، شاعراً محسناً ، =

« المقامات اللزومية » ، في ما جمع من شعر أبي بكر بن عمار وزير بني عباد) :
« ومما ينسب إليه . . . » ، وذكر البيتين :

* « ومن عجبى أنى أحسن إليهم » *

والذى بعده ، لم يزد عليهما .

وقرأت في « كتاب الحقائق » لابن فرج قوله — بعد إيراده جملة من أشعار الخلفاء الأموية — : « وهم يجلون عن الشعر أقدارهم ، كما يرتفعون عن أن يروى عنهم أو يؤخذ من أقوالهم ، وإنما ينبسطون به في سرائرهم فليس يظهر عليهم منه إلا الشاذ القليل ؛ ولعل ما سقط عنا أفضل مما سقط إلينا . فأما أمير المؤمنين المستنصر بالله — أطال الله بقاءه — فهو فوق أن يعلن به أو ينشر اسمه عليه ، ولعل له منه ما لا نعرفه ، فأما الأدوات التي يقال بها ، بل التي يحتاج كل علم إليها ، فهي معه بأزيد مما كانت لأحد قبله أو تكون لأحد بعده » .

وهذا الذى قال غير مسلم له ولا مقبول منه ، بل إكثار الملوك من الشعر دالٌّ على قوة عارضتهم وسعة ذرعهم ، وحاكم بمعاينة مادتهم وتمكن تصرفهم ، ولولا ذلك لما فضل ابن المعتز أهل بيته بالإبداع في أنواع القريض ، وكذلك تميم بن المعز المتقيل أثره في الإكثار ، والإتيان بما قيّد وخلد من بدائع الأشعار . ولا أبلغ من الاحتجاج ، وأقطع للخصم المتناهى اللجاج ، مما هو عليه مولانا من تحبير الغرائب ، وتسمير الكلم الغر أثناء المشارق والمغارب ، وهو البرهان على رحب المجال ، وتحصيل أسباب الفضل وأشتات الكمال ، لا زال سلطانه يُبَخَع له بالطاعة ويُدان ، وزمانه يُشْرِق بمحاسنه الباهرة ويزدان .

= وله مقامات من تأليفه أخذت عنه واستحسننت . توفى في قرطبة في جادى الأولى من سنة ٥٣٨ هـ .
واشتركونه Estercuel وتكتب أيضاً اشترقونة ، مدينة في مديرية تيروال Teruel في إسبانيا ، وتبعد عن القاعدة بمائة وعشرين كيلومتراً ، وهي تابعة لمركز Aliaga الإدارى ،
وهي مرتفعة تقوم على سفح جبل سانتا آنا Pena de Santa Ana

٧٨ - عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد

قتله أبوه عبد الرحمن لمنافسته أخاه الحَكَمَ ولياً بعده ؛ وكان من نجباء أولاد الخلفاء ، محباً في العلم والعلماء ، سمع من جملة منهم ، وحدث في اللف عنهم . وله تواليف تدل على علمه وفهمه ، وتشهد بشرف ذاته وكال أدواته ، منها [٥٩ - ١] « كتاب العليل والقتيل في أخبار ولدِ العباس » انتهى به إلى خلافة الرازي / ابن المقدر ؛ ومنها « المسكنة في فضائل بقي بن مخلد » . قال أبو محمد بن حزم : كان فقيها شافهياً شاعراً أخبارياً متنسكاً ؛ ومن شعره :

أما فؤادي فكاتمٌ ألهُ لو لم يبيحْ ناظري بما كتته
ما أوضحَ السقمَ في ملاحظ منْ يهوى ، وإن كان كاتماً سقمته
ظلتُ أبكى ، وظلَّ يعدُّني منْ لم يقاسِ الهوى ولا علمه
إليك عن عاشقٍ بكى أسفاً حبيبته في الهوى وإن ظلمته
ظلتُ جيوشُ الأسي تقائلهُ مذ نذرتُ أعينُ الملاحِ دمه

وحكى أبو عمر بن عفيف^(١) في تاريخه الذي هدبه ابن حيان واتخبه ، قال : وكان الأمير الحَكَم بن الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين ، وأخوه عبد الله هذا ، يتباريان في طلب العلم ، ويتناغيان في جمعه ، ويتبادران إلى اصطناع أهله واختصاص رجاله وإدناء منازلهم والإحسان إليهم . فكان ابن عبد البر

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف بن مَرْيُول بن حاتم بن عبد الله الأموي (٣٠٨ - ٩٥٩/٤٢٠ - ١٠٢٩) ، ترجم له ابن بشكوال في « الصلة » (رقم ٧٣) وذكر مؤلفاته وفضائله ، وقد نقلنا هذه الترجمة في كتابنا « تاريخ الفكر الأندلسي » الذي ترجمناه عن آنخل جنزالد بالثيا (ص ٤٢٣) . وأشرنا إلى اعتماد ابن حيان في تأليف تاريخه على كتاب لابن عفيف في التاريخ لم يذكره ابن بشكوال (ص ٢٠٨) .

— يعني أحمد بن محمد ، صاحب التاريخ^(١) — ممن تميز في حزب عبد الله واختص به حتى لا يكاد يفارقه ، فسعى إلى الخليفة الناصر لدين الله بابنه عبد الله هذا ، ورفّع عليه أنه يريد خلعه ويدعو إلى القيام معه ، وأن جماعات من طبقات الناس دخلوا في ذلك معه ، وأنهم على أن يثوروا به في يومٍ عبدٍ قد اقترب إليه . فأرسل الناصر في الليل بمن قبض على ولده عبد الله وحبسه ، فألقى عنده في تلك الليلة هذا الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر وفقهياً آخر من أصحابه يعرف بصاحب الوردة — وهو أحمد بن عبد الله بن العطار^(٢) — كانا بائنين عنده ، فأخذنا وحملنا إلى الزهراء حاضرة أمير المؤمنين الناصر بأسفل قرطبة ، فأمر بسجنهما وعرف الوزراء بخبر ولده عبد الله ، وكشف لهم عظيم ما أراد أن يحدثه عليه وعلى المسلمين فيه وتبراً منه . وأعلمهم بمسارعتهم إلى القبض عليه ، ووجدان رسوله هذين الفقيهين النطفيين^(٣) بائنين عنده وقال لهم : « ما أعجب إلا من مكان ابن العطار عنده ! ما الذي أدخله في هذا مع غياوته وقلة شره ؟ وأما ابن عبد البر فأنا أعلم أنه

(١) أحمد بن محمد بن عبد البر فقيه ومؤرخ معاصر لعبد الرحمن الناصر ، وهو غير أبي عمر يوسف بن عبد البر النري . ترجم له ابن الفرضي (رقم ١٢٠ ج ١ ص ٣٧) وذكر في مقدمة « تاريخ علماء قرطبة » أنه نقل عنه كثيراً في كتابه . وقد سمع ابن عبد البر هذا من أجلاء شيوخ قرطبة من أمثال ابن لبابة وأسلم بن عبد العزيز وقاسم بن أصبغ ، وكان فقيهاً نبيلاً متصرفاً في فنون العلم ، وكان علم الحديث أغلب عليه ، وله كتاب مؤلف في « الفقهاء بقرطبة » وهو الذي استعان به ابن الفرضي في تأليف كتابه . وقال ابن الفرضي أنه توفي في السجن الليلتين بقيتا من رمضان سنة ٣٣٨ ، أخبرني بذلك المعيطي . وقال الرازي : توفي يوم الخميس ليلة بقيت من رمضان في السجن . غمص في قصة العاق عبد الله بن الناصر .

(٢) أحمد بن عبد الله بن سعيد الأموي ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن العطار ، ويقال له صاحب الوردة ، يكنى أبا عمر ، حدث عن محمد بن وضاح وغيره . توفي في شوال سنة ٣٤٥ (ابن الفرضي ، رقم ١٥٨ ج ١/٤٦) .

ويفهم من هذا أن عبد الرحمن الناصر عفا عنه ، لاستبعاده أن يكون له ضلع في المؤامرة ، إذ أنه توفي بعدها بسبع سنوات .

(٣) نطف : آثم بريية ، تلتخ بعيب ، فسد ، بشم من أكل ونحوه .

[٥٩ - ب] الذي زَيْنَ لهذا العاق^(١) ذلك ليكون قاضي الجماعة / ويأبى الله ذلك ، فهناؤه بالسلامة ودعوا الله له . وعزم الناصر على أن يعاقب ابن عبد البر يوم العيد — عيد الأضحى — الذي كان التدبير عليه فيه ، فأصبح ابن عبد البر يوم العيد نفسه ميتاً في السجن ، وأسلم إلى أهله فدُفِنَ بمقبرة الرِّبَاض ؛ وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

٧٩ — عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ، أبو الأصمغ

كان أديباً شاعراً ، ظهرت منه نجابة في صغره . وحكى أن أول لوح كتبه عند دخوله الكتاب بعث به إلى أخيه الحكم المستنصر ، وكتب إليه من شعره :

هاك يا مولاي خطاً مطهً في اللوح مطاً
ابن سبيع في سنيه لم يطق للوح ضبطاً
دمت يا مولاي حتى يؤلد^(٢) ابن ابنك سبطاً

٨٠ — محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

هو والد الخليفين في الفتنة : أبي المطرف عبد الرحمن الملقب بالمرتضى ،

(١) هذه الكلمة واردة في الأصل واضحة هكذا . ولكن دوزي جعلها العلق (ص ١٠٦) هون مبرر . وقد جعل كوديرا الكلمة : العاق !

(٢) الأصح هنا أن يقال : « يلد ابن ابنك سبطاً » ، لأن الشطر كما هو في الأصل يعني أن الذي سيولد سيكون حفيداً للحكم المستنصر ، أما على اقتراحنا فإن المولود سيكون ابن حفيد الحكم ، أي سبطه . ويمكن أن تقرأ أيضاً سبطاً بفتح السين ، والمراد فارها .

وأبي بكر هشام الملقب بالمعتد ، آخر خلفاء بني أمية بالأندلس ؛ على رحيله^(١) انقضوا فلم يعد ملكهم إلى اليوم . ولى في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، وكان أسن من أخيه المرتضى بأربعة أعوام ، مولده في سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وأقام في خلافته متردداً بالثغور ثلاثة أعوام إلا شهرين ، ودخل قرطبة يوم منى ثامن ذى الحجة سنة عشرين ، لم يبق إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقة من الجند فخلع . وانقطعت الدعوة الأموية من يومئذ ، واستولى على قرطبة أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الوزير ، ثم ابنه أبو الوليد محمد بن جهور . ومن شعر محمد بن عبد الملك قوله يفتخر :

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحال أودارت علينا الدوائر ؟
إذا ولد المولود منّا تهلت له الأرض واهتزت إليه المناير

/ وقد أنشد أبو منصور النعماني في « اليتيمة » من تأليفه هذا الشعر ونسبه [٦٠ - ١] إلى الحكم المستنصر بالله ، وزعم أن ذلك من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر

(١) في الأصل : رحله ، ومعناها على إثره أو بعده ، والمعروف أن هشام المعتد - أو هشام الثالث - آخر خلفاء بني أمية في الأندلس أعلن خليفة في ربيع الثاني ٤١٨ / يونيو ١٠٢٧ . وكان يعيش منذ مقتل أخيه عبد الرحمن الرابع الملقب بالمرتضى حياة خول في حمية عبد الله بن قاسم النهري صاحب البونت Ajpuente شمالي غربي بلنسية ، ولم يدخل هشام قرطبة إلا بعد عامين في ٨ ذى حجة ٤٢٠ / ١٨ ديسمبر ١٠٢٩ واستوزر رجلاً يسمى حكم بن سعيد ، ولم يستقم أمره ، إذ ظلت الفتنة ضاربة أطنابها ، وقام عليه ينافسه أمير أموى آخر يسمى أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان ، ولكن هذا الأخير قتل في ١٢ ذى حجة ٤٢٢ / ٣٠ نوفمبر ١٠٣١ ، وعلى إثر ذلك قرر أبو الحزم بن جهور مع رؤساء قرطبة إخراج بقية الأمويين من البلد والمناداة بنهاية حكمهم فيه . وكان هشام المعتد وسط هذه الفوضى قد لجأ إلى بيت ملحق بالجامع واختبأ فيه مع بعض عياله ، وقضوا ليلتهم الأخيرة في عاصمة أجدادهم في ظلام لا تضئته إلا شمعاً متهافتة ، وفي الصباح رحل عن قرطبة مع أهله ، واحتوى بعض الوقت في حصن قديم ، وانتهى إلى لاردة حيث قضى بقية أيامه في كتف سليمان ابن هود .

يفتخر . وهذا من أغلاط أبي منصور وأوهامه الفاحشة : حكى — لُبعد مكانه — ما لم يحقق ، وروى عن لا علم له بشأه ما لم يضبط . ومثل هذا النظم الفائق لم يكن ليغيب عن ابن فرج صاحب « كتاب الخدائق » ، و [لم يكن ليغيب]^(١) أيضاً. عن أبي سروان بن حَيَّان — جُهينة أخبار الرواية ومؤرخ آثارها السلطانية — فكيف يضح ذلك [والأول منهما]^(٢) كما تقدم ينفي عنه الشعر ، والآخِرُ يثبت له منه النثر ؟ على أن محمداً هذا المنسوب إليه ليس في أدباء أهل بيته بمشهور ؛ وعلى كل حال فلا معنى للفظ أبي منصور .

٨١ — عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر

ويعرف بابن القرشية

كان من ذوى القعدة في بني سروان ؛ وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذى اشتهرت معرفته بـ « ابن القرشية » ، لأن أمه فاطمة بنت الأمير أبي الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن^(٣) ، حظيت بنكاح الناصر عبد الرحمن بن محمد وولدت له ابنه المنذر فسمته باسم أبيها ، فولد عبد العزيز هذا ، وكان له حظ وافر من الأدب وحسن الشعر . ذكره أبو الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بحبيب العامرى في كتابه « البديع في فصل الربيع » ، وأنشد له في البهار ، قال — وهو من التشبيهات العقم :

(١) أضفت هذه العبارة للسياق .

(٢) أضفت هذه العبارة أيضاً للسياق ، والأول منهما هو ابن فرج ، وقد سبق أن روى له ابن الأبار عبارة ينزه الحكم فيها عن قول الشعر .

(٣) المراد عبد الرحمن الأوسط .

كَانَ الثَّرَى سِتْرًا تَمَدُّ خِلَالَهُ بِأَكْوَامٍ رَاحٍ رَاحَةً الْكَوَاعِبُ
يُسْتَرُّنَ مِنْ فِرطِ الْحَيَاءِ مَعَاصِمًا بِأَكْهَانِ الْخَضِرِ عَمَّنِ يَر_اقِبُ^(١)
وَأَنشَدَ لِأَبِي عَمْرِو يَوْسُفَ بْنَ هَارُونَ الرَّمَادِي مِنْ قَصِيدَةِ أُمَامَى^(٢) فِيهَا ،
يَمْدَحُ ابْنَ الْقُرَشِيَّةِ هَذَا وَيَصِفُ أَزْهَارَ الرَّبِيعِ :

تَأْمَلُ بِإِثْرِ الْغَيْمِ مِنْ زَهْرَةِ الثَّرَى حَيَاةَ عَيُونٍ مُتَنِّ قَبْلَ التَّنْعَمِ^(٣)
كَانَ الرَّبِيعَ الطَّلُقَ أَقْبَلَ مَهْدِيًّا بِطَلْمَةِ مَعْشُوقٍ إِلَى عَيْنِ مَغْرَمِ
تَعَجَّبْتُ مِنْ غَوْصِ الْحَيَاةِ فِي حَشَا الثَّرَى قَافَشَى الَّذِي فِيهِ وَلَمْ يَتَكَلَّمِ^(٤)
/ كَانَ الَّذِي يُسْقَى الثَّرَى صِرْفُ قَهْوَةٍ تَنَّمُ عَلَيْهِ بِالضَّمِيرِ الْمَكْتَمِ [٦٠ - ب]
أَرَى حَسَنًا فِي صَفْحَةٍ قَدْ تَغَيَّرَتْ كَبِشْرٍ بَدَأَ فِي الْوَجْهِ بَعْدَ التَّجَهُّمِ
أَلَا يَا سَمَاءَ الْأَرْضِ أُعْطِيتِ بِهَجَّةٍ تَطَالَعْنَا مِنْهَا بِوَجْهِ مَقْسَمِ

(١) ورد هذان البيتان في كتاب « البديع في وصف الربيع » لأبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري (توفي حوالي ٤٤٠/١٠٤٨) بتحقيق هنري بيريس ، الرباط ١٩٤٠ ، ص ٩٨ . وقد ترجم له ابن الأبار في التكملة (القطعة التي نشرها محمد بن شنب في الجزائر وفيها من حرف الألف إلى حرف الجيم الذي تبدأ به النسخة التي حققها كوديرا ونشرت في مجلدين في المكتبة الأندلسية) ، رقم ٤٧٤ ص ٢١٩ وليس في هذه الترجمة من جديد إلا قوله إن أباه كان يلقب بحبيب وأنه أخو أبي زيد بن محمد بن عامر شيخ أبي بكر بن العربي .

وكتاب « البديع في وصف الربيع » ويقال أيضا « في فصل الربيع » و « في وشى الربيع » كتاب فريد في بابيه ، إذ أن أبا الوليد جمع فيه طائفة كبيرة من شعر الأندلسيين في الربيع وأزهاره . وقد جمعه أبوإبا اختص كل زهرة بواحد .

(٢) أمامى أى جعل أبياتها مائة .

(٣) أورد هذه الأبيات أيضا أبو الوليد إسماعيل الحميري في « البديع في وصف الربيع » ص ١٢ . وقد ورد لفظ « التنعيم » في الأصل : التنعيم ، فصولنا .

(٤) بعد هذا البيت أقحم الناسخ بيتا سبق أن ورد في شعر عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، وهو :

ظَلَّتْ أَبْكَى وَظَلَّ يَمْسُدُنِي مِنْ لَمْ يِقَاسِ الْهَسْوَى وَلَا عِلْمِهِ

وإن قالت الأرض المنعم روضها : «لى الفضل في فخرى عليك»، فسلمى
فخضرة ما فيها تفوقك خضرة ونوارها فيها ثواقب أنجم
وإن جتتها بالشمس والبدر والحيا مفاخرة ، جاءت بأسنى وأكرم
بعبد العزيز ابن الخلائف والذي جميع المعالي تنسى حيث ينسى^(١)

٨٢ - محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام ، أبو عبد الله

كان من [أكمل] رجال البيت الأموى خلاقاً وعقلاً وأدباً تاماً وحظاً من
الشعر الجيد ، وكانت أخته لأبيه فاطمة عند الناصر عبد الرحمن بن محمد ، فخطى
بمصاهرته ؛ واعتببط في خلافة الناصر فتوفي للنصف من ذى القعدة سنة ست
عشرة وثلاثمائة . وهو القائل :

بنفسى وأهلى من بذلت له ودى وملاكته رقى على القرب والبعد
وأبغضت فيه كل خدن مناصح وأبديت للعذال فى عشقه صدى
ولم أنصرف فيه إلى قول كاشح وأصررت فى حبيبه إصرار ذى الحقد

(١) علق أبو الوليد الحميرى على هذه الأبيات بقوله (ص ١٢ - ١٣) : «ودخوله
فى هذا الموضع إلى المدح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعانى التى سبق فيها ، واستولى
على الأمد بها . وقوله :

* كان الذى يسقى الثرى صرف قهوة *

البيت ، شبه فيه إفشاء الأرض نوارها وخضرتها بالمطر بإفشاء المرء أسراره المكتومة بالقهوة .
وقوله : «ينم» مستقيل من النيمة ، يقال : ينم بكسر النون وضمها ، والكسر أنصح .
وقوله : «بوجه مقسم» أى محسن ، من القسام وهو الحسن .
وقوله : «فسلمى» أراد : فأذعن لها ، وأقرى بفضلها .

سقاني بعيني الهوى ، وبكفه سلافاً ، وحياتي بها ناقض العهد
وله :

طال اشتياقي إلى من كنت آلفه فالعين بالدمع ما تنفك تذرفه
اعتضت من قرب من أهوى زيارته من كنت أكرهه جهدي وأقذفه
وصار من كنت أشناه وأبعده مكان من كنت أهواه وأطفه
/ فالنفس في قلق ، والعين في أرق والقلب في حرق مما يخلفه [٦١-١]
من رام صرف محب عن أحبه فإن قلبي مما لست أصرفه

٨٣ - الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام

كان من نهباء قومه الروانيين بقرطبة ، وكان له طبع معين في قرض الشعر .
وهو القائل في ابن مات له ، أنشده ابن حيان :

عيني تجود بمسكوبٍ ومُهْرَاقٍ فالحمد لله ، ما للموت من باقٍ
وكيف أبقى بلا نورٍ ، بلا بصيرٍ أم كيف ينبت لحمٌ زال عن ساقٍ ؟
لا يبعدنك مبنى الله إنك قد لاقيت ما كل من في ظهرها لاقٍ

٨٤ - عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن

أخو الحكم المذكور، كان من أهل الأدب والشعر . وهو القائل يرثى أباه ،
وتوفى والناصر غائب في غزاته سنة خمس عشرة وثلاثمائة :

لِفَقْدِكَ تَنْهَلُ الْعَيُونَ وَتَدْمَعُ وَتَهْدُ أَرْكَانُ الْمَعَالِي وَتَخْشَعُ
وَيُعْوَلُ مَنْ قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ ضَاحِكًا لِنَفْقَلْتِهِ فِي ظِلِّ نَعْمَاكَ يَرْتَعُ
أَلَا أَيُّهَا الْقَبْرُ الَّذِي ضَمَّ جَسْمَهُ سَقَاكَ مِنَ الْأَنْوَاءِ هَتَّانُ مُرْعُ
وَلَقَى كَرِيمًا فِيكَ رَوْحًا وَرَحْمَةً مَلِيكَ إِذَا مَا شَاءَ يَعْطِي وَيَمْنَعُ
وَكَانَتْ لَهُ كَفٌّ يَفِيضُ تَوَاهُلًا مَدَى الدَّهْرِ عَنِ تَسْكَابِهَا لَيْسَ تُقْلَعُ
وَكَانَتْ لَهُ جَفْنٌ تَجَافَى عَنِ الْكُرَى وَنَفْسٌ تُتَاجَى اللَّهُ وَالنَّاسُ هُجَّعُ
وَصُومٌ وَتَسْبِيحٌ وَذِكْرٌ وَخَشْيَةٌ وَطَوْلٌ صَلَاةٌ أَجْرَهَا لَا يُضَيِّعُ
بِكَيْتِكَ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً لَعَلَّ الْبَكَاءَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ يَنْفَعُ
فَلَسْتُ لَشَيْءٍ بَعْدَ فَقْدِكَ فَارِحًا وَلَا لِمَصَابٍ بَعْدَ فَقْدِكَ أَجْزَعُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنْ ذِي مَصِيبَةٍ لَهُ مَهْجَةٌ نَحْوِ الْمَنَايَا تَطَّلَعُ

٨٥ - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز [٦١ - ب]

ابن أمية بن الحكم الربضي ،

أبو بكر ، الملقب بالحجر

ويقال له البَطْرَشَك^(١) بالعجمية ، ومعناه الحجر اليابس .

(١) البَطْرَشَك - كما هو واضح من كلام ابن الأبار - لفظان إسبانيان : Piedra Seca . وقد قال رومي Romey في تاريخه (ج ٤ ص ٣٧٨) أنه يقابل اللاتينية Petra Sicca ، ولكن دوزي رجح أنها تقابل اللفظين الإسبانيين اللذين ذكرناهما . وقال دوزي أيضاً أن عبد الله ابن عبد العزيز المرواني ربما لقب بالحجر اليابس لبخله . انظر :

R. DOZY, *Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le Moyen Age* (Leyde, 1849) 1,273.

وهي الطبعة الأولى من أبحاث دوزي المعروفة ، وتختلف في فصولها وترقيم صفحاتها عن الطبعتين الثانية والثالثة . والأخيرة هي الجارية في أيدي الناس اليوم .

وقد ذكر دوزي - في فصل خاص بترتيب صفحات نسخة الحلة السراء التي نُقلت عن أصلها في الإسكريال للمكتبة الأهلية في باريس بناء على طلب المستشرق كوندى - أن مجلدتها قدم بعض الأوراق على بعض فاختلفت ترجمة عبد العزيز المرواني هذا بترجمة غيره ، وغلط كوندى في متابعتها دون أن يتنبه إلى الخطأ .

وحياة عبد العزيز المرواني هذا طويلة حافلة بالأحداث ، فقد كان - كما رأينا - يتولى طليطلة لهشام المؤيد والمنصور بن أبي عامر . وعاونه على الخلاص من القائد غالب ، ثم اتهم بالاشتراك مع عبد الله بن محمد بن أبي عامر في مؤامرة ضد أبيه ، واشترك في المؤامرة أيضاً عبد الرحمن بن مطرف التجيبى المتولى أمر ثغر سرقسطة . ولم تنجح المؤامرة ، ففر عبد الله بن المنصور إلى برمودة الثاني ملك ليون ، فزال المنصور يسمى حتى أرغم برمودة على تسليمه إليه ثم قتله . وقد فر عبد الله المرواني أيضاً إلى برمودة هذا ، ولانعلم إن كان قد فر مع عبد الله بن المنصور أو بعد ذلك ، وعلى أي الأحوال فقد ظفر به المنصور أيضاً وسجنه في المطبق «بعد أن طيف به على جمل وهو مقيد» . وبقيّة الخبر يرويها ابن الأبار هنا .

انظر ، علاوة على المراجع المذكورة أعلاه : البيان المغرب لابن عذاري : ٢٨٣/٢ - ٢٨٦ .

محمد عبد الله عنان ، الدولة العامرية (القاهرة ١٩٥٨) ص ٦٠ - ٦٣ .

وتعليقات الدكتور محمود على مكى على تحقيقه لديوان ابن دراج القسطلي (دمشق ١٩٦١)

ص ٣٦٢ تعليق ٢ وص ١١١ تعليق ١ وص ٤٦٠ تعليق ٢ .

أمّره هشام المؤيد في بعض الأوقات ، وسدّ به الثغر ، وفوض إليه أمر طليطلة وقلده إياها مع خطة الوزارة ، فاستقل بمقاومة غالب^(١) أيام فتلته ، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة^(٢) .

وكان على مقدمة المنصور بن أبي عامر في غزاته إلى جليتمية ، بعد منصرفه من مقتل غالب بالثغر ، في أول المحرم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ومعه خيل طليطلة وطبقات الأجناد وجميع الرّجل . وفيها حصر سمورة ، وامتنعت عليه قصبته ، وعمّ بالتدمير كثيراً من نواحيها ، ومنها جهة دمر فيها نحو ألف قرية ، معروفة الأسماء كثيرة البيع والديارات . ووصل قرطبةً ومعه أربعة آلاف سبئية ، وقد حزّ قريباً منها من رؤوس الكفرة^(٣) .

(١) أبو تمام غالب الناصري « صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، شيخ الموالي قاطبة ، وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع » كما يقول ابن عذاري (البيان : ٢٦٥/٢) . كان الوزير أبو جعفر المصحفي (سيحدث عنه ابن الأبار بعد ذلك) قد أساء معاملته عندما تولى الحجابة لهشام المؤيد ، رغبة منه في الانفراد بالسلطان المطلق ، فاضطربت أحوال الثغر نتيجة للمناقسة بين الرجلين ، وكان هذا من الظروف التي استغلها محمد بن أبي عامر للوصول إلى السلطان ، وقد سلك إليه طريقاً ملتوية تتم على الاحتيايل على الرجال والإيقاع بينهم ، فاستعان بغالب على جعفر المصحفي ، فاستصدر أمراً من هشام المؤيد برفع غالب إلى خطة الوزارة ، أي وزارة السيف ووزارة القلم ، أي أنه أصبح وزيراً وقائداً أعلى ، واتفق معه على أن يدبر ابن أبي عامر جيش الحضرة ، ويدبر غالب جيش الثغر . ثم صاهره فتزوج ابنته أسماء ، وبمعاونته قضى على جعفر المصحفي . ثم سعى بعد ذلك في القضاء على غالب باستقدام جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي ، وكان شيخاً من شيوخ زناتة المواليين لبني أمية الأندلسيين ، وكان يقوم بأمر العدو ، واستوزره وولاه القيادة . وشعر غالب بغرض ابن أبي عامر ، ويبدو أنه استعان بالنصارى للدفاع عن نفسه ، ولكنه قتل في معركة بين رجاله ورجال ابن أبي عامر .

راجع ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٦٢/٢ - ٢٧٩ .

(٢) يفهم من هذا أن غالباً دعا عبد الله بن عبد العزيز المرواني إلى طلب الخلافة لنفسه . ويبدو أن العبارة ينقصها شيء .

(٣) قام ابن أبي عامر بهذه الغزوة في العام التالي لمقتل غالب ، ولم يذكرها ابن عذاري ، ولكنني وجدت في البيان الذي يورده أحمد بن أنس العذري لغزوات ابن أبي عامر حتى سنة ٣٧٦ هـ

وكان عبد الله هذا أحد رجالات الروائية ، عقلا وشهامة وأدبا ووزارة علم وإمتاع حديث وطيب مجالسة . ومن شعره ، قال الحميدى في تاريخه :
أنشدنى عنه أبو عبد الله بن المعلم الطليطلى ، قال : أنشدنى لنفسه :

اجعل لنا منك حظا أيها القمرُ فإنما حظنا من وجهك النظرُ
رآك ناسٌ فقالوا : إن ذا قمرنا فقلتُ : كُفُوا ، فمندی منهما خبرٌ..
البدرُ ليلة نصف الشهرِ بهجتهُ حتى الصباحِ ، وهذا دهره قمرُ
والله ما طامت شمسٌ ولا غربتُ إلا وجاءتُ إليك الشمسُ تعتذرُ^(١)

وأنشده ابن أبي الفياض في [تاريخه] :

ومن لا أسميه مخافة عتبهِ على أن قباي مستهامٌ بحبهِ
وبعضُ اسمه حاءٌ وبا [...] حروفٌ طواها [...]
عليه سلامٌ الله منى مردداً سلامٌ محبٍ جاد فيه بقلبهِ
وله :

يا ظالماً ظنّ قتلى في الهوى حسناً كن كيف شئت فظنى فيك قد حسناً
/ طويتُ حبك حتى ظلّ ينشره دمعٌ جرى فعدا سيرى به علنا [٦٢-١]
أفديك من ساكن في القلب مسكنه وغائبٍ لم تزل نفسى له وطننا
يا قرّة العين ، قد عذبتهم سهرأ ومنية النفس ، قد قطعتم شجننا

= ذكرها لها ، ومنه يتبين أن مقتل غالب كان يوم الأربعاء ثمان بقين من المحرم سنة ٣٧٠ أى قبل التاريخ الذى يحده ابن الأبار هنا بسنة . أما الغزوة التى يشير إليها هنا فيسبها العذرى «سورة الأولى» وقد خرج بها ابن أبى عامر يوم الأربعاء ١٩ صفر ٣٧١ وعاد منها السبت ١٤ ربيع الأول من نفس السنة . ويمكن أن نعزو ما قامت به هذه الحملة من التخريب إلى أن هذه أول حملة كبرى يشترك فيها جند البربر الذين أتى بهم ابن أبى عامر مع جعفر بن على بن خدون .

(١) وردت هذه الآيات مع بعض خلاف فى الألفاظ فى جذوة المقتبس للحميدى :

رقم ٥٥٦ ص ٢٤٤ ، والبغية للضبى : رقم ٩٢٣ ص ٣٣٤ ، والمغرب لابن سعيد : ١٠/٢ .

ما بال قلبك يشكو فرطاً قسوته قلبٌ يقاسى عليك البث والحزنا
أما هواك فإني لست ساليه ومن يمّت كدأ فيه فذاك أنا
وأنشد له ابن فرج في « الحداثق » (١) :

سُقياً لهم من ظاعنين حسبهم وَسَطَ الهوادج أوّلواً مكنونا
/ لو كنت أنصفهم عشية ودعوا ما عشتُ بعد نوى الأعبة حيناً [١-١١٠]
أغصانُ بانٍ فوقَ كَثبانِ النَّقا فإذا حَظَنَكَ خِلَتِهِنَّ العينا
أجرى الزمانُ بَيِّنِهِنَّ مدامعاً ما كنَّ من قبل الهوى يجرينا

وله مع رسالة حين ظفر به المنصور محمد بن أبي عامر في شوال سنة خمس
وثمانين وثلاثمائة ، وكان قد هرب أمامه إلى بلد الروم فجذبه بالمطبق بعد أن طيف
به على جمل وهو مقيد :

فرتُ فلم يُعِنِ الفِراؤُ ، ومن يكنُّ مع الله لا يُعجزُه في الأرض هاربُ
ووالله ما كان الفِراؤُ لحالةٍ سوى حذر الموت الذي أنا راهبُ
ولو أنى وُقِّتُ للرشد لم يكن ولكنَّ أمرَ الله لا بد تحالُّ
وقد قاذى جرّاً إليك برُمَّتِي كما اجتَرَّ ميتاً في رحي الحرب سالبُ

(١) سبق أن ذكرنا أن الناسخ خلط في هذا الموضع خلطاً شديداً ، فوصل بين ترجمة
عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي وترجمة أبي عبيد
عبد الله بن عبد العزيز البكري ، ولا أدري كيف وقع الخلط ، ويبدو أنه كان ينسخ في ترجمة
الأول ، ويوقف عند بيت : « أما هواك . . » فلما عاد إلى النسخ فتح المخطوط باحثاً عن عبد الله
ابن عبد العزيز بن أمية ، فوقع في صفحات أبي عبيد البكري ، فضى ينقل غير منته لخطئه حتى
فرغ من أهل القرن الخامس ، ثم تنبه إلى أن جزءاً كبيراً من المخطوط لم ينسخ ، فعاد يستدرك
ما نسي نسخه ، ولكنه لم يصلح الخطأ ، وهكذا وصلتنا المخطوطة الوحيدة من الحلة .
وظاهر أن ابن فرج الجياني لا يمكن أن يروي شعراً لأبي عبيد البكري ، لأنه مات قبله
بزمن طويل ، ولا يمكن أن يروي لعبد الرحمن المستظهر ، لأنه مات قبله كذلك . ولهذا فقد رجحت
أن هذه الأبيات لأبي عبد الله بن عبد العزيز المرواني هذا ، فجعلتها في هذا الموضع .

وأجمع كل الناس أنك قاتلي
وما هو إلا الانتقام فتشتني
وإلا فغفوة يرتضى الله فعله
ولا نفس إلا دون نفسك ، فليكن
فما خاب من جدواك - مذ كنت - سائل
وقد منحت كفاك ما يُعجز الوري
وإن حم تأخير نفسي فليكن
فما زال سباقاً إلى كل خصلة
فلا انفك لي مولى ألود بعزه

ورببت ظن ربّه فيه كاذب
وتركك منه واجباً ، لك واجب
ويجزيك منه فوق ما أنت طالب
على قدرها قدر الذي أنت واهب
ولا ردد دون المبتغى عنك راغب
وعمت عموم الغيث منك المواهب
لمتلفها من حاجب الملك حاجب
يسير بها في الأرض ماش وراكب
فيصرف عنى الخطب والدر عاتب

وله أيضاً يستشفع بالمظفر عبد الملك إلى أبيه المنصور :

/ألا أيها الحاجب المرتجى
دعوتك دعوة مستصرخ
فإن لم تغثنى فمن ذا الذي
جمعت التقى والملى والنهى
وتفريج غمّاء عن حائن
فقل لي : لِمَا ! من عثار له
وإن جل ذنبي فأنت الجليل

وأكرم من كان أو من يكون
أحاطت به وأثخنته المنون
يلوذ به الخائف المستكين ؟
فإن مُذال وعرض مصون
يعود بك الحى وهو الدفين
أناديك والموت لي مستبين
وهل لك فيمن عليها قرين ؟

ومن خبره أنه أقام مسجوناً إلى أن مات المنصور ، وولى ابنه المظفر عبد
الملك حجابة هشام ، فأطلقه واستحله لأبيه ، وخلع عليه وولاه الوزارة وخص

به ، فلم تطل حياته ، وتوفي غازياً مع عبد الملك غزاته الأولى سنة ثلاث وتسعين بمدينة لارِدة ، وقبره بمسجدها .

وكان جَلداً في محنته ، كثير الدعاء والضراعة ، قد رزق من الناس رحمة . ولما أسلمه برمند ملك الجلالقة^(١) مضطراً إلى ثقات المنصور وطيف به ، كان قدامه [من] ينادى : « هذا عبد الله بن عبد العزيز ، المفارق لجماعة المسلمين ، النازع إلى عدوم ، المظاهر له عليهم ا » ، فكان هو يرد عليه ويقول : « كذبت ا بل نفس خافت ففرّت تبغى الأمن من غير شرك ولا رِدة » . ولم يعرض المنصور لمنازله وضياعه ، أطلقها لبيته مدة اعتقاله .

٨٦ - مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن

الناصر ، أبو عبد الملك

هو الطليق ، وقيل له ذلك لأنه سُجن في أيام المنصور محمد بن أبي عامر مدة طويلة ثم أُطلق بعد ذلك فسُمي « الطليق » . وكان - فيما قيل - يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له ، ثم إنه استأثر بها ،

(١) هو برمودو الثاني Bermudo II ابن رذير الثاني Ramiro II ملك مملكة ليون وأشتريس وجليقية من سنة ٩٨٢ إلى ٩٩٩ م (٣٧٢ - ٣٩٠ هـ) معاصر المنصور ابن أبي عامر وصاحب الوقائع الكثيرة معه . وهو الذي لجأ إليه عبد الله بن المنصور بن أبي عامر وعبد الله بن عبد العزيز المرواني هاربين خوفاً من المنصور بعد انكشاف مؤامرتهما عليه ، كوقد استطاع المنصور أخيراً الحصول عليهما . أما عبد الله ابنه فقد قتله ، وأما عبد الله المرواني فقد سجنه حتى كان من أمره ما يحكيه ابن الأبار .

انظر : تعليق الدكتور محمود علي مكى على القصيدة رقم ١٢٨ من ديوان ابن دراج القسطلي (دمشق ١٩٦١) ص ٤٦٠ هامش ٢ .

فاشتدت غيرة مروان لذلك ، وانتضى سيفاً ، واتهمز فرصةً في بعض خلوات أبيه معها فقتله . وعُثر على القصة ، فسُجن وهو ابن ست عشرة سنة ، ومكث في السجن ست عشرة سنة ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة ، وهذا من نادر الاتفاق . ومات قريباً من سنة أربع مائة .

وكان أديباً شاعراً مكثرًا ، وأكثر شعره في السجن . وإنما ذكرته — [١١١-ب] وليس من شرطى في الإتيان بالأسماء والمتأمرين ومن قُرْب إليهم دون مَنْ بَعْد من البنين — لقول أبي محمد بن حزم : « أبو عبد الملك هذا في بني أمية كابن الممتز في بني العباس ، ملاحظة شعرٍ وحسن تشبيهه »^(١) ؛ فحذفه من هذا المجموع هو الممتز [عليه] حقيقةً لا إثباته واجتلاب محاسنه ، والخطأ مع الاجتهاد معفو عنه . ولعلّ قد أتيت في ما أثبت بما هو قريب منه . ومن شعر الطليق في معتقله :

ألا إن دهرًا هادمًا كل ما نبني سيَبَلِي كما يُبَلِي ، وَيَفْنِي كما يُفْنِي^(٢)
وما الفوز في الدنيا هو الفوز ، إنما يفوز الفتي بالربح فيها مع الغبن
يُجَازِي ببؤس عن لذيذ نعيمها وَيَجْنِي الرَّدَى مما غدت كَفَّهُ تجني
ولا شك أن الحزن يجري لغاية ولكنَّ نفس المرء سيئة الظن
وله يصف السجن :

في منزل كالليل أسود فاحمٍ داجي النواحي مظلم الأثباح

(١) عبارة ابن حزم في الجمهرة (ص ٩٤) : وأما مروان بن الناصر ، فن ولد مروان الطليق ، وأخوه عبد الملك ، ابنا عبد الرحمن بن مروان بن الناصر . كان مروان هذا من الشعراء المفلتقين المحسنين ، وأعتب أربعة : يزيد أبو خالد ، وليد أبوليل ، وعبيد الله أبو إمامة ، وأربد أبو زبيد ، وأخوه عبد الملك ساكن الآن بدروقة .

(٢) ورد في الهامش إلى يمين هذا السطر : « أخذ قول البحري برمته :

سُفْنِي مثل ما نَفْنِي وتبلي ، كما نبلي ، ويدرك منك ثار

يسودُّ والزهره تشرق حوله كالخبر أودع في دواءِ العاجِ
وله في النسب :

أقول ودمي يستهلُّ ويسفحُ وقد هاج في الصدر الغليلُ المبرحُ
دعوني من الصبر الجميل فإني رأيتُ جميلَ الصبر في الحب يقبُحُ
لقد هيج الأضحى لنفسى جوى أسى كرههُ المنايا منه للنفس أروح
كان بعيني حلق كل ذبيحة به ، وبصدرى قلبها حين تُذبح
فيا ليت شمري ، هل لمولاي عطفهُ يداوى بها منى فؤادٍ مجرح ؟
يحنُّ إلى البدر الذي فوق خده مكان سوادِ البدر وردٍ مفتوح
تقنع بدرُ التَّمِّ عند طلوعه مخافة أن يسرى إليه فيفضح
فقلتُ له : يا بدرُ أسفِرْ فقد غدا عليه رقيبٌ للعدا ليس يبرح
لعمري لذاك البدرُ أجملُ منظرًا وأحسنُ من بدر التمام وأملح
وله من قصيدة / فريدة أولها :

[١١٢-١]

غصنٌ يهترُّ في دِعْصِ نقي يجتنى منه فؤادى حُرَقًا
باسمٍ عن عقدِ درِّ خلتُهُ سَلَبَتْهُ لَثْبَاهُ العُنُقَا
سالَ لأمِّ الصدغ في صفحته سيلانَ التبرِ وافي الورقا
فتناهى الحسنُ فيه ، إنما يحسنُ الغصنُ إذا ما أورقا
رقٌ منه الخضرُ حتى خلتُهُ من نحولٍ شقهُ قد عشقا
وكان الرِّدفُ قد تيمهُ فعدا فيه معني قلعا
ناحلا جاور منه ناعما كحبيبي ظل لي معتقا
عجبا إذ أشبهانا ، كيف لم يُحدثنا هجراً ولم يفترقا ؟

ومنها يصف الخمر :

رب كأسٍ قد كستُ جناحَ الدجى ثوبَ نورٍ من سناها أشرقا
بتُّ أسقيها رشاً في طرفه سنّةٌ تورث عيني أرقا
خَفِيتُ للعين حتى خلتها تنقى من لحظه ما يتقى
أشرفتُ في ناصعٍ من كفه كشعاع الشمس لاقى الفلقا
وكان الكأسَ في أنمله صفرةُ النرجسِ تعلو الورقا
أصبحتُ شمساً وفوهُ مغرباً ويدُ الساقِ المحيِّ مشرقا
فإذا ما غربت في فمه تركت في الخلد منه شققا

ومنها في أوصاف شتى :

وغمامٍ هطلٍ شؤبوبةُ نادمَ الروضِ ففنى وسقى
فكان الأرضَ منه مطبقُ وكان النَّصبِ جانٍ أطبقا
خلع البرقُ على أرجائه ثوبَ وشيٍ منه لما برقا
وكان العارضَ الجونَ بهِ أدهمُ خلى عليه بلقا
/ وكان الريحَ إذ هبت له طيرت في الجو منه عققا
في ليالٍ ضلّ سارى نجمها حائراً لا يستبين الطرُقا
أوقدَ البرقُ لها مصباحه فأنثى وجهه دُجاها مشرقا
وشدا الرعدُ حيناً فجرت أكوسُ المزنِ عليه عرفا
وغدت تجذبه الشمسُ وقد ألحفته من سناها نمرقا^(١)
فكان الشمسُ تُحيي نفسه عُرةُ المعشوقِ تُحيي الشيقا

[١١٢-ب]

وكان الورد يعلوه الندى وجنةً المحبوب تندى عرقا
 يتفقا^(١) عن بهار فاقع خلت به بالورد يطوى ومقا
 كالمحبين الوصولين غداً خجلاً هذا ، وهذا فرقا
 ورتت منه إلى شمس الضحى حدق للنور تضي الحدفا
 وكان القطر لما جادها صار في الأوراق منها زئبقا
 ومنها في الفخر :

من فتى منلى لبأس وندى ومقال وفمال وتقى ؟
 شرفى نفسى ، وحأى أدبى وحسامى مقولى عند اللقا
 ولسانى عند من يخبره أفعوان ليس يثنيه الرقى
 ويمنى بمن عاف مسر جمع حمداً غدا مفترقا
 جدى الناصر للدين الذى فرقته كفاه عنه الفرقا
 أشرف الأشراف نفساً وأباً حين يعلوه وأعلى مرتقى
 أنا نخر العشميين وبى جدد من نخرهم ما أخلقا
 أنا اكسو ما عنى من مجدهم بجلى روق شعرى رونقا

[١١٣-١] / وله أيضاً يصف السحاب ، أنشده له أبو الحسن علي بن محمد بن أبي
 الحسن القرطبي في كتاب « الفرائد في التشبيه من الأشعار الأندلسية »
 من تأليفه :

فكان النمام صب عميد أن بالرعد حرقاً واشتكاء
 وكان البروق نار جواه والحيا دمه يسيل بكاء

(١) ورد هذان البيتان من هذه القصيدة في كتاب « التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكفاني :

وله أيضاً :

كأنما إنسانُ أجفانها للخمر من تحييرها مدمنُ
وليس إنساناً ولكنه هاروتُ في مقلتها يسكنُ

وله في طول الليل :

فما بال صُبحي قد تقارب خطوهُ
كأن نجومَ الليل قيدها الدجى
فأبطأ حتى ليس يُرجى قدومه
وأوقفها في موضع لا تريمه

وله في الرسوم :

رَبْعٌ تربصت^(١) النجوم لأهلِهِ
فكأنه مما تقادم عهدُهُ
ورما هم ريب الزمان فقرطسا
ربعُ امرئ القيس القديمُ بعسعسا

وله في مثل ذلك :

فبقيتُ في العرصات وحدي بعدهم
فكأنهن ديار مَيِّ إذ خلتُ
حيران بين معاهد ما تُعهدُ
وكأنتي غَيْلانُ فيها يُنشدُ

وله :

وكان الميأة فيها ثعابه
وكان الحصباء في رونق الما
من جُيْنٍ تَبَعَّتْ في السواقى
سنا الدرُّ في بياض التراقي

(١) في الأصل ، وفي دوزي (ص ١١٨) : تربعت .

ومن أبناء الأدارسة الحسنيين :

٨٧ - إبراهيم بن إدريس الحسني

كذا قال فيه ابن حبان ، وقال الحميدي : إبراهيم بن إدريس العلوي الحسني النبوز بالمؤبّل . كان أديباً شاعراً ، وكان في أيام المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر ، وعاش إلى أيام الفتنة . أصله من المغرب ، وسكن قرطبة إلى أن سيّره ابن أبي عامر عن الأندلس ، فيمن سيّر من أهل بيته بعد مقتل حسن بن قنّون كبيرهم^(١) . وهو القائل يخاطب المروانية بقرطبة ، لا رأى غلبة ابن أبي

[١١٣-ب] / عامر على هشام المؤيد واستبداده بالأمر دونه :

(١) يشير ابن الأبار بذلك إلى ما كان بين الحسن بن كنون آخر مثل لسلطان الأدارسة في المغرب والمنصور بن أبي عامر . والحسن بن كنون هو من أبناء القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس ، والقاسم هذا - واسمه كنون - هو الذي ضم بقايا دولة الأدارسة بعد أن شتت شملها قواد العبيديين واحتلوا فاس . فأقام القاسم كنون دويلة قاعدتها حصن صغير يسمى حجر النسر ، وتوفي سنة ٣٣٠ وخلفه ابنه أبو العيش . ولم تستطع هذه الدويلة الإدريسية أن تقوم بنفسها ، فكانت طوراً تخضع للأمويين الأندلسيين وطوراً للعبيديين ، ولكنها كانت في الغالب في حماية بني أمية ، وقد بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر ، وبعونه استطاع أن يمد سلطانه حتى سجلماسة . وكان الناصر قد استولى على سبتة ، وأراد أن يضم إليها طنجة يملك بيده مفتاحي الزقاق . وبعد حرب طويلة ، استولى عليها وانتقل أبو العيش إلى بصرة المغرب الأقصى غير بعيد عن حجر النسر ، واستولى قواد عبد الرحمن الناصر على معظم نواحي شمال المغرب الأقصى من تاهرت إلى طنجة . ورأى أبو العيش أنه لم يبق له من الأمر شيء ، فكاتب الناصر واستأذنه في الانتقال بأهله إلى قرطبة ليشارك في الغزوات التي كان الناصر يقودها على ممالك النصارى ، وقد اشترك أبو العيش فيها بالفعل واستشهد سنة ٣٤٨ .

وبعد أن غزا جوهر الصقل المغرب الأقصى غزوته المخربة التي احتل فيها فاس وقضى على كل أثر لسلطان الأمويين في المغرب (٣٤٨ - ٣٥٠) اضطر الحسن بن كنون أخو أبي العيش وخليفته في البصرة إلى الدخول في طاعة العبيديين ، فلما انصرف جوهر عاد إلى الأمويين ، فعاد الفاطميون وبعثوا بلقين بن زيري بجيش كثيف إلى المغرب فدخل الحسن بن كنون في طاعته . وبعد انصراف بلقين أرسل الحكم المستنصر قائده غالباً الناصري ، فتحصن منه الحسن -

فيا أرى عجباً لمن يتعجبُ جلت مصيبتنا وضاق المذهبُ
 إني لأكذبُ مقلتي فيما أرى حتى أقولَ غلِطتُ فيما أحسبُ
 أيكونُ حياً من أميةَ واحدُ ويسوس هذا الملكَ هذا الأحدُ ؟
 تمشي عساكرهم حوالى هودجٍ أعواده فيهن قردٌ أشهبُ
 أبني أميةَ أين أقمارُ الدجى منكم ، وما لوجوها تنقيبُ ؟
 هذا ما أورد ابنُ حَيَّان في أخبار الدولة العمارية من شعره .

وقال الحَمِيدِي في كتابه : رأيت له قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة
 هذيل بن خلف بن رزين صاحب القلاع ويهجو في درجها غيره ، أولها :
 للبين في تعذيب نفسي مذهبُ ولنائبات الدهر عندي مطلبُ
 أما ديونُ الحادثاتِ فإنها تأتي لوقتِ صادق لا تكذبُ
 والبين مُغرَمي كيدُه بأولى النهى طبعاً تطَّبع ، والطبيعةُ أغلبُ
 ومنها :

أيقنتُ أني للرزايا مطعمٌ ودمي لو افدة المكاره مشربُ
 فأنا من الآفاتِ عرضٌ سالمٌ وجوانحُ تكوى وعقلٌ يذهبُ

— ابن كنون في حجر النسر ، ولكنه استسلم أخيراً وأخذ وجميع أهله إلى قرطبة حيث أكرمته
 الحكم المستنصر ، ثم اختلف معه فنكبه وأخرجه إلى المشرق حيث نزل على العزيز بالله الفاطمي ،
 فسيره في جيش إلى المغرب سنة ٣٧٣ . فلما صار الأمر في قرطبة إلى محمد بن أبي عامر أرسل
 قواده وجيوشه إلى المغرب ليحاربوا الحسن بن كنون ، وقد تمكنوا من استنزاله على أمان
 المنصور ، ولكن هذا غدر به ولم يمض أمانه وقتله سنة ٣٧٥ . وقد وصف ابن عذارى (البيان
 المغرب : ٢/٢٨١) مشهد قتله وما صاحبه من رعد وبرق دلالة على الغضب الإلهي لتلك الجريمة .
 وكانت تلك هي النهاية الأخيرة للأدارة الحسينيين .

انظر : الاستقصا (الدار البيضاء ١٩٥٤) : ١/١٩٤ - ٢٠٥ .

ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢/٢٨١ . وقد روى ابن عذارى نفس الأبيات التي رواها

ابن الأبار .

ولم يذكر منها سوى هذه الأبيات ، فيشبهه أن يكون فيها ما أنشد ابن حَيَّان ، ويشبهه أن يكون قطعة في المنصور على انفراد ؛ والظاهر أن الحَمَيْدِي تركها ولم ير إثباتها .

* * *

ومن رجال مروانية في هذه المائة :

٨٨ - أحمد بن محمد بن أضحى الهمداني

[١١٤-١] / هو أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد بن يزيد بن الشمر من همدان ؛ وخالد يقال له « الغريب » ، وسُمي بذلك لأنه أول مولود من العرب الشاميين بكورة البيرة^(١) . كان أبوه محمد بن أضحى صاحب حصن الحمة من أعمال البيرة زمن الفتنة^(٢) ، وقام بأمر العرب بعد قتل سعيد بن جُودِي ،

(١) ذكر ابن حيان (المقتبس - ملشور أنطونيا ، ص ٣١) خبر محمد بن أضحى ابن عبد اللطيف الهمداني الثائر أيام الأمير عبد الله ، وما كان بينه وبين سعيد بن جودي من عداوة ، ثم ذكر دخوله في طاعة الأمير عبد الله واشتراكه في حرب عمر بن حفصون ، ثم استنزال الناصر له ضمن من استنزل من الثوار واستقدمه إلى قرطبة سنة ٣١٣ حيث عاش في كنفه . قال ابن حيان : « وكان ابن أضحى هذا مع رجوليته أديباً بيناً يقوم بين يدي الخلفاء في المحافل والمقاوم ، فيحسن القول ويطيب الثناء ، وله أخبار معروفة » .

وقد ذكر ابن الخطيب في الإحاطة (بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٨) أحمد بن محمد بن أضحى هذا وساق نسبه : ابن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد . . الخ ، أي أنه وضع « غريب » موضع « خالد » . وقد فسر لنا ذلك ابن الأبار عندما قال إن خالداً كان يسمى بالغريب . وأورد ابن الخطيب قطعة من الخطبة التي ألقاها أحمد هذا بين يدي الناصر ، وأورد له بيتين لم يورد هما ابن الأبار ، ثم قصيدة « أيا ملكاً » بأكملها . (٢) يريد الفتنة الأولى أيام الأمير عبد الله ، انظر التعليق السابق .

وتمسك بموالاة الأمير عبد الله بن محمد إلى آخر مدته ، وأورث عقبه نباهةً
ورياسة انسحبت عليهم دهرًا .

وثار منهم القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن مُشرف بن أحمد هذا
بغرناطة في المائة السادسة ، وسأذكره هنالك إن شاء الله عز وجل .

وقدم أحمدُ بن محمد مع أبيه علي الناصر عبد الرحمن بن محمد ، باخمين
بطاعته ، داخلين في جماعته — وكان من أحسن الناس وجهًا ، وأفصحهم لسانًا ،
وأشبههم نفسًا ، وأوسعهم أدبًا — فأجمل الناصر لقاءها ، وأحسن قبولها ، وأعلى
منازلها ، وأجزل عطاءها . وقام أحمد هذا يومئذ بين يديه خطيبًا ، ثم أنشد في
إثر خطبته :

أيا مَلَكًا تُرْمَى به قَضْبُ المُنْدِ إذا لمت فوق المغافر والسَّردِ
وَمَنْ بأُسِهِ في مَنهَلِ الموتِ وارِدُ إذا أنفَسُ الأبطالِ كَفَّتْ عن الوَرِدِ
وَمَنْ ألبسَ اللهُ الخِلافةَ نعمةً به ، فانت التُّعْمَى فجلَّتْ عن العُدِّ
تجَلَّى على الدنيا فجلَّى ظلامها كما انجلتِ الظلماءُ عن قمر السعدِ
إمامٌ هدَى زِيدت به الأرضُ بهجةً ملبسةً نوراً كموشِيَةِ البُرْدِ
كفاني لديه أن جعلتُ وسيلتي ذِمامًا شامِيَّ الهوى مخلصَ الودِ
وأنشده صاحب « الحدايق » :

هوَى كدَّر الواشون منه الذي صفا ونمَّوا بأفمى الإفك عنى مزخرقًا
وشوا وأصاحت أذنُ خِلِّي فما وفوا بتبليغِهِ ما لم أفله ولا وقي
/ وهلا — كما أنصفتُهُ في محبتي — ننام على الأعقاب منهم فأنصفا ؟ [١١٤-ب] —
فلا كان واشٍ كان داه ضميره هوانا ، فلما أن رأى هجرنا اشتفى
ولا يفرحوا أن أوقدوا الهجرَ جاحمًا فما قريب ينظني ، أو قد انظني

٨٩ - لب بن عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية ، أبو عيسى

كان أبوه من كبار الثوار في أيام الأمير عبد الله بن محمد ؛ سماه ابن حيان في أعلام المخالفين عليه ، وجعله ثانياً لديسم بن إسحاق صاحب تدمير ، وبعده ذكر إبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية . وكان ملك جبل شمنتان وما يليها من كورة جيان ، وامتد إلى حصن قسطلونة وغيره ، وانطلقت يده فتبنتك النعمة وبني المباني الفخمة . وأظهر الإذعان وقتاً ، بعد وقية جرت عليه ، والتزم حمل قطع من المال فُورق عليه عما في يده ، فلما رُوحي عاد إلى غيه فنكث ، ووالى عميد المخالفين عمر بن حفصون ، وواصله بالصهر من أسفل ، فزوج ابنته من جعفر ولد ابن حفصون ، ونقلها إليه بببشتر ، ووصل يده بيده ، فاعتز جانبه . وكان عبّيديس بن محمود [الشاعر الأديب] ^(١) كاتباً لعبيد الله ، ومتصرفاً في خدمته ، مكثراً من مديحه ، واصفاً لمغازيه ومبانيه وأحواله أوصاف الشعراء لأكابري الملوك ، يستحسن ذلك منه ويجزل عطيته عليه ، فشعره في ذلك مشهور ؛ ومنه قوله في وصف قصره :

قصر الأمير أبي مروان مُنتسَخٌ من جنة الخلدِ بالسراء معمورٌ
فيه مجالس قد شيدت على عمدٍ بُنيانها مرمرٌ بالتبر مطرورٌ
ونازع الفتح بن موسى بن ذى النون عبيد الله حصناً أورثهما حرباً ، فغلبه عليه عبيد الله وهزمه وحاز الحصن دونه ، وتيمّن بحضور ابنه لب بن عبيد الله معه في وجهه هذا ، فقال عبّيديس في ذلك شعراً طويلاً منه :

(١) نقل ابن الأبار هذا الكلام كله عن ابن حيان (المقتبس ص ٩ - ١٠) وأسقط هذه الجملة على أهميتها هنا ، فأتيت بها زيادة في التعريف بعبيديس بن محمود .

/ جاء البشيرُ بما عم السرورُ بهِ / عن الأمير أبي مروان في السفرِ [١١٥-١]
 فقلتُ ، حين سألتناه فأخبرنا : بالله قل وأعد يا طيبَ الخبر
 يئمن لبَّ أبي عيسى وغزوتهِ / فاز الأمير على الأعداء بالظفر
 يقول فيه :

قاد الجيوش إلى الأعداء مذرعاً / يَصَلِّي الوغى بالوغى في سِنِّ مُثْفِرٍ^(١)
 من تحته فرسٌ ، في كفه قيسٌ / يرمى الشياطين في الهيجاء بالشرِّ^(٢)

وعجز البيت الثاني من هذه الأبيات منقول من قول أبي نواس :

يا ذا الذي عن « جنان » ظل يخبرنا / بالله قل وأعد يا طيبَ الخبر

ولما غزا الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد غزوته الأولى إلى جَيَّان ،
 خرج إليه عبيد الله مقالصاً^(٣) في طاعته إياه ، فأمر بالقبض عليه وأرسل إلى
 معاقله مَنْ ضبطها وحمل عياله إلى قرطبة ، فصار في الديوان بها في أعلى
 الملاحق^(٤) . وصرفه الناصر في ضروب من خدمته سكن منه فيها إلى نصاحة
 وثقة ، فصرفه من أجل ذلك إلى معاقله بشمنتان والياً من قبله ، لالتياث أحسه
 من أهلها — ولا رعيةَ أجمل منهم — فأصلحها عبيدُ الله وأقام بها إلى أن صرفه
 ثانيةً عنها وأعادها إلى مصافه .

وكان ابنه لبُّ بن عبيد الله أديباً شاعراً حسن التصرف . وهو القائل ،

(١) المثفر هنا كناية عن صغر السن ، لأن المثفر هو الطفل الذي نبتت أسنانه .
 (٢) أورد ابن حيان (المقتبس ، ١٠ - ١١) أبياتاً كثيرة أخرى من هذه القصيدة .
 (٣) مقالصاً أي منقصاً من طاعته ، والمراد أنه قصر في طاعته للناصر .
 (٤) الملاحق ، وجمعه ملاحق ، هو المقيد في ديوان العطاء ليصرف له راتب شهري
 وما يتبعه ، والمراد أنه تقرر له راتب من أكبر ما كان يعطى لأمثاله من الثائرين الذين استنزلهم
 الناصر وأتى بهم إلى قرطبة ليعيشوا في أمان على رواتب تصرف لهم وللويهم .

أنشده له أبو الحسن بن أبي الحسين القرطبي في كتاب « الفرائد » من تأليفه
في التشبيه :

صَابَحَتْهَا وَالرَّوْضُ يُسْطَعُ مِسْكُهُ فَكَأَنَّهُ بِاللَّيْلِ بَاتَ مَغْلَقًا
وَالْوَرْدُ يَبْدُو فِي الْعَصُونَ كَأَنَّمَا أَحْيَى يَقَارِبُ مِنْ نَدَاهُ قَرَقَفًا^(١)
وله في الخيري :

وَكَأَنَّمَا الْخَيْرِيُّ إِنْ أَبْدَى النَّرْجِسُ^(٢) أَسْرَارَهُ عَنْ نَشْرِ مَسْكِ أَذْفَرَا
لِصِّ يَرَأَى بِالنَّهَارِ زَهَادَةً خَوْفًا وَيَقْطَعُ لَيْلَهُ مُنْشَطَرًا
وله :

وَرَاهِقَةٌ عَنْهَا السِّيُوفُ كَأَنَّهَا عَيُونَ يَرُوعُ اللَّيْثَ فِيهَا حَسِيرُهَا
/ إِذَا غَشِيَتْهَا الْبَيْضُ تَعَشَّى بِنُورِهَا كَأَنَّ سَنَاهَا مِنْ أَذَاهَا مُجْبِرُهَا
كَأَنَّ فَوَادِي فَوْقَ رَأْسِي صَلَابَةٌ فَكُلَّ حَسَامٍ يَنْتَحِيهَا كَسِيرُهَا

يصف بيضة حديد . ومن هذه القصيدة في وصف ترس :

وَمِمْتَلِ^(٣) قَرَصَ الْغَزَالَةَ فِي يَدِي هَجَمْتُ بِهِ وَالخَيْلُ تَدْعَى نَحْوَرُهَا
تَقْلَبُ مِنْهُ الْكَفُّ مِغْنَطِيسَ^(٤) الْقَنَا فَلَآ آلَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ مَصِيرُهَا

٩٠ - موسى بن محمد بن سعيد بن موسى

مولى عبد الرحمن بن معاوية ، الحاجب الوزير ، أبو الأصبع .

(١) القرقف اسم من أسماء الخمر : ويقارب القرقف ، أى يشربها ، مقتبس من قوله تعالى : « ولا تقربوا الخمر » .

(٢) كذا ، والوزن لا يستقيم على هذه الصورة ، ولعل صواب هذا الشطر : « وكأنمة الخيري إذ أبدى لنا » ، كما أن كلمة « النرجس » تبدو مقحمة لا مكان لها في هذا الموضع .

(٣) أى : ونشبهه بقرص الشمس .

(٤) الأصل : مغنطيس ، ولا يستقيم به الر. ن .

كان - مع رئاسته وجلالته ، ونباهة سلفه واستعماله في السكور وسنيات الخطط - من أهل العلم والأدب والشعر . وأول ما تصرف فيه للأمير عبد الله خطة القُطْع^(١) ، ثم ولى خطة المدينة ، وعُزل عنها ، وأعيد إليها . ولما أفضت الخلافة إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد أقره على المدينة ، واستوزره يوم استخلافه ، ثم استحببه عند وفاة بدر في سنة تسع وثلاثمائة ، فاضطلع واكتفى .

وكان الوزير عبد الملك بن جهور يقول : « ما رأيت مثل موسى : لم يجمه أمير المؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذ على المجلس في الجد والهزل » .

وتوفى للنصف من صفر سنة عشرين وثلاثمائة - وقيل في آخر سنة تسع عشرة - فلم يستحب الناصر بعده أحداً . وكان يحجبه عند قعوده لسلام الأجناد ، ولوفود الأطراف ، ورسل الأمم وأصحاب الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى^(٢) على مراتبهم مع سائر الخدّمة . ومن شعره قوله يمدح عبد الرحمن الناصر ويذكر هيئته :

(١) القُطْع جمع قطيعة ، وهى فى المصطلح الإدارى الذى يستعمله ابن حيان مبلغ من مال الجباية يتعهد بأدائه سادة النواحي الذين تعجز الدولة عن السيطرة عليهم ، فتتركهم عليها فى مقابل أدائهم إياها . وقد يتعهد المستبد بالناحية بأداء القطيعة دون ثورة أو قطع للطاعة . وكان أولئك المستبدون بالنواحي كثيرين فى الأندلس حتى منتصف حكم عبد الرحمن الناصر . وكان هناك لهذا ديوان - أو « خطة » فى المصطلح الأندلسى - لهذه القطع^{مرد} . وهى تشبه من بعض الوجوه المقاطعات فى المصطلح الشرقى ، وتختلف عنها من وجوه أخرى .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس ، ٣٧٢/٢ .

(٢) صاحب الخيل هو المشرف على شؤون الخيل اللازمة للجيش وما يتصل بها من سرج وقرايبس وما إلى ذلك . وكانت خطة الخيل وظيفة إدارية فى الغالب ، وقد يتولاها قائد من القواد ، وقد يقود صاحب الخيل الصوائف .

وصاحب المدينة هو حاكمها ، ويراد بها عادة العاصمة قرطبة .

أما الشرطة العليا والوسطى فى تفسيرهما خلاف . وقد انتهىنا من استقراء النصوص إلى أن الشرطة العليا كانت خاصة بأمن الأمير وقصوره وأهل بيته وكبار الناس ، والوسطى تتعلق بأعمال الشرطة المعروفة ، أى الأمن العام فى المدينة نفسها . وفى بعض النصوص ورد ذكر =

إذا ما فُرِّجَتْ خَلْلُ السُّتُورِ ولاح وقد تمكن في السريرِ
ترى الأملاكَ مائلةً لديهِ بأعناق إلى الغبراءِ صورِ
كأنهمُ لهيبتهِ قد أوفوا من الموت الزعاف على شفيرِ
وله :

أبطأتَ بالإذن على عبدك فعاذ بالمعروف من نجدك
/ قد جُدتَ لي بالوعد ياسيدي ولم تزل تصدقُ في وعدك
[١-١١٦] إن لم يكن من خدمتي شافعٌ فأخلف ما يصلح من عندك
وله :

معظمٌ تحسیرُ الأخطأ من رهبِ عنه ، وتلاحظه الآمال من رغبِ
إذا بدا تضحك الدنيا لطلعته وتلقى الجنُّ منه سورة الغضبِ
لما ارتقى في سماء الجود قاد به إلى التبذل فينا جوهر الأدبِ
وله :

كان العزاه وليّ العهد بعد أمير ن الله ، والمُلكُ وقفٌ بين هذينِ
فصرتُ لما نأتُ عنى وجوههما كالصقرِ أصبح مقصوص الجناحينِ
أستودع الله من نفسى فداؤهما ومُلِّيا العُمَرُ في الدنيا عزيزينِ
تأميلُ هذين تقدُّ ناجزٌ ، وأرى تأميلَ غيرهما كالدِّينِ بالدِّينِ
أعدُّ ما حُزته من حُسنِ رأيهما مُلكاً ، أضاهى به مُلكَ العراقينِ

== الشرطة السفلى واختصاصها - فيما يبدو - الأسواق والأحياء الدنيا من البلد . وقد حاولت أن أتعرف ما إذا كان صاحب الشرطة العليا مثلاً هو المشرف على الأمن العام في مصطلحنا الحديث - ومن ثم فهو رئيس الشرطة الوسطى والشرطة السفلى - فلم أستطع تبين ذلك بوضوح ، خاصة وأننى لاحظت أن صاحب الشرطة الوسطى كان في نفس المكانة التي كان فيها صاحب الشرطة العليا ، وكان يعينهما الأمير أو الخليفة بنفسه .

وحكى ابن حيان أن موسى بن محمد بن موسى بن حدير^(١) - عم الحاجب موسى هذا - وهو المعروف بالزاهد ، كان ممن يُكثر مجالسة الأمير عبد الله ويصل مؤانسته . وكان حدثاً ظريف المشاهدة ، مليح العبارة ، إخبارياً ، ممتعاً ، حَفَظَةً لأخبار دولة مواليه بنى أمية ، مفتتاً ، مفوهاً ، بليغاً ، يقرض أبياتاً من الشعر حسنة ، بديهةً ورويةً . قال : فشهد مجلس مذاكرة الأمير عبد الله يوماً وهو حافل بأهل الأدب والمعرفة ، وقد أفاضوا فيما كانوا يفيضون فيه من أبواب المذاكرة ، حتى مر ذكر الشيب وذمه - وكان الأمير عبد الله شديد التكره له - فقال لجلسائه : « أى شيء تروونه في ذم الشيب أبلغ ؟ » ، فلم يحضر أحدهم شيء ، إلا موسى بن محمد هذا فقال أحسن ما قيل فيه عندي ، قول الأول :

أقول لضيف الشيب إذ حل مفرق : نصيبك منى جفوة وقطوب
حرام علينا أن تنالك عندنا كرامة بريرة أو بمسك طيب

/ فاستحسنهما الأمير وقال له : « اكتبهما يا موسى وزد فيهما ، إن كانت [١١٦-ب] فيهما عندك زيادة » ، فقال : « لا والله يا سيدي ما عندي فيهما مزيد » . وتبطل الوصيف بإحضار الدرج والدواة لموسى بن محمد^(٢) ، وموسى مطرق أن يتأني^(٣) له القول في الزيادة التي استمطرها^(٤) منه الأمير ، فقال : « قد جاءني يا سيدي - بسعدك - بعض الذي أردته » ، واندفع فوصل البيتين بقوله :

(١) من هنا ينقل ابن الأبار عن المقتبس ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الأصل : موسى بن موسى .

(٣) المقتبس (ص ٣٥) : إلى أن تأني .

(٤) الأصل : أمتطرها ، والتصويب من المقتبس (ص ٣٥) وابن الأبار ينقل عن ابن حيان هنا حرفاً بحرف .

فياشره ضيف حل بي ، وحلواهُ
 وأنّ جديدي كل يوم إلى لي
 فما طيب عيش المرء إلا شبابه
 سأقريك يا ضيف المشيب قري القلي
 وأبكي على ما قد مضى من شببتي
 مضى مُسَلِّمًا - لهني عليه! - مدى المدى
 يُخَبِّرُنِي أَنْ الْمَاتَ قَرِيبُ
 وَأَنْتِي مِنْ ثَوْبِ الشَّبَابِ سَلِيبُ
 وَلَيْسَ إِذَا مَا بَانَ عَنْهُ يَطِيبُ
 فَمَا لَكَ عِنْدِي فِي سِوَاهِ نَصِيبُ
 بَكَاءَ مَحَبِّ قَدْ جَفَاهُ حَبِيبُ
 فَلَيْسَ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ (١) يُوُوبُ

فسرّ الأمير عبد الله بما أتى به ، وأثنى على قريحته .

وأنشد له أبو عامر السالمى (٢) في كتاب « حلية اللسان وبنية الإنسان »

في التشبيهات من تأليفه :

ليت شعري كيف يفري لحظة
 من شغاف القلب باللحظ الأكل
 طرفة ساجر ، وفيه مرض
 كم صحيح قد رماه ققتل

(١) الأصل : الثناء ، وقد قرأها دوزي : التناء . وصوبناها عن أهلها عند ابن حيان

(المقتبس ، ٣٥) .

(٢) أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي السالمى الطرطوشي ، من أهل طرطوشة
 وسكن مرسية ، وسمى السالمى لأن أصله من مدينة سالم ، مؤرخ أديب عمر طويلا في مرسية
 وتوفي فيها سنة ١١٦٣/٥٥٩ . ترجم له ابن الأبار في التكملة ، رقم ٧٢٥ ، والضبي في البنية ،
 رقم ٣١ . تنسب إليه كتب في اللغة والأدب والشعر والتواريخ والحديث كما يقول الضبي ،
 نقل عنه ابن عذارى كلامه في غزو النورمانيين للأندلس سنة ٨٤٣/٢٢٩ ، وقد نقل دوزي
 هذه القطعة في « أبحاثه » ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٥٤ ، ونقل المقرئ في نفع الطيب (طبعة
 أوروبا) ٨٢/١ فقرة من كلامه عن فضائل الأندلس . وينسب إليه من الكتب ، غير الذي ذكره
 ابن الأبار : « درر القلائد ودرر الفوائد » وهو أكبر كتبه وأكثرها ذكرا في المراجع ،
 وكتاب « السلك المنظوم والمسك المختوم » .

انظر : تعليقات جايانجوس على ترجمته الإنجليزية لجزء من نفع الطيب ، ج ١ ص ٣١٣ ،
 وفهرس مخطوطات الإسكريال للغزيري ٤٠/٢ . وذكره حاجي خليفة تحت رقمي ٧٦١٤ و ٩٩٧٥
 من طبعة أوروبا وپونس بويجيس ، رقم ١٨٧ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

من مجبى من رشا الحاظه إنما بُذكرنى وقع الأسله
وقرات فى تاريخ الحميدى أن صهيب بن منيع - وكان قاضياً بإشبيلية -
كان نقش خاتمه :

يا علياً كل عيب كن رفيقاً بصهيب

وأنه كان يشرب النبيذ - لعله كان يذهب مذهب أهل العراق -
فشرب^(١) مرة عند / الحاجب موسى بن حدير - وكان من عظماء الدولة [١١٧-١]
الأموية - فلما غفل أمر باختلاس خاتمه ، وأحضر نقاشاً فنقش تحت البيت
المذكور :

واستر العيب عليه إن فيه كل عيب

ورد الخاتم إليه . وختم القاضى به زماناً حتى فطن له .

٩١ - أحمد بن عبد الملك بن شهيد

الوزير ، أبو عمر

هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد بن عيسى بن شهيد بن
الوضاح الأشجعى .

(١) الأصل : فشرذ ، والتصويب من بغية الملتبس للضبى ، وقد أورد الحكاية
بنصها فى كلامه عن صهيب بن منيع (رقم ٨٥٦ ص ٣١٢) .

وترجمة أب الوليد بن الفرضى لصهيب بن منيع أوفى ما هو عند الضبى ، فقد ذكر فى رقم ٦٠٢
ج ١/١٦٨ أنه يكنى أبا القاسم وأنه من تلاميذ بى بن مخلد ومحمد بن وضاح وإبراهيم بن قاسم
ابن هلال ومطرف بن قيس وعبد الله بن مسرة ، وأن عبد الرحمن الناصر ولاء قضاء إشبيلية
رأنه توفى فى ١٢ رجب ٣١٨ .

وقال الرازي إن جدهم مولى معاوية بن مروان بن الحكم . وكان الوضاح مع الضحاك بن قيس يومَ مَرَجَ رَاهِطَ . وشُهَيْدُ بن عيسى هو الداخل إلى الأندلس في أيام عبد الرحمن بن معاوية ، وتصرف بنوه للخلفاء في الخلط السنية ، من الإمارة والحجابة والوزارة والكتابة ، إلى انقراض الدولة الأموية بالأندلس .

وتصرف أحمدُ هذا للناصر عبد الرحمن بن محمد في ولاية الكُور والوزارة وقود الصوائف ، وغزا البشكنس . وهو أول من سُمي بـ « ذى الوزارتين » . وكان من أهل الأدب البارع . حكى الحميدى عن أبي محمد بن حزم بسندٍ ذكره أن أحمد بن عبد الملك هذا زار عبد الملك بن جهور الوزير — وكانا جميعاً يخدمان الناصر عبد الرحمن — فوافقاه محجوباً ولم يمكنه الاجتماع به ، فكتب إليه :

أتيناك ، لا عن حاجةٍ عرضتُ لنا إليك ، ولا قلبٍ إليك مشوقٍ
ولكننا زرنا — بضعف عقولنا — حاراً تولى برنا بعقوبٍ

فأجابه ابن جهور بقوله :

حجبناك لما زرتنا غير تائقٍ بقلبٍ عدوٍ في ثيابٍ صديقٍ
وما كان بيطار^(١) الشام بموضعٍ يباشر فيه برنا بمخايقٍ
وذكرتُ بقول ابن شهيد قولَ عبد الملك بن سعيد المرادى الخازن :

ما حمدناك إذ وقفنا بيابكُ للذي كان من طويل حجبابكُ

[١١٧-ب] / بل ذمنا الزمانَ فيك وقلنا : أبعد الله كلَّ دهرٍ أتى بك !

(١) عبد الملك بن محمد بن جهور يعبر أحمد بن شهيد في هذا البيت بما يقال من أن جده وضاحاً كان يعمل بيطاراً في الشام قبل أن يخدم معاوية بن مروان بن الحكم ويدخل في ولاته .

ولأبي عمر بن شهيد :

جريتُ مع العشاق في حَلْبَةِ الْوَجْدِ قفاتهم وصلّى وما عرفوا جهدى
وما نهج العشاقُ في ما لب منهباً ولا سلكوا إلا السبيل التي أهدي
وما أضمر العشاقُ في الوجد غايَةً من الشوق إلا وهي من بعض ما أبدى
وما ضعفوا عن حملِ ثقلٍ [.....] [.....] ^(١) اضطلعتُ به وحدى
أنا فاتحُ المنهاجِ في سُبُلِ الهوى كما عابدُ الرحمن ^(٢) فاتحةُ المجدِ
وخاتمةُ العشاقِ شرقاً ومغرباً كما عابدُ الرحمن خاتمةُ الرشدي

٩٢ - ابنه عبد الملك بن أحمد

الوزير ، أبو مروان ^(٣)

كان على طَلَيْطَلَةَ هُشَامِ بْنِ الْحَكَمِ الْمُؤَيَّدِ ، ومنها خاطبه مهيناً بمقتل
غالب القائد صاحب مدينة سالم في خلافه . ومن شعره :

(١) يياض بالأصل لم أستطع سده من المراجع التي تحت يدي ، لأن أخبار أحمد بن شهيد
هذا قليلة ، ويخلط بعضهم بين أحمد هذا وحفيده أحمد بن شهيد الشاعر المشهور أيام الطوائف
ومعاصر ابن حزم .

وليس من العسير سد هذا الفراغ بشيء مثل :

وما ضعفوا عن حملِ ثقلٍ [عرفته] [وثاموا به إلا] اضطلعتُ به وحدى

(٢) المراد عبد الرحمن الناصر .

(٣) عبد الملك بن أحمد بن شهيد نقطة تحول كبير في تاريخ بني شهيد ، فبعد الجلالة
التي كانت لآبائه منذ أيام عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر ، نجد عبد الملك بن شهيد
وزيراً من وزراء المنصور وقديماً من ندمائه ، بل كان أقرب هؤلاء إليه وأكثرهم اجتهاداً في
مرضاته حتى لقد حاول أن يرقص في مجلسه رغم سنه العالية ، فتعامل على أصحابه ليسر المنصور
(راجع تفح الطيب للمقرئ ، طبعة أوروبا ، ١/٢٦٠ - ٢٦١ و ٢/١٧٧) . وقد ترجم
لعبد الملك بن شهيد من الناحية العلمية والأدبية أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في الصلوات

طلع البدرُ علينا فحسبناه « لَبِيدًا »
والتقينَا فرأينا هُ بعيْدًا وقريبًا^(١)

وله :

قَصَّرتَ عن شأوى فعاديتنَى أقصرُ فليس الجهلُ من شانى
إن كان [قد] أغناكَ ماتحتوى بُخلًا ، فإن الجودَ أغنانى

٩٣ - عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب

الوزير ، أبو وهب^(٢)

هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرءوف بن عبد السلام بن إبراهيم بن يزيد بن عبد الله بن جابر بن عمر بن أيوب ، مولى مروان بن الحَكَم .

(رقم ٧٥٦ ص ٣٤٩) فذكر كيف أخذ عن قاسم بن أصبغ وأبي الحزم وهب بن مسرة الحجارى ، بل شمع منه ناس أجلاء مثل أبي عبد الله بن عائد الذى ذكره فى فهرسة شيوخه بكلام كثير وقال إنه كان « أوحده الناس بالتقدم فى علم الخبر والتاريخ واللغة والأشعار وسائر ما يحاضر به الملوك مع سعة روايته للحديث والآثار ، وهو مؤلف كتاب « التاريخ الكبير فى الأخبار على السنين » بدأ فيه من عام الجماعة سنة ٤٠ و انتهى إلى أخبار زمانه المنقطعة بوفاته رحمه الله ، وهو أزيد من ١٠٠ سفر . كانت صحبتي له نحو عشرة أعوام أوفوقها ، إذ كان مجاوراً لنا بمنية المغيرة لما استقرب المنصور رحمه الله لقاءه بإسكانه فى منية النيمان بالناحية المذكورة » ، ثم ذكر - رواية عن ابن الفرضى - أنه توفى ليلة الأحد ٤ ذى القعدة ٢٩٣/٢٣ سبتمبر ١٠٠٤ . وكانت منيته من ذبحة أصابته . وكان فى السبعين من عمره لما توفى .

(١) الأصل : قريباً وبعيداً .

(٢) فى هذا الفصل يورد ابن الأبار موجزاً طيباً جداً لتاريخ ذلك البيت الأندلسى الكبير الذى عرف امرأته ببنى عبد الرءوف ، وكانوا من الظاهرين بين الشاميين من موالى الأمويين . وزيادة فى التوضيح جعلت لكل رجل من رجال البيت فقرة خاصة . وقد نسب البيت إلى عبد الرءوف ، ولو أنه لم يكن الجد الأعلى ، ولكنه أول من وصل إلى الوزارة من أفرادهِ .

وكان عبد الله بن جابر قاضياً لعمر بن عبد العزيز بالشام ، ودخل الأندلس من عقبه عبد السلام بن إبراهيم وأخواه أبو المفوز وعقبة فتنازلوا بها ، وخدموا الخلفاء وتصرفوا في الولايات .

وحكى أبو بكر الرازي أن عبد السلام ولد اثني عشر ولداً . قال : وكان أميناً^(١) للأمير عبد الرحمن بن معاوية بكورة البيرة ، ويكنى أبا الدلهات .

وولى ابنه عبد الرؤوف / طليطلة وما والاها للأمير عبد الرحمن بن الحَكَم [١١٨-١] سبعة أعوام ، وتصرف في كثير من الكور ، ثم استوزره في أخريات أيامه . واستوزره أيضاً الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وتوفى وهو وزير .

وولى عبد الوهاب بن عبد الرؤوف الكور المجندة وغيرها ، أيام الأمراء محمد وابنيه المنذر وعبد الله ، وتوفى بإشبيلية وهو عامل عليها .

وولى محمد بن عبد الوهاب كورة جيان ومات بها .

وتصرف عبد الوهاب بن محمد هذا لأمر المؤمنين الناصر عبد الرحمن بن محمد في الولايات والأمانات ، ثم استوزره . وذكره أبو بكر الزبيدي في كتاب « طبقات النحويين » من تأليفه ، وقال : كان بصيراً بالعربية ، طالع كتاب سيبويه ونظر فيه . وكان ذا كبر عظيم وبأومفرط ، ويظهر مع ذلك زهداً .

(١) الأمين هو المتولى شؤون المال في الكورة ، فهو الذي يقوم بحماية الضرائب المختلفة واستئصال نفقات الموظفين والأعمال العامة ورواتب الجند ، وإرسال الباقي (وكان يسمى « الفانض » أو « المستفاض ») إلى الإدارة العامة بقرطبة ، وكانت هذه الإدارة مجموعة من المباني ملحقة بالمقصر يُدخل إليها من باب يسمى باب السدة ، ولهذا عرفت كلها باسم باب السدة ، وكان يتبع الأمين عدد كبير من الجباة والخصّاب والمشرّفين (جمع مشرف) وهم أشبه بالمفتشين الماليين . وقد يسمى الأمين خازناً أيضاً ، ولو أن هذه التسمية تختص في الغالب بالمتولى لشؤون المال في قرطبة ، فيقال الخازن والمراد به شيء شبيه بوزير المال . وقد جرت العادة بالألا يقتصر على خازن واحد ، بل نجد في الغالب ثلاثة يسنون الخزان أو الخزنة .

والأمين هنا غير الأمين بمعنى نقيب أهل حرفه من الحرف .

وَوَلَّى الْوِزَارَةَ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ يُوْرِدُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْوِزَرَاءِ مَسَائِلَ مِنْ عَوِيصِ
النَّحْوِ ، حَتَّى بَرِمُوا بِهِ وَاسْتَعْفَوْهُ مِنْ ذَلِكَ . وَهُوَ الْقَائِلُ ، وَكَانَ سِنَاطًا :
لَيْسَ بِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ لِحْيَةٌ بِأَسْوَدَ ، إِذَا حَصَلَتْهُ ، لَيْسًا^(١)
وَصَاحِبُ اللَّحْيَةِ مُسْتَقْبَحٌ يَشْبَهُ فِي طَلْعَتِهِ التَّيْسَ
إِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ تَلَاهَتْ بِهِ وَمَاسَتِ الرِّيحُ بِهِ مَيْسًا
وَلَهُ :

قَتَلْتُ عَيْنَاكَ عَبْدَكَ قَبْلَ أَنْ تَقْضَى وَعْدَكَ
حُلَّتْ عَنْ عَهْدِ مَحَبَّةٍ لَمْ يَزَلْ يَحْفَظُ عَهْدَكَ
مَا لِأَفْعَالِكَ [...] لَا تَشْبَهُ نَدَكَ^(٢)

وَلَهُ :

إِذَا مَا بَدَا يُعْشَى الْعَيُونَ بِسُنَّةٍ مَنَافِيَةٌ تُغْفَى عَنِ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
وَوَجْهِهِ إِذَا مَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ أَنْبَصَرَتْ حَيَاهُ ظَنَّتَهُ مِنَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرُ
وَلَهُ :

أَحْوَذِيٌّ فِي مَجْدِهِ أَوْحَدِيٌّ لَيْسَ يُحْكِي سَنَاؤُهُ وَسَنَاؤُهُ
مَنْ رَأَاهُ فَقَدْ رَأَى الْغَيْثَ وَاللَّيْلَةَ شَ جَمِيعًا فِي بَأْسِهِ وَنَدَاهُ
يَسْتَمِيلُ الْعَيُونَ مِنْهُ رَوَاهُ تَرْتَوِي مِنْ حَيَاتِهِ وَحَيَاهُ^(٣)

(١) أورد نفس الأبيات أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في « طبقات النحويين
واللغويين » ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٢١ . وقد وردت
كلمة ليسا في الأصل لبسًا ، وهكذا قرأها دوزي ، فصوبتها على أصلها عند الزبيدي .
(٢) البياضان بين المعقوفات و اردان بالأصل . وقد وردت « نذك » دون نقط .
(٣) الأصل :

يستميل منه العيون رؤى وترتوي من حياته وحياه
وهو غير واضح ووزنه غير مستقيم . وقد صوبه دوزي (ص ١٣٠) كما أثبتناه .

إن بدا خلت أنه قرُّ الأُر ض وصنّواهُ حوله كوكباًه
[وله : (١)]

/ ليبنى الناسُ في مُلكه^(٢) أن ابنه التاسعُ من بعده^(٣) [١١٨-١١٩]
يقوم في المُلك مقاماته- ويحتذى فيها على قصده
أوتى حكماً فات فيه الوري فكاد أن ينطق في مهده
حُمّل أعباء المُلى فاكتفى عفواً ولم يبلغ إلى جهده

ودخل يوماً على عبد الملك بن جهّور الوزير فأقعدته إلى جنبه ، ومال إليه
بحديثه ، ثم دخل الخروبي^(٤) فأقعدته فوقه ؛ ففرج أبو وهب منضباً وكتب إليه :
بلوتك أسنى العالمين وأفضلا وأهدبَ في التحصيل رأياً وأكلا
فقل لي : ما الأمر الذي صار مُحملي لديك فأضحى مُسقطاً لي مُحملاً ؟

(١) أضفتها لسياق الكلام . (٢) هذا الشرط غير مستقيم الوزن .
(٣) هذه الأبيات - كما هو واضح - تهنئة لعبد الرحمن الناصر بابنه الحكم ولي عهده ،
والحكم بالفعل هو تاسع أمراء وخلفاء البيت الأموي الأندلسي .
(٤) محمد بن عبد الله الخروبي من كبار رجال « التدبير » أي الإدارة المدنية أيام عبد الرحمن
الناصر ، فقد ولاء في أول سنة لإمارته (سنة ٣٠٠ هـ) خزانة السلاح مع العقل ، مشتركاً
في خزانة السلاح مع حسين بن أحمد الكاتب (ابن عذارى : ١٥٩/٢) ، وفي السنة التالية ولاء
خطة العرض مع آخرين (ابن عذارى : ١٦٤/٢) ، وفي سنة ٣١٠ رقاء إلى ولاية المدينة أياماً
يسيرة (نفس المرجع : ١٨٣/٢) ، وفي سنة ٣١٣ ولاء خزانة السلاح منفرداً بها (نفس المرجع :
١٩١/٢) ، ثم تولى خطة صاحب المدينة سنة ٣١٤ ، وفي هذه الوظيفة مات في أول صفر منها .
وكان لمحمد الخروبي أخ يسمى أحمد بن عبد الله الخروبي تولى خطة العرض سنة ٣١٠ أيام
الناصر (ابن عذارى : ١٨٣/٢) . وكان له ابن يسمى عبد الله بن محمد بن عبد الله الخروبي
تولى في حياة أبيه بعض الوظائف الصغيرة .

و« العقل » المذكور في هذا التعليق خطة ، أي وظيفة مالية ، وتسمى « الاعتقال » أيضاً ،
اختصاصها الحيطة على أموال المتوفين أو الغائبين أو من تطلبهم الدولة بأموال حتى يتم الفصل
في أمرها . والإشارات قليلة في النصوص عن هذه الخطة .

تُقَدِّمُ من أضْحَى تَقَدَّمَ لَوْمُهُ لقد ضل هذا من فعالك مشكلا
وما كنت أرضى - يعلم الله - أننى أساويه فى الفردوس داراً ومنزلاً
فإن كنت قد قصرت بى عن محلتى صبرتُ ، وما زال التصبر أجلاً
ورحت على الدهر المليم ألومه فقد هيض أعلاه وغودر أسفلاً
وكنت جديراً فى كلاك أن ترى لمثلئ نصيباً من وداك أجزلاً
فأجابه عبد الملك بأبيات منها :

غَدَرْتُكَ^(١) ، إلا أن فرط محبتي وإخلاص ودى سهلاً لى التذلل^(٢)
ظلمتك فيما كان منى مجملاً على غير تحصيلٍ وعابت ، مجملاً
تقربت من قلبى ، وإن كنت أخيراً وأخرَ عن قلبى ، وإن كان أولاً
وما أجهلُ القدرَ الذى أنت أهله ولا شرفاً أضحى عليك مظلاً
فإن عن^(٣) تقصيرٌ بغير تعمدٍ ففظَّ عليه منعباً متطوِّلاً

[١١٩-١] ٩٤ - أخوه / غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام

ولى خطة العرض ، وكتب للحكم وهوولى عهد فى حياة أبيه الناصر ؛
ذكر ذلك الرازى . وأنشد له صاحب « الحدايق » :

(١) يريد : ظلمتك .

(٢) يريد : جعل لى دالة عليك .

وورد هذا اللفظ عند الزبيدى (ص ٣٢١) : التذلل ، ورواية ابن الأبار أصح . وهناك
خلافات أخرى بين النصين لا تغير المعنى ، فلم نر الإشارة إليها ، فيما عدا لفظ « ضل »
فى الشطر الثانى من البيت الثالث ، فقد ورد عند الزبيدى : ظل ، وهو أحسن .

(٣) الأصل : عز ، والتصويب من الزبيدى (ص ٣٢٢) وقد أسقط ابن الأبار
هنا أبياتاً وردت عند الزبيدى .

جُفون هَمَّتْ مَذْغَابُ عَنْهَا حَبِيبُهَا وَنَفْسٌ بِهَا لِلشُّوقِ نَارٌ تُذِيبُهَا
 تَيَقَّنْتُ إِذْ وَدَّعْتُهَا أَنْ مَهْجَتِي سَيَقْضِي عَلَيْهَا شَوْقُهَا وَنَجِيبُهَا^(١)
 شَقَقْتُ جِيوبِي يَوْمَ بَانَتْ ، وَطَلَّمَا أَطَالَ عَذَابِي مَا طَوْتُهُ^(٢) جِيوبُهَا
 وَلِلْحَبِّ حَالَاتٌ تَمُرُّ خَطُوبُهَا إِذَا قُرْنَتْ بِالْبَيْنِ تَحْلُو^(٣) خَطُوبُهَا
 مَعْدَّتِي ، لَا تَأْسَفِي ، فَلَعَلَّهَا تَعُودُ لِيَالِينَا الْقَصَارُ وَطِيبُهَا
 أَلَا لَيْتَ نَفْسِي تَسْتَطِيعُ فِدَاءَهَا وَيَأْلَيْتَهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ نَصِيبُهَا
 يَعْيبُونَهَا عَمْدًا لِأَسْلَوَ ذِكْرَهَا وَمَا عَابَ إِلَّا نَفْسَهُ مِنْ يَعْيبُهَا

٩٥ - جهور بن عبيد الله بن أبي عبدة

الوزير ، أبو الحزم

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، في تأليفه في الأنساب
 المسمى بـ « الاستيعاب » : الوزير جهور بن عبيد الله هو جهور بن عبيد الله بن
 محمد بن العنبر بن يحيى بن عبد العافر بن حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر^(٤) .

(١) الأصل ودوزي (١٣٢) : نجيبها .

(٢) قرأها دوزي (١٣٢) : ضوته .

(٣) قرأها دوزي (١٣٢) : يجلو .

(٤) هنا أيضاً يوجز ابن الأبار تاريخ بيت ثمان من بيوت الموالي الشاميين ، وهو بيت

أبي عبدة الذي تفرع عنه فيما بعد بيت بني جهور .

وقد كتب اسم حسان بن مالك ، حسان بن ملك ، والأول أصح بحسب ما نعلم ، وقد
 صوبت كتابة الاسم كما كتبه ابن الأبار نقلاً عن أحمد بن محمد الرازي ، وإلى أن نعثر على كتاب
 الرازي لا نستطيع القطع بالصورة الصحيحة للاسم .

وبيت بني عبدة هو بيت حسان بن مالك . الداخلى إلى الأندلس سنة ١١٣ / ٧٣١ ومن نسله

جاء جهور بن عبيد الله بن محمد .

وكان عبد الله مملوكاً لمروان الحَكَم ، أبلى يومَ وقية مَرَجَ رَاهِطَ بلاءَ
حَسَنًا فَأَعْتَقَهُ .

والداخل من أجداد هذا الوزير حسان بن مالك ، وهو أبو عبدة . وكان
دخوله سنةَ ثلاثِ عشرة ومائة ، قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بنحس
وعشرين سنة . وولد حسان بالمشرق أولاداً قُتِلُوا ، إلا عبد الغافر لصغره ، فنشأ
مع عبد الرحمن بن معاوية ، وتآدب معه بالمشرق . ولما قدم بدرٌ مولى عبد الرحمن
بخبزه إلى مواليه الشاميين ، استراح به إلى أبي عبدة^(١) ، فوجَّه ابنه
عبد الغافر إليه^(٢) .

فلما توطد عبد الرحمن ، استوزر أبا عبدة واستقوده ، ثم استعمله على
[١١٩-ب] إشبيلية قائداً بها ، ومضيقاً على أهل باجة وغيرها ، فملك الغرب أجمع/ خمسة
أعوام ، إلى أن توفى بإشبيلية ؛ وقبره بها^(٣) .

= ابن الغمر وبعد جهور بن عبيد الله يصبح الاسم الغالب على البيت بيت بنى جهور ، ومن هذا البيت ينحدر
أبو الحزم بن جهور الذي تولى أمر قرطبة بعد إلغاء الخلافة الأموية سنة ٤٢٣ / ١٠٣١ ومن هنا جاء الخلط بين
هؤلاء الجهاورة والجهاورة المنحدرين من يوسف بن بخت من موالى عبد الرحمن الداخل .

(١) أى أن بدرأ عندما عبر إلى الأندلس من المغرب حاملاً إلى الموالى الشاميين خبر وجود
عبد الرحمن بن معاوية عند قبيلة نفزة على مقربة من طنجة ، وأنه يرغب في العبور إلى الأندلس
ويرجو عونهم ، أفضى بدر بالخبر أولاً إلى حسان بن مالك المعروف بأبي عبدة .
(٢) أى أن أبا عبدة حسان بن مالك أرسل ابنه عبد الغافر إلى عبد الرحمن في ملجئه
عند قبيلة نفزة ليطلعه على أحوال الأندلس ويؤكد له استعداد الموالى لتأييده .

(٣) كانت إشبيلية وما يليها من غرب الأندلس ، وأكبر مدنه إذ ذاك باجة وماردة
وقورية ، من مراكز الثورة الكبرى على عبد الرحمن الداخل ، وقد اجتهد هذا في القضاء عليها
وتمهيد أمور الغرب طوال إمارته كلها . وقد تزعم الثورة في إشبيلية عبد الغافر اليماني رأس العرب
اليمانية ، وفي باجة العلاء بن مغيث الجذامي ، وكان قد لجأ إلى الدعوة العباسية ونادى بها ، وقد تمكن ،
عبد الرحمن من القضاء على عبد الغافر وإرغامه على الهرب إلى المشرق حوالى سنة ١٤٥ ، وقتل
العلاء بن مغيث بعد معركة عنيفة سنة ١٤٦ ، وولى عليها عبد الرحمن زعيماً يمينياً هو أبو الصباح
ابن يحيى اليحصبي ، فثار عليه ، وتمكن عبد الرحمن من القضاء عليه أيضاً سنة ١٥٠ . وأما لبلة
فقد ثار فيها يميني آخر هو سعيد اليحصبي المعروف بالمطري ، واتسع مدى ثورته حتى استولى
على إشبيلية ، وقد تمكن عبد الرحمن من القضاء عليه وقتله سنة ١٤٩ . =

وتصرف عبدُ الغافر في الوزارة للإمام عبد الرحمن ، و**بَرِي** ^(١) إليه بخاتمه ، إلى أن مات .

قال : وأما عبيد الله بن محمد بن الغمّر ، فإنه تصرف في السكّور وحِجَابَة الأولاد والمدينة والخيول والكتابة والقيادة ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

قال : وتصرف **جَهْوَر** بن عبيد الله في السكّور والأمانات والقيادة والمدينة والوزارة للناصر .

وقال غيره : كان عبيد الله والد أبي الحزم هذا — مع تحمّقه بالمعرفة والأدب والملاغة — ذا بأس وشجاعة وغناء في الحروب ، وله فتوح جمة ومقاوم حميدة . واستأذن الأمير عبد الله بن محمد في آخر دولته لقضاء فريضة الحج فأذن له ، وحج ثم انصرف إلى قرطبة فاتقبض عن السلطان ، وأُخِلد إلى الخمول ، وأقام على حاله تلك في داره إلى أن توفي سنة ست وتسعين ومائتين ، آخر أيام الأمير عبد الله .

وتصرف ابنه **جَهْوَر** بعده — فيما ذكره الرازي — وكان شاعراً مكثراً ؛ فمن شعره قوله من أبيات في تفضيل الورد ، وكأنه يرد بها على ابن الرومي ^(٢) :

= وهذا الخبر الذي يورده ابن الأبار عن تولية أبي عبدة حسان بن مالك قائداً في إشبيلية والغرب كله يفسر لنا سبباً من أسباب انتصار عبد الرحمن على هذه الثورات كلها .

(١) الأصل : **بَرِي** ، وقرأها دوزي (ص ١٣٣) : رى .

(٢) كان لقصيدة ابن الرومي في تفضيل الورد ومطلعها :

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا ، توردها عليه شاهد

صدى بعيد عند شعراء الأندلس ، وقد أورد أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري في « البديع في وصف الربيع » (ص ٧٠ وما يليها) طائفة من ردود الأندلسيين عليه ومحاولاتهم مضاهاته ،

مثل قصيدة أبي عثمان سعيد بن فرج الجياقي ومطلعها :

عنى إليك ، فما القياسُ الفاسدُ إلا الذي أدى العيانُ الشاهدُ

وقصيدة أبي بكر بن القوطية التي مطلعها :

كُستفت خدود النرجس المصفر من حسدٍ ، وقد يَدْوَى العدو الحاسد =

خضعت نواويرُ الرياضِ لحسنه
وإذا تبدى الوردُ في أغصانه
وإذا أتى وفد الربيع مبشراً
ليس المبشّرُ كالمبشّرِ باسمه
وإذا تعرّى الوردُ من أوراقه
وله :

يا عاتباً لى بالصـدو
أخليت من قلبى مكا
وأنا أحبك لو وثقت
وله :

[١٢٠-١] / يا لائماً والظلم من
كم قد ضرعتُ وقد سمع
فلئن رجعت كما علمت
ومتى لججت على الأذى
وله :

أسأت - لعمري - إذ أسأت بي الظننا
تجنيت في عدلى كائى مذنب
فلا تتجنّ الذنب من غير علق
وله :

ولم يشر فى هذا الموضع إلى أبيات أبي الحزم جهور بن عبيد الله ، وهى من طائر الشعر
فى الأندلس ، وقد رواها معظم مراجعتنا .
(١) جعلها دوزى (ص ١٣٤) : يزهو ، وقد أخذ ذلك عن « مطمح الأنفس » لابن
خاقان (طبعة الجوائب ، الآستانة ١٣٠٢) ص ١٥ .

وإني امرؤ محضُ المودةِ مخلصُ
وإن [زَلَّ] ^(١) يوماً في ودادي أقلتُهُ
وهل لي - فدَتَكَ النفسُ - دونَكَ راحةٌ
فمَنق بي ، ولا تعجل عليَّ ، فإنني
ولا ذنب لي - فيما علمتُ - ولم أكن
وله :

انظر إلى محن الزمان
واسمع لغمي الذاهبي
واعمل بجد الخائفي
واعلم بأنك لاحقٌ
إن الليالي ما فتئ
وتفرق السَّمَل الجبي
فخوادمٌ فيها استلب
/ رزاً إلى جنب اغترا
وفجيرةٌ سَلَفَت وكا
بأخ شقيقٍ ما أطيع
ن تَزِدُكَ في الدنيا اعتباراً
ن وكن كواحدكم حذاراً
ن ولا تم إلا غراراً
من قد كرهت له جواراً
ن تُكَدِّر العيشَ المماراً
مع وتجبُّ الأمرَ الضَّراراً
ن أحمًا دَعَوْنَ به فسارا
بِ أَرْنَا في القلب نارا
ن نت محنةً لي واختباراً
نقُ على رزيتِه اصطباراً

[١٢٠-ب]

(١) سقطت من الأصل كلمة في هذا المعنى والوزن ، وقد اقترح زيادتها دوزي (ص ١٣٥ هامش ١) . ولم يترك الناسخ بياضاً .
(٢) جعلها دوزي : « ذلك » ولا يستقيم بها الوزن ، ومن الغريب أنه يتنبه إلى انكسار الوزن في الشطر الأول ، ويضيف ما يقيمه ، ثم يسيء قراءة الشطر الثاني ويثبت ما يكسرونه .

ومنها :

اصبرُ فلست ترى على أحدٍ حاه الصبرُ عارا
قالصبرُ أنفعُ دُخْرَةً لو كنتُ آتية اختياراً!

أنشد أبو نصر الفتح بن عبيد الله الإشبيلي في كتاب « مفتح الأنفس
بومسرح التأنس في محاسن أهل المغرب والأندلس » من تأليفه أكثر هذه
الآبيات والتي قبلها ، ونسبها لأبي الحزم جهور بن محمد بن جهور رئيس قرطبة
المتأخر غلطاً منه ووهماً لا خفاء به ، وإنما هي لجدّه جهور بن عبيد الله هذا
المذكور هنا . ثم أعقب غلطه بغلط آخر أفحش منه ، فأورد أبياتا لابن فرج
فيه يرثيه ، وأتى بعد ذلك برثاء ابن زيدون فأفرط^(١) وخلط ، وألحق بالباطل
الحق . أما ابن زيدون فرثاؤه لأبي الحزم الأخير صحيح غير معترض ، وأما ابن
فرج فموته من مولده مقتربان^(٢) ، عمرك الله كيف يلتقيان ؟ وُلد جهور بن
محمد^(٣) سنة أربع وستين وثلاثمائة في الحرم ، وتوفي ابن فرج إثر وفاة الحكم
المستنصر بالله في صفر سنة ست بعدها . وللفتح أيضاً غلط ينضاف إلى ما تقدم
في نسبة بيتين لأبي الحزم هذا ، وأنشدهما الحميدي لجهور بن محمد التجيبي أبي محمد
المعروف بابن القلو ، وهو الصحيح — لأنه ذكر أنه شاهده بالمرية وكتبهما
من شعره — وهما :

قلتُ يوماً لدار قومٍ تفانوا : أين سكانك الكرامُ عايينا ؟
فأجابت : هنا أقاموا قليلاً ثم ساروا ، ولستُ أعلمُ أيننا

(١) الأصل : . . . ط .

(٢) أي أن تاريخ مولد ابن فرج قريب من تاريخ وفاة أبي الحزم بن جهور .

(٣) يريد أبا الحزم بن جهور .

ولم يلق الحَمَيْدِي أبا الحزم فيما علمتُ ، وإن كان عاصره . ولعل الفتح من كتابه استفاد هذين البيتين . واشتباه الأسماء جرَّ هذا الخلل ، وعدمُ المبالاة بضبط الموالد والوفيات كثيراً / ما يوجد الزلل^(١) . وسيأتي ذكر أبي الحزم [١٢١-١] الأندلسي الأخير في المائة الخامسة مستوفى إن شاء الله عز وجل .

(١) هذا مثل طيب جداً من تدقيق ابن الأبار وقدرته على استدراك الأخطاء . فأبونصر الفتح بن عبيد الله الذي يذكره هو ابن خاقان ، وهو أقرب عهداً إلى ما يتحدث عنه ابن الأبار ، وكان حرياً ألا يقع في الأخطاء التي أشار إليها هذا الأخير . وقد رجعت إلى نسخة « مطمح الأنفس » التي بين أيدينا (طبعة الجوائب ، سنة ١٣٥٢) فلم أجد من الأبيات التي ذكرها ابن الأبار إلا قصيدة الورد منسوبة إلى أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، وقد بدأها بيت لم يذكره ابن الأبار وهو :

الورد أحسن ما رأت عيني وأذكي ماسق ماء السحاب الجائد

وقد أعقب ابن خاقان مادته عن أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور بمادة عن « ذى الوزارتين أبي الفرج » ولم أستطع التعرف على أبي الفرج هذا الذي لا يكتب عنه ابن خاقان إلا بضع بجمعات لا تقدم ولا تؤخر ، بل هو يسميه في أثناءها أباعمر .

وواضح أن نسخة « المطمح » التي بين أيدينا إنما هي الصغرى ، وكان معتمد ابن الأبار على الكبرى أو الوسطى من نسخ المطمح التي كتبها ابن خاقان . وابن الأبار يشير هنا دون شك إلى أبي عمر أحمد بن فرج الجياني صاحب كتاب الحدائق ، فهو الذي توفي سنة ٩٧٦/٣٦٦ .

وقد فرَّق أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضببي في بغية الملتبس بين جهور بن عبيد الله ابن أبي عبدة وحفيده أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور تفريقاً واضحاً ، واختص كلا منهما بمادة (رقم ٦٢٣ ص ٢٤٣ ورقم ٦٢٥ ص ٢٤٤) .

أما جهور بن محمد التجيبي المعروف بابن الفلكور فقد ذكره الضببي تحت رقم ٦٢٤ (ص ٢٤٤) ونسب إليه البيتين اللذين ذكرهما ابن الأبار . ومن المعروف أن الضببي نقل كتاب جذوة المقتبس للحميدى حرفياً تقريباً . وترجم ابن بشكوال في الصلة (رقم ٢٩٧ ص ١٣٢) لأبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، أي الحفيد ، دون الجد . وذكر أنه ولد أول المحرم سنة ٣٦٤ وتوفي في ٢٣ محرم ٤٣٥ .

وترجم كذلك لجهور بن إبراهيم بن محمد بن خلف التجيبي ، وقال إنه أيضاً يكنى أبا الحزم وأنه من أهل مورور ، ورحل إلى المشرق للقاء الشيوخ وقال إنه لقيه في إشبيلية وأجاز له مارواه عنهم . « وكان رجلاً فاضلاً منقبضاً مقبلاً على ما يعنيه ، وتولى الصلاة بموضعه . .

وتوفي ببلده سنة ٥٢٦ »

٩٦ - أخوه محمد بن عبيد الله

هو أسنُّ من أخيه جهور ، وجهور أشهر منه ، وتصرف محمد هذا في
السكر والقيادة - قاله الرازي . وأنشد له الحميدى يخاطب أبا عمر
ابن عبد ربه :

أعدها في تصايها خداعاً^(١) فقد فضت خواتمها نزاعاً
قلوب يستخف بها التصابي إذا أسكنتها^(٢) طارت شعاعاً
فأجابه :

حقيق أن يصاخ لك استماعاً وأن يمصى العذول وأن تطاعاً
متى تكشفت قناعك للتصابي فقد ناديت من كشف القناعا
متى يمش الصديق إلى فتراً مشيت إليه - من كرم - ذراعاً
جدد عهد أهوك حين يبلى ولا تذهب بشاشته ضياعاً

٩٧ - عبد الرحمن بن بدر بن أحمد

كان بدر^(٣) وصيفاً للأمير عبد الله ، فأعتقه وصرّفه في الخطط الشريفة .

(١) قرأها دوزي أيضاً (١٣٧) : جذاعا . والمراد : أعدها هيئة شابة .

(٢) في الأصل : سكتها ، وقد صوبتها للوزن والمعنى . أما دوزي فقد جعلها : سكتت
لنا .

(٣) هو بدر بن أحمد الصقلي وصيف الأمير عبد الله ، وقد سبقت الإشارة إليه . ومن
الغريب أن يوصف بدر في المراجع بالخصي ويكون له رغم ذلك ابنان : عبد الرحمن هذا =

ثم ولاة الناصر الوزارة والحجابه والقيادة والخيل والبُرد ، وكان ينفرد بالولايات
فتم كتب السجلات في داره ، ثم بيعها للطبع فتُطبع^(١) وتُخرج إليه ، فيبعث في
العمال وينفذون على يديه . وولى عبد الرحمن هذا الكتابة والوزارة والمرض
والخزانه للناصر ، وصرفه في عمارة^(٢) كورة إشبيلية . ومن شعره :

لسانى كان من أعداء قلمي إذ ألزمت الذنوب بغير ذنب
إلى من أشتكى عدوى اعتذارٍ أمرًا مذاقتى طعمى وشربى
وأسهر مقلتي وأسأل دمعى لفرط الوجد ، سكباً بعد سكبٍ ؟
وله :

يا وردةً وسط روضةٍ سَفَرَتْ لورمتها باللحاظ لا تثرث
ودرةً في الجمال مفرغنةً لولا حجابٌ يُكِنُّها بهرت
/دع كبدى في الضلوع آمنةً وخذ جفونى فإنها نظرت [١٢١-ب]

=عبد الله . وكان عبد الرحمن الناصر عندما تولى الإمارة رقى بداراً إلى الحجابه أى رئاسة الوزراء -
ثم أجرى رزقا - أى قدر مرتباً - لكل من عبد الرحمن وعبد الله قدره ٣٠ ديناراً وأزنة .
وبعد ذلك بقليل ولى عبد الرحمن بن بدر خطة الخيل ، وفى نفس السنة (رمضان ٣٠٠) استخلف
عبد الرحمن بن بدر مع موسى بن محمد بن حدير صاحب المدينة على القصر عندما خرج فى حملته
على ناحية جيان ، وفى سنة ٣٠٢ عزل عبد الرحمن عن خطة الخيل ، ثم تنقل فى الوظائف بعد ذلك ،
وكانت آخر وظيفة تولاها حكومة إشبيلية .

والراجع أن ابن حيان خلط بين بدر بن موسى - وكان مولى خصياً عاش وخدم أيام
عبد الرحمن الناصر وظهر اسمه أواخر أيامه - وبدر بن أحمد . فقد كان بدر بن أحمد هذا فحلاً
لا خصياً ، كما هو واضح .

(١) - أى يرسلها إلى باب السدة لتختم بخاتم الدولة ثم ترد إليه ليرسل بها إلى العمال ليقوموا
بالتنفيذ تحت إشرافه .

(٢) كذا فى الأصل . والأصح هنا : عمالة ، وهى آخر الوظائف التى تولاها عبد الرحمن
ابن بدر بن أحمد . ولا بأس هنا كذلك بلفظ عمارة .

٩٨ - إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد، أبو بكر

كان مولى نعمة لبني أمية ، وولى إشبيلية للناصر عبد الرحمن بن محمد ، وكان أثيراً لديه ، ومنادماً له ، وعاش إلى أول دولة ابنه الحكم المستنصر بالله . وقد سئل عنه الحديث لسماعه من بَقِيّ بن مخلد وألحشني ومحمد بن وضاح وطبقتهم ، فاحتاج إليه الناس - ذكره ابن القرضى في تاريخه ، وذكر أن صناعة الشعر غلبت عليه^(١) ؛ وهو أحد المبكرين . أنشد له ابن فرج في « كتاب الحدائق » من تأليفه :

وذى لجبٍ كالبحر عبّ عبابهُ فضاقت به رحبُ الفلا والتنائفِ
قريبُ الخَطْبِ ، نأى المدى ، مالى الملا بجمع تراه واقفاً غير واقفِ
تركنا به أرضَ العدو كأنها مجاهل للمرتاد غير معارفِ
غدت بعد سَحْبِ البيض فيها ذيوها تجرّ ذبول الطامسات العواصفِ
وله فى الناصر :

لو كان يُعبَد دونَ الله من أحدٍ ما كان غيرك فى الدنيا بمعبودِ
قد فات قدرُك وصفَ الواصفين فما ذكراك إلا بتحميدٍ وتمجيدِ
لما ذكرتُك يوماً قلتُ من جدلٍ : يا نعمةَ الله فى أيامه زيدى !

(١) ذكر ابن عذارى (١٥٩/٢) أن عبد الرحمن الناصر ولى إسماعيل بن بدر كتابته الخاصة فى ربيع الآخر ٣٠٠ . أما ترجمة ابن القرضى له فهى رقم ٢١٤ ج ١/٦٢ ، وقد أضاف إلى ما رواه عنه ابن الأبار أنه ولى أحكام السوق فحُمد أثره فيها وتوفى فى أول ولاية المستنصر بالله سنة ٣٥١ .

وذكر ابن الأبار شيوعه ومنهم بقى بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الحشنى ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وعبد الله بن مسرة وعبيد الله بن يحيى .

وله في بيعة المستنصر بعد وفاة أبيه الناصر :

لئن غربت شمسٌ لقد طلعتُ شمسٌ فما في صلاح الأرض ريبٌ ولا لبسٌ
بمستنصرٍ بالله دانَ لملكه وأيامه الميمونة الجن والإنسُ
تولّى أميرُ المؤمنين فأصبحوا وما بينهم نجوى بقدوى ولا همسُ
فلا سقيتُ أرضٌ بغيرِ سحابه بلالاً ، ولا سُرَّتْ لساكنها نفسُ
وإن شدَّ جِلسٌ لا يكونُ ثيابهُ فلا نهضت يوماً بمن شده عنسُ

[١-١٢٢]

/ وأنشد له الحَمِيدِي عن أبي محمد بن حزم :

أناجي حُسنَ رأيك بالأمانى وأشكو بالتوهم ما شجاني
ولى بـ«عسى» و«لو» و«لعل» رَوْحٌ ينقُّسُ عن كئيبِ القلبِ عانِ
وتحضُّ هوى بظهر الغيبِ صافٍ ترى عيني به من لا يراني
على ذاك الزمانِ — وإن تقضى — سلامٌ لا يبيدُ على الزمانِ
كفاني — يامدى أملى — بعادٍ تمنيتُ الماتَ له ، كفاني

وله يرثي ابنه :

غرستُ قضيباً زعزعتَه يدُ الردى نخلوا دموعَ العين تبكِ على غرسى
وهذا حامُ الأيِّكِ يبكى هديله فما هديلى لا تذوبُ له نفسى ؟

وله فيه :

ما حزنٌ يعقوبَ على يوسفِ أشد من حزنى على أحمدِ
أحمدٌ ملحودٌ ، فهل نستوى وذاك لم يُقبر ولم يُلحدِ ؟
وكان يرجوه ، وهل أرتجى هذا وقد غمضته باليدِ ؟

وله في توتٍ أهداه :

تفاءلتُ بالقوتِ التَّائِي لُزورَةَ وذلكُ^(١) قالَ - ما علمت - صدوقُ
فأهديتُهُ غَضًّا حكيَ حدقَ المَها له منظرٌ بالحسنِ منه يروقُ
وبعضُ حكيَ الياقوتَ منه احمرارُهُ وما مجَّه - للذائقينِ رحيقُ
فذا سَبَّجٌ - فيما يُرى - لاسودادِهِ وذا - لاحمرارِ اللونِ منه - عقبقُ

٩٩ - عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب

ولاه الناصرُ عبد الرحمن بن محمد ما كان بيد أبيه - أحمد بن يعلى ، قائده
الجليل المقدار ، الحميد الآثار - من قيادة الجوف (بَطْلَيْوَس وأعمالها) حين نوه
بأحمد المذكور ، وولاه طُلَيْطَلَةَ وأعمالها من الثغر الأدنى ، ورفع رزقه إلى أرزاق
الوزراء ، مع مقامه على خطته في الشرطة العليا ، وسُمي قائد الأعنة ، وذلك
[١٢٢-ب] في صفر / سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . فأغنى عبيد الله في قتال الروم غناءً أبيه ،
وتوالت له فيهم فتوح . وكان أديباً شاعراً ؛ وهو القائل من قصيدة :

ترى الأرضَ فينا لا يَقرُّ قرارُها إذا لم يُسئها من أمية سائسُ
ذوو المَضِباتِ الشَّمِّ والأبجُرِ التي تغيضُ ملاءَ والملوكُ الأشاوسُ
هم ذهبوا بالمكرُماتِ ولم يزلُ لهم جبالُ العزِّ القديمِ القوامسُ^(٢)
وهم تزلوا من خِندِفٍ^(٣) حيث تلتقى رؤوسُ قُصَيِّ في الذرى والمغاطسِ

(١) في الأصل : وذلك وقد قومتها لوزن الشعر .

(٢) كذا في الأصل . ولعل صحتها القداس تأييداً لقدمها .

(٣) خندف هي امرأة إلياس بن مضر وقد أنجبت منه مُدْرِكَةَ وبطابحة وقَدْحَمَةَ ،

وعن طريق مدركة بن إلياس اتصل عمود النسب ، أي أنها الجددة العليا لقريش ، وإلى هذا يشير الشاعر .

انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (بتحقيق إبراهيم الإيباري ، القاهرة

١٩٥٩) ص ٢٤٨ . وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ١٨٦ .

وهم غمّسوا في جفنة الطيب قبل أن يرى أحدهم من قومهم وهو غامس
وهم أوقدوا حرب الفجار حفيظةً فقامت بها أعياصهم والعنابس^(١)
بهايل من إن يستضيف إليهم بما شيدوا إلا الخصال النفائس
إذا سوجلوا لم يحتملهم مساجل وإن قويسوا لم يستطعهم مقاس
تطيف بهم ساحات مكة في العلاء وتكفئهم منها البطاح الأمالس
وكان أخوه يعلى بن أحمد أديباً أيضاً ، وسيأتي ذكره .

١٠٠ - جعفر بن عثمان المصحف

الحاجب الوزير ، أبو الحسن

هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كسيلة من برابر
بلنسية ، ينتمي إلى قيس بالمخالفة .

وذكر ابن الفرضي في تاريخه أباه عثمان وقال في نسبه بعد نصر : ابن
عبد الله بن حميد بن سلمة بن عباد بن يونس القيسي .

وكان قد أدب الحسك ، وذلك أزلف جعفراً عنده وأدناه منه فاستخدمه
بالكتابة في إمارته . وولى جزيرة ميوزقة في أيام الناصر ، ثم تقلد الحسك

(١) الأعياص هم أبو العاصي والعاصي وأبو العيص أبناء أمية الأكبر ابن عبد شمس
ابن عبد مناف . والعنابس هم سفيان وأبو سفيان وعمر وأبو حرب أبناء أمية الأكبر ابن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف ، سموا العنابس - أي الأسود - لثباتهم في حرب الفجار واستطاعتهم
فصر قريش على قيس عيلان .

انظر : المصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ٩٧ .

العقد الفريد ، بتحقيق أحمد أمين وآخرين ، ٣/٣٠٦ .

الخليفة فاستوزره ، وأمضاه مع ذلك على كتابته الخاصة ، وضم إليه بعد مدة ولاية الشرطة ، وأخذه ابنه هشاماً .

[١٢٢-١] وأقام على ذلك إلى وفاة الحكم واستخلاف هشام / ابنه ، فحجبه يوم قعوده للبيعة ، وذلك يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعن يمينه ويساره الفتيان جُوذُر وفائق ، ثم أهل الخطط على منازلهم . وكان القائد محمد بن عبد الله بن أبي عامر — وهو إذ ذاك يتولى الشرطة الوسطى والسكة والواريث والوكالة^(١) — يشرف على عقد الشهادات في نسخ البيعة بين يديه ، بعد ما كان القاضي محمد بن إسحاق بن السليم يأخذها على طبقات من شهدائها من الأعمام وأبنائهم والوزراء وضروب أهل الخدمة ورجالات قريش وأعلام قرطبة — حكى ذلك عيسى بن أحمد الرازى .

قال : ثم لما كان يوم السبت لعشر خلون من صفر المؤرخ ، قلد هشام حجابته جعفر بن عثمان لقدم صحبته لأبيه المستنصر ، وكان المستنصر قد شرفه لتأديب أبيه عثمان بن نصر له ، وصرفه في الأعمال ، وقدمه إلى الكور ، ثم استكتبه وهو ولى عهد — وذكر نحواً مما تقدم من خبره — قال : ثم قدم هشام المؤيد ابن أخيه هشام بن محمد بن عثمان إلى خطة الخيل ، ثم إلى الوزارة ، وولى بنيه — محمداً ، وعثمان ، وعبد الرحمن — وأخاه سعيداً ، وابن أخيه محمداً ، الشرطة العليا والوسطى ، فلم ينهض بعبء ما قلده ، وخلف على المدينة ابنه محمداً

(١) أى وكالة أبناء الخليفة ، وقد أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا للولد (أى الأمير) عبد الرحمن بن الحكم المستنصر فى ٩ ربيع الأول سنة ٣٥٦ ، « وأجرى عليه فى ذلك الوقت ١٥ ديناراً فى الشهر مرتباً بالوازنة » . ولما مات عبد الرحمن هذا أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا لأخيه هشام ابن الحكم فى ٤ رمضان سنة ٣٥٩ . وكان قبل ذلك قد تقدم للنظر فى أمانة دار السكة فى ١٣ شوال ٣٥٦ ، ثم أضيفت له الخزانة ، ثم قدمه الحكم المستنصر على خطة المواريث فى ٧ محرم ٣٥٨ ، وفى سنة ٣٦١ تولى الشرطة الوسطى .

فأساء السيرة . وزكا على المحبة أبو عامر محمد بن أبي عامر ، فبسط المؤيد يده وقبض يد جعفر بن عثمان ، فأداله وابن أخيه .

وقال ابن حيان : استطال عليه محمد بن أبي عامر بكفايته ودفاعه العدو المتكالب ، لأول ولاية هشام ووفاة الحكم ، واستظهر على ذلك بمصاهرة غالب القائد مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد .

وقد كان غالب — فيما حكى الرازي — شارك جعفر بن عثمان في الحجابة ، وصيّر فراشه في الصدر ، وعن يمينه جعفر ، وعن يساره أبو عامر للوزارتين . قال ابن حيان : فآدى ذلك إلى القبض على جعفر ، وعلى ولده وأسبابه ، وعلى أخيه هشام وسائر أقاربه ، وطولبوا بالأموال . وكان ابن أبي عامر يحمل جعفراً معه في الغزوات ، تعنيقاً وانتقاماً منه . فلما بان عجزه وضعف ، أقر بالمطبق إلى أن هلك فيه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، فأسلم إلى أهله في أقبح صورة — وقيل : قُتل خنقاً^(١) . وكان مقدماً في صناعة الكتابة ، مفضلاً على طبقة بالبلاغة . [١٢٣-ب]

وله شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الإجابة ، وتصرفه في أفانين البيان ؛ وهو القائل :

سألتُ نجومَ الليل : هل ينقضى الدجى ؟ نخطتُ جواباً بالثريا كخطِّ « لا » !
وكنتُ أرى أنى بأخِر ليليةٍ فأطرقُ حتى خلتُ به عاد أوّلا
وما عن هوى سامتُها ، غير أننى أنافسُها المجرى إلى رتب العالا

(١) أوجز ابن الأبار كلام الرازي وابن حيان هنا إيجازاً شديداً ، وقد أورد هذه الأخبار بصورة أوفى ابن غذارى في البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥١ وما يليها .

وله :

أما والهوى- ما كنت أعرف ما الهوى ولا ما دواعى الشوق حتى تكلمنا
دعاني بلفظٍ لو دعا « يذُبلًا »^(١) به للّبَاءُ مشتاقًا ووافاه مُغرَمًا

وله ، ويروى لغيره :

كلتني فقلتُ : درٌّ سَقِيطُ فتأملتُ عِقْدَهَا هل تناثرُ
وازدهاها تبسُّمٌ فأرتنا عِقْدَ درٍّ من التَّبَسُّمِ آخِرُ

وله :

إن فاهَ أَشْرَبَتِ الضلوعُ هوى حتى كأنَّ جَمِيعَهَا أذنُ
لا تُفكروا كلفَ الضلوعِ بهِ فحْدِيثُهُ لوجيها سَكَنُ

وقرأت في كتاب « الفرائد في التشبيه » لابن أبي الحسن القرطبي

منسوباً إليه :

بادرُ ، فإنَّ نذيرَ الغيثِ قد نذرا مجدداً لسرورٍ كان قد دثرا
أرختُ عزاليهِ واضطَّرتَّ^(٢) بعنصره ريحُ الصَّبَا واستدرَّتْ دمعهُ فجرى
أوفى فبرِّد من حرِّ القلوب كما أوفى علينا حبيبٌ طالما هجرا
فلاقِه بكَووسِ الرَّاحِ مُترَعَةً شكراً له ، فكَرِيمُ القومِ من شَكرَا

(١) يذبل هو الجبل الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله :

فيالك من ليل كان نجومه بكل مغارة الفتل شدت يذبل

ولكن دوزى قرأها يذبل بالبدال المهملة وقال يحاول تفسيرها : Diable, à ce qu'il parait :

وكانه تصور أن هناك علاقة ما بين « دبل » و « ديابل » أو « ديابولو » بمعنى الشيطان !

(٢) الكلمة غير واضحة فى الأصل ، وأقرب قراءة لها : واصرت ، ولا يستقيم بها

الوزن . وقرأها دوزى : وأهزت ولا يستقيم بها الوزن أيضاً ، وكان أقرب لوقال : وأهزت.

وقد جعلتها : واصطرت بمعنى صوتت كما فى لسان العرب (مادة صرر) .

وله فى سوسنة :

ياربَّ سوسنةٍ قد بتُّ ألتُّمها وما لها غير طعم المسك من ريقِ
مصفرةُ الوسط ، مبيضٌ جوائبها كأنها عاشق فى حجر معشوق

وله فى الخيال :

لئن سلبونى شخصه ووصاله لما قدروا أن يسلبونى خياله
إذا حجبت عنى الحوادث وجهه أقام الهوى لى حيث كنت مثاله

[١٢٤-١]

/وله :

وكم مهمه لا يوجد الركب مشرعاً قطعت ، وبجرٍ شامخ الموج أسفعا
خضم إذا استعلت به الشمس لم يزل يطاولها حتى تمل فتخضعا
تغيب وتبدو فيه حتى كأنما غدا مغرباً تجرى إليه ومطاما
إذا ما ارتمت أمواجه خلت أنها ذرى الشم أمتنا من البر نرعا
تقاذف فى رعب الجمال بسيطها يرد وفود الريح حسرى وظلما

وله فى تفاحة :

لمرى لئن أهديت نفسى وما حوت فأنت بها منى أحق وأملك
ولكننى أهدى التى^(١) لا تردها يمين ولا فيها لذى اللحظ مترك
تناولتها من غصنها وكأنها من الحسن ذاك الناجم المتفلك

وله فى سفرجلة :

ومصفرة تحتال فى ثوب نرجس وتعبق عن مسك ذكى النفس
لها ربح محبوب وقسوة قلبه ولون محبوب حلة السقم مكثس

(١) فى الأصل : الذى ، وقرأها دوزى (ص ١٤٤) : يدا .

فصُفرتُها من صُفرتى مستمارةً^(١) وأنفاسُها في الطيب أنفاسُ مؤنسى^(١)
 فلما استتجمت في القضيبي شبابها وحاكت لها الأنواء أبردًا سُدسِ
 مدتُ يدي باللطف أبغى اقتطافها لأجعلها ريماني وسَطَ مجلسي^(٢)
 وكان لها ثوب من الزُّعب أغبرٌ يرفُّ على جسم من القبر أملس^(٣)
 فلما تعرَّت في يدي من لباسها ولم تبق إلا في غلالة نرجس
 ذكرتُ بها من لا أبوح بذكره فأذبلها في الكف حرُّ تنفسي
 وله وقد أهديت إليه رامشنة ورد في زمن البرد ، فاستغربها وكتب
 إلى مهيها :

لعمرك ما في فطرة الروض قدرةٌ يحيلُ بها مجرى الزمان عن القصدِ
 ولكنها أخلاقك الغر نبهت برَبِّك^(٤) في كانون نائمة الورد

(١) الأصل : مؤنس .

(٢) الأصل : مجلس .

(٣) بعد هذا البيت أورد ابن خاقان في « مطمح الأنفس ومسرح التانس في ملح أهل الأندلس » (الجواب ١٣٠٢) ص ٥ بيتاً آخر هو :

فبزت يدي غضباً لها ثوب جسمها وأعريتها باللطف من كل ملبس

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أكلتها من « البديع في وصف الربيع » لأبي

الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ، ص ١٢٠ . وقد أورد بعد ذلك بيتاً هو :

كأنك قد أمطرتها ديمةً المجد وأجريت في أغصانها كرم المهـد

وقد قدم الحميري للأبيات بقوله :

« فن المستندر في الورد قول الحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصنفى ، وقد أهدى

إليه الوزير زياد بن أفلح ورداً سبق إليه من ريئة في شهر كانون الآخر »

وقال بعد ذلك :

« فلما وصل هذا النظم المستلح إلى زياد بن أفلح بعث إليه بوردة كان احتبسها لنفسه ،

فبعث إليه بيتين وهما :

فاجاني كانونٌ بالسورد فزادني وجداً إلى الوجد

وردُ الملا أهلى لنا وردةً يا حبيذا الورد من الورد »

وله في الخمر ، وقد أنشد ذلك أبو منصور الثعالبي في « اليتيمة » :

صفراء تطرق في الزجاج فإن سرت / في الجسم دبَّت مثل صلِّ لادغ [١٢٤-ب]
خفيت على شرابها فكأنما / يجدون رياءً في إناء فارغ
عبث الزمان بجسمها قدسرت / عن عينها في ثوب نورٍ سايع
وله :

كم ليلة بت أطويها وأنشراها / ولا أرى في الذي أفضى بها حرجاً
في فتية نُجِب صاروا بمعتك / يجري النعيم على الصرعى بها خلجا
والجو ملتحف [.....] (١) / والنجم مكحولة الحاظه دعجا
لَقُوا دَجِي لَيْلِهِمْ فِي نَوْرِ (٢) كَأْسِهِمْ / ونفسوا من خناق الزق فانبِلجا
وله :

لِعينيكَ في قلبي على عيون / وبين ضلوعى للشجون فنون
لئن كان جسمي مُخَلَقاً في يد الهوى / فحبك غرض في القواد مصون
نصبي من الدنيا هواك ، وإنه / عذابي ولكنى عليه ضنين
وله :

يا ذا الذي لم يدع لي حبه رمقا / هذا مُحِبك يشكو البث والأرقا
لو كنت تعلم ما شوق إليك ، إذا / أيقنت أن جميع الشوق لي خُلِقا
لم يُبصرِ الحُسنَ مجموعاً على أحدٍ / من ليس يبصرُ ذاك الخلد والعنقا
وله في وفاة الناصر عبد الرحمن بن محمد وبيعة ابنه المستنصر بالله الحَكَم

ابن عبد الرحمن :

(١) بياض بالأصل .

(٢) في الأصل : . . . وكاسهم ، فأكلتها على هذه الصورة .

ألا إنَّ أيامًا هَفَّتْ بِإِمَامِهَا
تَأَمَّلْ : فهل مِن طَالِعٍ غيرِ آفِلٍ
وَعَابِنُ : فهل مِن عَائِشٍ بِرِضَاعِهَا
كَأَنَّ نَفُوسَ النَّاسِ كَانَتْ بِنَفْسِهِ
فَطَارَ بِهَا يَأْسُ الْأَمْسِ وَتَقَاصَرَتْ
/ ومنها له :

[١-١٢٥]

إِمَامٌ تَلَقَّتْهُ الْخِلَافَةُ صَبَبَةً
فَصَارَتْ إِلَيْهِ فِي حُدُودِ تَمَامِهِ
فَلَمْ يَنْتَقِلْ بِالنَّاسِ يَوْمَ انْتِقَالِهَا
أَتَوْهُ فَأَعْطَوْهُ الْمَوَاتِقَ عَنْ هَوَى
وَنَاولَهُمْ كَفًّا يَطُولُ الْهُدَى بِهَا
أَنَافَ عَلَى الدُّنْيَا بَعَيْنٍ مَحِيظَةٍ
وله :

يَطَالَعُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ بَغْرَةً
إِذَا مَا تَرَاهُ تَهَ الْعَيُونَ تَوَاضَعَتْ
عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ جَلَالَةٌ
يَقْصُرُ بِالْأُلْحَاطِ أَنْ تَسْتَبِينَهَا
وله مما قاله بديها بين يدي الحكم ، عندما بشر بولادة ابنه هشام :

أَطَّلَعَ الْبَدْرُ مِنْ حِجَابِهِ
وَاطَّرَدَ السِّيفُ مِنْ قِرَابِهِ
وَجَاءَنَا وَارِثُ الْمَعَالِي
لِيُثْبِتَ الْمُلْكَ فِي نِصَابِهِ

(١) الأصل : نسيم ، ولا يستقيم به الوزن ، وهكذا صوبه دوزى ، ص ١٤٥ .

بشّرنا سيّد البرايا بنعمة الله في كتابه
لو كنت أعطى البشير عمري لم أقض حقاً لِمَا أنى به
وله في نكته :

تأملتُ صرفَ الحادثات فلم أزلُ أراها تُوفى عند مقصدها الحرّاً
فله أيام مضت لسبيلها فإني لا أنسى لها أبداً ذِكراً
تجافت بها عنا الحوادثُ برهةً وأبدت لنا منها الطلاقة والبشراً
ليالى لم يدرِ الزمانُ مكاننا ولا نظرتُ منا حوادثه شزراً
وما هذه الأيامُ إلا سحائبٌ على كلِّ حالٍ تُمطر الخَيْرَ والشرّاً
/ وله :

[١٢٥-ب]

أجارى^(١) الزمانَ على حاله مجارةً نفسى لأنفاسها
إذا نفسٌ صاعداً شفاها توارت به بين جُلاسها
وإن عكفت نكبةً للزمان عكفتُ بصدري على رأسها

وله يستعطف المنصور محمد بن أبي عامر ، وكتب إليه بها من محبسه :

هبنى أسأتُ ، فأين العفو والكرمُ إذ قاذى محوك الإذعان والندمُ ؟
يا خيرَ مَنْ مُدَّتِ الأيدي إليه ، أما ترى لشيخٍ ناه عنك القلم ؟
بالتت في السُّخْطِ فاصفح صفح مقتدرٍ إن الملوك إذا ما استرحموا رَحِمُوا

هذه الأبيات متنازعة ، ينسبها إلى المصنفى جماعة ، وقد وجدتها منسوبةً
إلى أبي عمر بن دَرَّاج القسطلي ، وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق في

(١) الأصل : أجاز . وقرأها دوزي (ص ١٤٦) : أجازى .

تاريخه أنها لكتاب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب^(١) . وكلاهما أساء الرد على من قالها وتمثل بها ؛ أما إبراهيم فقال ، لجهله وفضاظته وقلة رحمته : « إن الملوك إذا ما استرحموا قتلوا ! » وبعث إليه من قتله . وقرأت في « كتاب الافتخار » لأبي بكر عتيق بن خلف القيرواني ، أن إبراهيم بن أحمد لما قرأ رسالة كاتبه إليه من محبسه ، قال : « يكتب إليّ « هبني أسأت » وهو قد أساء ؟ والله لو كتب إليّ بقول الأول :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبيننا
لعفوت عنه « ، ثم أمر به فجعل في تابوت وأحرق بالنار وهو حي^(٢) وأما ابن أبي عامر فأمر عبد الملك بن إدريس^(٣) أن يجاوبه عن هذه الأبيات ، فقال :

(١) لم نجد هذه الأبيات في ديوان ابن دراج ، ووجدتها عند ابن عذاري منسوبة إلى محمد بن حيون المعروف بابن البريدي كاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (البيان المغرب : ١٣١/١) .

وقد روى ابن بسام نفس الأبيات في الذخيرة (القسم الرابع - المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥) ص ٥١ دون أن ينبه إلى شيء مما فيه إليه ابن الأبار ، وهذا من الشواهد الكثيرة على سعة اطلاع ابن الأبار بالقياس إلى علامة جماع كتابين بسام .

(٢) لم يذكر ذلك ابن عذاري ، وهو ينقل أيضاً عن أبي إسحاق القاسم بن الرقيق ، وإنما قال : « ثم أمر - قبحه الله - به فجعل في تابوت حتى مات ، رحمه الله تعالى » . البيان المغرب : ١٢٢/١ .

(٣) هو أبو مروان عبد الملك الجزيري أحد شعراء المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر ، وهو معلود بين كبار شعراء عصره وأدبائهم . ومن الطريف أن عبد الملك الجزيري سارع إلى الرد على أديب مثله هو جعفر بن عثمان المصنف متكلماً بلسان طاغية جبار ، فأرادت المقادير أن يلقى نفس الميتة على يد عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، إذ أنه مازال يسعى حتى وصل إلى الوزارة أيام المظفر ، ودفعه حقه على عيسى بن سعيد القطاع ، أكبر وزراء المظفر ، إلى التأمير على هذا الأخير مع فتاه الصقلي طرفة ، ففشل فيما سعى إليه وقبض على طرفة وعليه ، وأودع نفس المطبق الذي مات فيه جعفر المصنف ولقى نفس النهاية في شوال سنة ٣٩٤ . قال ابن حيان : « أخبرني أبي خلف بن حسين قال : سألت الذي تولى قتل الجزيري في محبسه ، -

الآن يا جاهلاً زلت بك القدمُ تبغى التكرمَ لما فاتك الكرمُ ؟
 أغريت بي ملكاً لولا تثبته ما جاز لي عنده نطق ولا كلم
 فإياس من العيش إذ قدصرت في طبقٍ إن الملوك إذا ما استنقموا نقموا
 نفسى إذا سخطت ليست براضيةٍ ولو تشفع فيك العرب والعجم
 ويقال إن الأبيات لابن أبي عامر . وكلتا الفعلتين من أفعال الجبارة الذين
 أطعمتهم النعمة ، ونزعت من قلوبهم / الرحمة .

[١٢٦]

والمصنفى لما يئس من المنصور وصفحته :

لا تأمنن من الزمان تقلباً إن الزمان بأهله يتقلبُ
 ولقد أرانى والليوث تخافنى فأخافنى من بعد ذلك الثعلبُ
 حسبُ الكريم مذلةٌ ونقيصةٌ ألا يزال إلى لئيمٍ يطلبُ
 وإذا أتت أعجوبةٌ فاصبر لها فالدهرُ يأتي بعدما هو أعجبُ
 وله :

لى مدةٌ لا بدَّ أبلغها فإذا انقضت أيامها متُ
 لو قابلتنى الأسدُ ضاريةً - والموتُ لم يُقدَّرْ (١) - لما خِفتُ
 فانظر إلى وكن على حذرٍ فبمثل حالك أمسٍ قد كنتُ

= فجعل يصف لى سهولة ما عاناه منه لقصافته وضعف أسره ، ويقول : « ما كان الشئ إلا كالفرج في يدى ، دقت رقبته بركبتي ، فإزاد أن ففخ في وجهي » ، فعجبت من جهل هذا الأسود . الذخيرة لابن بسام ، القسم الرابع - المجلد الأول ، ص ٣١ - ٣٦ .

(١) فى الذخيرة (القسم الرابع المجلد الأول ، ص ٥١) :

* والموت لم يَدن لما خِفتُ *

وفى نسخة أخرى : لم يقرب .

١٠١ - محمد بن عبد الله بن أبي عامر

الحاجب ، المنصور أبو عامر

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك المعافري ، أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله ، والغالب عليه . أصله من الجزيرة الخضراء ، ولسلفه بها قدر ونباهة ، وقدم قرطبة شاباً ، فطلب بها العلم والأدب وسمع الحديث . وكان أبوه - أبو حفص عبد الله - قد سمع الحديث أيضاً ، وصحب أبا محمد الباجي الراوية في الأخذ عن الشيوخ بقرطبة ؛ وقد ذكرته في كتابي الموسوم بـ « التكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال »^(١) .

وكانت للمنصور همة ترمي به المرامي ، ويحدث نفسه بإدراك معالي الأمور ، ويزيد في ذلك حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك ، فتم له مراده . وكان أحد أعاجيب الدنيا في ترقيه والظفر بتمنيه : تصرف أول أمره في الوكالة لصبح أم هشام ، والنظر في أموالها وضياعها ، والجد ينهض به ، والأقدار تساعده . إلى أن توفي الحكم وقلد هشام الخلافة وهو صغير .

ولما انتفض العدو على أمر ذلك ، وخيف الاضطراب ، ولم يكن عند المصحفي

(١) راجع ترجمة أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر المعافري والد المنصور محمد بن أبي عامر في تكملة الصلة لابن الأبار رقم ١٢٥١ ج ١ ص ٤٣٧ ، وقد قال فيه بعد أن ذكر شيوخه : « ورحل إلى المشرق فأدى الفريضة ، وكان من أهل الدين والخير والصلاح والزهد والقعود عن السلطان ، أثنى عليه الراوية أبو محمد الباجي وقال : كان خير صديق أنتفع به وينتفع بي ، وأقابل معه كتبه وكتبى ، ومات منصرفه من حجه ، ودفن بمدينة طرابلس المغرب » . وذكر أيضاً أنه مات برقادة آخر خلافة الناصر .

غناه ولا دفاع ، ضَمِنَ محمد بن أبي عامر لصبح أم هشام سكونَ الحال وزوالَ الخوف واستقرارَ الملك لابنها ، على أن يُمدَّ بالأموال ويُجملَ إليه قودُ الجيوش ، إلى ما كان بيده من الخطط السنوية . وهو — بقوة نفسه وسعادة جده — [١٢٦-ب] يَعدُّ النصر ولا يمتري في الظهور ، ويستعجل الأسباب المعينة على الفتح ، حتى أسعفَ ولقى العدو فهزمه . ووالى غزوَ بلاد الروم علىَ القدم ، منصورَ العلم ، لا يُخفق له مسعى ولا يؤوب دون مغنم — كَرَّةً بعد أخرى — إلى أن صار صاحب التدبير ، والمتغلبَ على جميع الأمور . فدانت له أقطار الأندلس كلها ، وأمنت به ، ولم يضطرب عليه منها شيء أيام حياته ، لحسن سياسته وعظم هيئته . وكان ربما أنذر خاصته بما يكون وراءه من الفتن ، حتى ليكدر عليهم مجالس أنسه بما يلقي من ذلك إليهم ، فوقع الأمر على ما توقع ، وجرى القدر بما قدر على ذلك . فما زال يبطش بأعدائه ، ويستقط من فوقه بقهره واستيلائه ، إلى أن صار الخليفةُ حينئذ — هشام بن الحَكَم — ليس له من الأمر غير الاسم خاصة ، فما ظنك برجاله ومواليه الذين منهم ^(١) كان يهرب وبهم كان يتمرس ؟ هذا ونصرته على النصارى متوالية ، وغزواته في كل صائفة متصلة ، أزيد من خمسين — عدّها ابنُ حَيَّان في كتابه الموضوع في أخبار الدولة العامرية ^(٢) ، وجعله لمن شاء خزّله عن تاريخه الكبير أو ضمّه إليه — حتى أذعن له ملوك الروم ورغبوا في مصاهرته . تناول ذلك كله بتأييد إلهي مدة طويلة ، وأورثه بنيه وقتاً قصيراً .

فأما أبو مروان عبد الملك المظفر منهم ، فقام بالدولة مقام أبيه ، وأغنى في غزو

(١) كذا في الأصل ، والأصح هنا : الذين بهم كان يهرب .

(٢) في الأصل : الناصرية ، ولم نسمع أن ابن حيان كتب كتاباً خاصاً عن عبد الرحمن الناصر ، ولكن الثابت أن له كتاباً في أخبار سقوط بني جمهور يسمى « البطشة الكبرى » وعنه نقل ابن بسام ما أورده في « الذخيرة » من تاريخ محمد بن أبي عامر .

العدو ، إلا أن مدته لم تطل . وبلغت الأندلسُ في أيامه نهاية الكمال ، وكان على أهلها أسعدَ مولود . حكى ابنُ حَيَّان عن زعيم المنجمين على عهد الحَكَم^(١) ، أنه نظر في مولا. عبد الملك هذا وهو طفل ، فأشار من بعد سعادته إلى أمرٍ كبير لم يدرك هو آخره ، فعجبَ مَنْ شاهدَه من جودة إصابته ، وذلك أنه قال : « لم يولد قط بالأندلس مولود أسعد منه على أبيه ، وعلى نفسه ، وعلى حاشيته ، نعم ! وعلى أهل الأندلس طرّاً ، وعلى أرضها طرّاً ، فضلاً عن ناسها . وإنها لا تزال كذلك حال حياته ، وإذا هلك فما أراها إلا بالضد^(٢) » ، فكان كذلك .

وأما أبو المطرف عبد الرحمن الناصر أخو عبد الملك ، فإنه وليَ الحجابة بعده ، فلم يَقم إلا يسيراً حتى قام عليه المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، قُتِل وصُلِب . وانبعثت الفتنُ على الأثر ، فما خدت نارها [١٢٧-١] إلا في النادر ، / إلى وقتنا هذا — وهو سنة [...]^(٣) أربعين وستمئة . وقد استولى الرومُ فيه على الأندلس بأسرها ، مع الجزائر الشرقية المضافة إليها ، بين صلح وعنوة .

وشوّم عبد الرحمن الناصر^(٤) هو الذي جرّ افتراقَ الجماعة ، وجرّأ على خلعان الطاعة ؛ وعلى رِجله كان الفسادُ العام ، لما استشرَف إلى الخلافة ، واستقل خطةَ الحجابة ، ولم يرض إلا بالإمامة . فداخل هشاماً المضعوف ، وطالبه بأن يجعله ولياً عهدَه ، ويلقى إليه بجميع أمره ، فاستفتى في ذلك فقهاء قرطبة وعلماءها

(١) هو أحمد بن فارس البصرى المنجم زعيم الصناعة بها على عهد الحَكَم ، كما قال ابن بسام رايّاً عن ابن حيان — في الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٥٩ .

(٢) نقل ابن الأبار ذلك عن ابن حيان . راجع المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) أسقط الناسخ هذا الرقم سماحه الله . . كان هذا يحدد لنا تاريخ كتابة الحلة السيرة

بالضبط .

(٤) المراد عبد الرحمن بن أبي عامر الذي اتخذ لنفسه لقب الناصر ، ويلقب أيضاً

بالمأمون .

حينئذ ، فسوّغوا له ما طلب واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » — وكان ابن أبي عامر معافرياً قحطانياً — فقالوا : عسى أن يكون الذي وعد به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وجدّ في ذلك السعي الخبيث أبو العباس بن ذكوان^(١) القاضي وأبو حفص ابن برد الكاتب^(٢) ، حتى قال فيهما ابن أبي يزيد المصري :

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموي ، قاضي الجماعة بقرطبة على أيام المنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر بن أبي عامر وأخيه عبد الرحمن بن أبي عامر ، وهو أول الموقعين على الوثيقة التي استصدرها عبد الرحمن بن أبي عامر لهشام المؤيد بتوليته العهد للخليفة هشام المؤيد . وقد أثنى عليه معظم من ترجموا له (الضبي ، رقم ٤٢٥ ص ١٧٤ والنباهي : المرقبة العليا ، ص ٨٤ وابن سعيد في «المغرب» ، رقم ٢١٠ ج ١ ص ١٤٤ وأعمال الأعلام لابن الخطيب ، ص ٤٩) . وأسرة بني ذكوان أسرة فقه وقضاء ، وقد علت منزلته عند عبد الرحمن بن أبي عامر حتى قلده الوزارة إلى جانب القضاء ، وكان يكتب عنه : من الوزير قاضي القضاة ، وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس . وقد ظل جليل القدر إلى وفاته في ٢١ رجب سنة ٤١٣ . وأبو محمد ابن خزم ينتقصه وينقده نقداً شديداً .

(٢) أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الكاتب ، المعروف بابن برد الأكبر . ذكر الحميدى في الجذوة (بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ١٣٧٢) أنه كان مولد لأحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد ، أديب وشاعر اشتهر بأسلوبه المسجوع المثقل بزينة اللفظ ، ويعتبر من أوائل من أدخل هذه الطريقة في الأندلس . وقد شارك في السياسة وخدم المنصور ابن أبي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن ، وعلا أمره في أيام هذا الأخير حتى وصل إلى الوزارة . لم يقدم لنا الذين ترجموا له شيئاً نافعاً عن حياته ، ولكن الحميدى يذكر أنه لقيه مراراً زائراً لأبي محمد علي بن أحمد بن خزم وأنه توفي سنة ٤١٨/١٠٢٧ ، ونسب إليه الحميدى كتباً في علوم القرآن ، وذكر له ابن بسام معاصره كتاب «سر الأدب وسبك الذهب» ونقل فقرات طويلة منه ومن شعره ، ومن كلامه في أغراض شتى .

أنظر : ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ، ص ١٩ وما بعدها .

ياقوت ، معجم الأدباء (طبعة أحمد فريد رفاعي ، القاهرة) ٤١/٥ - ٤٣ .

الضبي ، بغية الملتبس ، ص ١٥٣ (كلاهما نقل كلام الحميدى دون زيادة)

ابن سعيد ، المغرب : ٨٦/١ وتعليق الدكتور شوقي ضيف .

إن ابن ذكوان وابن بردٍ قد ناقضا الدينَ بعدَ عهدِ
وعاندا الحق إذ أقاما حفيدَ شَنْجِيهِ^(١) وليَّ عهدِ
ولم يَقم كذلك إلا أربعةَ أشهرٍ — في ما ذكر الحَمِيدِي وغيره — واختل
أمره وأسلمته الجيوش ، فكان من خبره ما تقدم ذكره .

وكان مولد المنصور محمد بن أبي عامر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وفيها
كانت الهزيمة العظيمة بالخندق^(٢) على عبد الرحمن الناصر ، فأخذ الله بثأر

(١) إشارة إلى ما هو معروف من أن أم عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر كانت بنت
شانجه الثاني ابن غرسية الأول ابن شانجه الأول وهو الملقب بأباركا ملك نبارقة Sancho Garcés II
(Abarca) . وقد أسلمت هذه الأميرة بعد زواجها بالمنصور وتسمت باسم عبدة ، وأنجبت
عبد الرحمن حوالي سنة ٣٧٤/٩٨٤ ، وأطلقت عليه — تديلا — مصغر اسم أبيها ، أي سانشويلو
Sanchuelo (بالعربية شنجول) . وقد أعقبت هذا الزواج هدنة بين قرطبة والبشكنس ،
وأقبل سانشو جارثيس في زيارة رسمية لحمية في قرطبة في سبتمبر سنة ٩٩٢/رجب ٣٨٢ .
وقد ذكر ابن الخطيب في أعمال الأعلام (ص ٦٣) شانجو غرسيس هذا وقال : المعروف
بـ «ري فرجه» Rey Abarca .

انظر : تعليق الدكتور مكى على التصيدة رقم ١٠٧ من ديوان ابن دراج ، ص ٣٩٥ .

ابن عذارى ، البيان المغرب (بتحقيق ليثي بروفنسال) ج ٣ ، ص ٣٨ و ٤٢ .

ابن الخطيب ، أعمال الأعلام (بتحقيق ليثي بروفنسال) ص ٧٩ .

Dozy, Recherches (3e édition) I. 188-192.

LÉVI — PROVENÇAL, Histoire de l'Espagne Musulmane (2e éd, Paris, 1950) II, 241 - 242, 292.

(٢) دارت معركة الخندق بضعة أيام ، ولكنها بلغت ذروتها وتقرر مصيرها في ١١ شوال
٣٢٧/ أول أغسطس ٩٣٩ عند مدينة شنت مافنش (سيمانقاس Simancas) وقد سميت
باسم الخندق بسبب خندق كان عبد الرحمن الناصر قد أمر بحفره تحت أسوار سيمانقاس حتى
يحصّر عنده قوات العدو الهاربة في حالة الهزيمة . وكان عبد الرحمن قد احتفل بالاستعداد للمعركة
احتفالا ضخما وحشد لها نحو ١٢٠ ألف جندي وسماها لهذا «غزاة القدرة» لأنه عول على أن
يجعلها قاضية على رذمير الثالث Ramiro III ملك ليون . ولكن معظم جيش المسلمين
كان من المتطوعة والقوات غير النظامية ، ثم حدث خلاف بين قادة الجيش من الأندلسيين
وصقابة عبد الرحمن ، ولهذا فعندما شدت قوات ليون على المسلمين في اليوم الأخير للمعركة
تراجعوا وتحاذل بعضهم وولوا الأدبار ، حتى إذا وصلوا إلى الخندق تساقطوا فيه وقتلوا =

الإسلام على يدي المنصور ، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . خرج غازياً ، وقد وقع في مرضه الذي مات فيه ، فاقترحم جليقية من تلقاء مدينة طليطلة ، ومرضه يخف وقتاً ويثقل أرقاناً ، وقويت عليه العلة بأرض قشتالة ، فاتخذ له سرير من خشب يُحمل على أعناق الرجال ، قطع بذلك أربعة عشر يوماً ، حتى وصل إلى مدينة سالم ، فوجه ابنه عيّد الملك ليخبر هشاماً بما ترك عليه أباه ، وتوفي ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة . قيل : ودفن بمدينة سالم وقبره بها ؛ وكان عليه مكتوباً :

آثاره تُنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ، ولا يحى الثغور سواه

/ وعلى ما كان عليه من الهيبة والرغبة ، فقد كان له حلم واحتمال ، مع محبة [١٢٧-ب] للعلم وإيثار للأدب وإكرام لمن ينتسب إليهما . يحكى أن أبا محمد الباجي الراوية دخل عليه وقال : « أصلحك الله يا حاجب ، وحفظك ووفقتك وأحسن عونك » ، فرد عليه ابنُ أبي عامر أجملَ رد ، وبجّله ووقره وأدنى مكانه حتى أقعده إلى جانبه ، وقال له : « كيف أنت اليوم وحالك ؟ » فقال له : « بخير ما كنت به »^(١) ثم قال له الباجي : « أي والدٍ كان لك رحمة الله عليه ! كان والله

بالألوف ، وأسرع عبد الرحمن ناجياً بنفسه في فل الجيش . وتلك هي المعركة الوحيدة التي خسرها عبد الرحمن الناصر ، وكانت آخر غزوة غزاها بنفسه .

انظر : الأخبار المجموعة ، ١٥٥ - ١٥٦ .

نفع الطيب (طبعة أوربا) ٢٢٨/١ .

ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المطار ، ٩٩ - ١٠٠ .

DOZY, *Recherches*, I, 156-170.

LÉVI-PROVENÇAL, *op. cit.*, 56-59.

والمراجع الوافية المعطاة في هذين المرجعين .

(١) الأصل : فكنت به .

— ما علمتُ — من أهل الخير والعافية ، والصلاح والعفة ، والحرص على الطلب والمعرفة . اختلف معي إلى محمد بن عمر بن لبابة ، وإلى أحمد بن خالد ، وإلى محمد بن فطيس اللبيري وغيرهم . وكان لي خيرَ صديق وصاحب : أتفتعُ به ، وينتفعُ بي ، وأقابلُ معه كتيبه وكتبي^(١) . ولم يكن فضولياً البتة . وأما أنت فلم تمتثلهُ ، وأدخلتَ يدك في الدنيا ، فانعمستَ في لُجِّها . وطلبتَ الفضول ، فعلتَ أخباراً كثيرة^(٢) ، وأوبقتَ نفسك والله يا مغرور ، وعزَّ عليَّ انتشابك ، فقال له ابنُ أبي عامر : « يا فقيه ، هكذا صاحب الدنيا : لا بد أن يخلط خيراً بشراً ، ويأتي معروفاً ومنكراً ؛ والله يقوب علي من يشاء برحمته » . وسأله الباجي إثر هذا رفع القرامة عن ماله بإشبيلية ، فأمر بإسقاطها ، ووصله ببدره دراهم كاملة ، ومنديل كسوة^(٣) تشاكله ، فيها خلعة تامة . ومن شعره يفخر :

رَمِيتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَخَاطَرْتُ ، وَالْحَرَّ الْكَرِيمُ مَخَاطِرُ
وَمَا صَاحِبِي إِلَّا جَنَانٌ مَشِيْعٌ وَأَسْمَرٌ خَطِيٌّ وَأَبْيَضٌ بَاتِرُ
وَمَنْ شِيعِيٌّ أَنْ عَلَى كُلِّ طَالِبٍ أَجُودٌ بِمَالٍ لَا تَقِيهِ الْمَعَاذِرُ
وَإِنِّي لَزَجَاءُ الْجِيُوشِ إِلَى الْوَعْيِ أَسُودٌ تَلَاقِيهَا أَسُودٌ خَوَادِرُ
لَسُدَّتْ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ وَكَأَثَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ أَكْثَرُ

(١) أورد ابن الأبياز هذه الفقرة في ترجمته لأبي حفص عبد الله بن محمد بن أبي عامر (رقم ١٢٥١ ج ١ ص ٤٣٧) ، وقد ذكرناه في تعليقاتنا آنفاً .

(٢) انظر عن نظام الجاسوسية الذي وضعه المنصور : أعمال الأعلام لابن الخطيب (بتحقيق ليثي بروفسال ، بيروت ١٩٥٦) ص ٧٦-٧٧ .

(٣) الأصل : منديل كثره ، والصواب ما أثبتناه . وليس المراد بالمنديل ما نريده به اليوم في الاستعمال الحازي ، وإنما قطعة قماش كبيرة توضع فيها الأشياء وتلف ، والمراد أنه أعطاه كسوة لائقة به ملفرقة في منديل . انظر عن استعمال اللفظ في هذا المعنى

DOZY, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, p. 416.

وما شِدْتُ بِنِيَانًا ، ولكن زيادة على ما بنى عبدُ الملِكِ وعامرُ
رفعنا المعالى بالعوالى حديثه وأورثناها فى القديم معافرُ
قال ابن حَيَّان : هذا لأنه محمد بن عبد الله ، ونسبه كما تقدم . قال :

وعبد الملِك جده هذا هو الداخل إلى الأندلس / مع طارق بن زياد ، مولى موسى [١٢٨-١] ابن نصير ، فى أول الداخلين من المغرب ؛ وهو فى قومه وسيط .

وقال الحَمِيدى : قال لى أبو محمد على بن أحمد - يعنى ابن حزم - الفقيه :
كان المنصور أبو عامر محمد بن أبى عامر معافِرِيَّ النسب من حَمِير ، وأمه تميمية
وهى بُرَيْهَةَ بنت يحيى بن زكرياء التميمى المعروف بابن بَرطال ، ولذلك قال فيه
أحمد بن دَرَّاج - هو أبو عمر القسطلى - من قصيدة له فيه :

تلاقت عليه من تميمٍ وَيَعْرُبٍ شمسٌ تَلالًا فى العلاء وبدورُ
من الحميرين الذين أكفهمُ سحائبُ تهى بالندى وبحور^(١)

وللمنصور - لما اشتد سلطانه وتوالى ظفروه - وكتب به إلى صاحب

مصر يتوعده :

منعَ العينَ أن تذوقَ الناما حُبها أن ترى الصفا والمقاما
لى ديون بالشرق عند أناسٍ قد أحلوا بالمشعرين الحراما
إن قَضَوْها نالوا الأمانى وإلا جمـلوا وزنها رقاباً وهاما
عن قريبٍ ترى خيولَ هشامٍ يبلغُ النيلَ خطوها وإلا

وله :

ألم تبنى بعنتُ الإقامة بالسرى ولين الحشائيا بالخيولِ الضواغرِ ؟

(١) راجع ديوان ابن دَرَّاج ، بتحقيق الدكتور مكى ، ص ٣٠١ .

تبدلتُ بعد الزعفرانِ وطيبه صدأ الدرع من مستحكات المسامرِ
أروني فتى يحمي حمائى وموقفى إذا اشتجر الأقرانُ بين العساكرِ
أنا الحاجب المنصور من آل عامرِ بسيفي أقدُّ الهامَ تحت المغافرِ
تِلَادُ أمير المؤمنين وعبدُهُ وناصحُهُ المشهودُ يومَ المفاخرِ
فلا تحسبوا أنى شغلت بغيركم ولكنَّ عَهْدتُ^(١) الله في قتل كافر

وأهدى المنصور إلى أبي مروان عبد الملك بن أحمد^(٢) بن شهيد الوزير
عقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار — وقد سأله ذلك عند صدره من
بعض غزواته — وكتب إليه معهن يداعبه :

قد بعثنا بها كشمسِ النهار في ثلاثٍ من المما أباكارِ
فاجتهدْ واتَّددْ فإنك شيخٌ خفىَ الليلُ عن بياض النهار^(٣)
/ صانك الله عن كلالك فيها فمن العمار^(٤) كَلَّةُ المسارِ [ب-١٢٨]

فافتضهن أجمع في ليلته ، وكتب إليه :

قد فضضنا ختامَ ذاك السَّوار^(٥) واصطبغنا من النجيم الجارى

(١) كذا في الأصل ، وفي يتيمة الدهر لأبي منصور عبد الملك الثعالبي (طبعة محيي الدين ، القاهرة ، بدون تاريخ) ، ٦٢/٢ :

* ولكنَّ أطعتُ الله في كل كافر *

(٢) الأصل : عمر بن شهيد وهو خطأ ، وقد صوبت الاسم من الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ ص ١٦ ، وقد وردت نفس الأبيات هناك ، ص ١٨ - ١٩ . وقد سبقت ترجمته .

(٣) الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ :

فاتتد واجتهد فإنك شيخٌ قد جلا الليلَ عن بياض النهار

(٤) الأصل : الصدر ، والتصويب من الذخيرة .

(٥) كذا في الأصل وفي مخطوط الذخيرة ، وقد صوبه المحققون إلى : الصوار .

ونعمنا في ظل أنعم ليل ولهونا بالدر أو بالدراري^(١)
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذي مضاء غضب الظبي بتار
فاصطنعه ، فليس يُجزيك كفرةً واتخذهُ سيفاً على الكفار
قال ابن حبان : وكانت حجابة المنصور خمساً وعشرين سنة ، وعمره خمساً
— أوستاً — وستين سنة .

١٠٢ — عبد الله بن عمرو بن أبي عامر ، أبو حفص

كان أبوه عمرو — وهو الملقب بـ « عسكلاجة » — صاحب المدينتين^(٢)
في أيام هشام المؤيد ، بتقديم ابن عمه المنصور محمد بن أبي عامر . ثم ولى بلاد
المغرب بعد ذلك فاشتد سلطانه هنالك ، واستنزل حسن بن القاسم العلوي
الإدريسي وأنفذه إلى الأندلس . وكان صارماً مهيباً جباراً قاسياً^(٣) ، وقتله^(٤)
ابن عمه المنصور بتذنبه إياه وغضبه منه وتسخيه عليه احتجاجه الأموال دونه

(١) الذخيرة :

وصبونا في ظل أطيب عيش ولعبنا بالدر أو بالدراري

(٢) أقام المنصور بن أبي عامر ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر على مدينة قرطبة
عقب توليه هو الشرطة العليا لكي تتم له السيطرة على شؤون الأمن والحراسة في العاصمة ،
وكان محمد بن أبي عامر قد سلك في حكومة المدينة سياسة العنف والشدة حتى أقر الأمن فيها ،
ثم استتاب عن نفسه ابن عمه هذا فسار سيرته (ابن عذاري ، البيان : ٢٦٦/٢ — ٢٦٧)
وعند تمام بناء مدينة الزاهرة أقامه عليها ، فأصبح يلقب بصاحب المدينتين .

(٣) كان ذلك في الغالب سنة ٣٧٥ ، وقد روى ابن عذاري إرسال المنصور جيشاً
كشيفاً في تلك السنة إلى المغرب للقضاء على ما كان يحاوله حسن بن كنون من الخروج عن طاعة
الأمويين كما سبق أن روينا . وحسن بن القاسم المذكور هنا هو حسن بن كنون بن القاسم ،
وقد قتله المنصور غدرًا بعد أن استسلم على أمان وقبل أن يذهب إلى قرطبة . البيان المغرب :

٢٨١/٢ .

(٤) أي قتل عمراً أبا المترجم له هنا .

[بعد أن ^(١) استقدمه من المغرب ، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

ومن شعر أبي حفص هذا يذم المظفرَ عبدَ الملك ، لما زوّج « حبيبة » بنت ابن عمه عبد الله بن يحيى بن عبيد الله بن أبي عامر — وهى بنت أخته « بُرَيْيَةَ » — من عبد الملك بن قند مولاها :

عـربىٌّ مزوّجٌ عبده بنتَ أخته

قبّح الله فعلَ ذا ورماه بمقتبه

وقد قيل إنهما لعبد الملك بن يحيى ، أخى عبد الله بن يحيى المذكور .

١٠٣ — زياد بن أفلح

مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد

كان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها ، وتوفى في أولها سنة ثمان وستين وثلاثمائة — ذكر ذلك ابنُ حَيَّان في تاريخه الكبير ، وذكر في « الدولة العامرية » ^(٢) أنه كان على المدينة ، وأن جُوذراً الفتي الحكيم تحيّن ركوبَ

(١) أضمت هاتين الكلمتين للسياق .

(٢) إشارة إلى كتاب ابن حيان الخاص بالدولة العامرية ، وهو المعروف بـ « البطشة الكبرى » وقد احتفظ لنا بأجزاء منه ابن بسام في الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١) ص ٣٩ وما بعدها ، وابن الخطيب في أعمال الأعلام (بيروت ١٩٥٦) ص ٤٨ وما يليها ، وابن عذارى في البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥٣ وما يليها . ولكن ما ينقله ابن الأبار هنا لا يوجد في أى من تلك المراجع . وله لهذا أهمية كبرى ، رغم إيجازه . وإليك تفصيله :

بعد أن استقر الأمر على أن يظل هشام المؤيد خليفة بعد أن تخلص جعفر المصحف ومحمد بن أبي عامر من المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، شعر صقالبة القصر وعلى رأسهم الفتيان —

زياد هذا إلى داره بطرف المدينة ، حين توصل إلى هشام المؤيد ، عازماً على الفتك به ، عند مداخلة الجماعة الذين اجتمعوا على خلعه ، بتدبير عبد الملك ابن القاضي منذر بن سعيد صاحب خطة الرد ، فبطش بجؤذر / وقبض عليه بمبادرة [١٢٩-١]

جؤذر وفائق بأن الأمر صار في الحقيقة إلى المصحق وابن أبي عامر ، تعارنهما صبح أم المؤيد . فأخذ يمارضان هذا الثالث الذي استأثر بالحكم . وتنبه ابن أبي عامر لخطر الصقالية ، فما زال يضايقهم حتى استصدر من هشام أمراً بعزل جؤذر وفائق عن رياستهما ، فعرضاً الانصراف عن القصر مع أتباعهما فأجيبا إلى ما طلبا وانتقلا إلى دورهما في المدينة . وكان يلي المدينة إذ ذاك زياد بن أفلح المترجم له هنا ، وكان في الباطن من الناقمين على الثالث الحاكم المتوجسين شراً من ابن أبي عامر .

وبعد أن تمكن محمد بن أبي عامر من إسقاط جعفر المصحق والانفراد بالحجابة سنة ٣٦٧٪ ٩٧٨ تبين لجؤذر وفائق وشركائهما أنه لا يد من معاجلة ابن أبي عامر ، فدبروا في السنة التالية مؤامرة ترمي إلى أقصاء هشام المؤيد عن الخلافة والمناذاة بحفيد لعبد الرحمن الناصر يسمى عبد الرحمن ابن عبيد الله . وقد اشترك في المؤامرة زياد بن أفلح وعبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي ، وكان يلي خطة الرد في قرطبة ، والشاعر يوسف بن هارون الرمادي . وفشلت المؤامرة ، وخاف زياد بن أفلح أن يفتضح أمره فألقى بزملائه المتآمرين في السجن . ويفهم من رواية ابن الأبار أن جؤذراً لم يسجن ، وحاول أن يفتال زياد بن أفلح انتقاماً منه على الصورة الواردة في النص . ولم يوفق جؤذر في ذلك لأن أحمد بن محمد بن عروس (ويبدو أنه كان يتولى وظيفة كبرى من وظائف الشرط) قبض عليه ، فأسرع زياد بن أفلح - وكان في داره - مخافة أن يتكلم جؤذر ويفضحها ، ولكن يبدو أن هذا تكلم ، ولهذا ويخ ابن عروس زياد بن أفلح « وتعاوننا في النازلة » أي على كتمان الأمر . وقد قتل عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عقب ذلك . أما عبد الملك بن منذر فقد اتهم بالزندقة والاعتزال ، وأفتى عليه بأية الحرابة كما يقول ابن الأبار ، فأشار زياد بن أفلح بصلبه تقريباً لابن أبي عامر ، فُصلب عند باب السدة في منتصف جمادى الثانية ٣٦٨/١٨ يناير ٩٧٧ . وتوفي زياد بن أفلح بعقب ذلك . أما الشاعر الرمادي فقد هرب واختفى حتى عفا عنه المنصور .

انظر: طوق الحمامة لابن حزم ، طبعة ليون برشير مع ترجمة فرنسية (الجزائر ١٩٤٩)

ص ١١٤ - ١١٥ .

ASIN PALACIOS, *Abenmasarra y su escuela, en Obras Escogidas,* 1, 124.

LÉVI - PROVENÇAL, *op. cit.* II, 216 - 218.

بإضافة إلى المراجع المذكورة في أول هذا التعليق .

أحمد بن محمد بن عروس إلى تلافى الأمر . قال : ووافى زياد على إثر ذلك فوبخه ابن عروس ، فأخذ في الاعتذار وتعاوننا على النازلة ، وما سلم زياد من التهمة . وحكى أن عبد الملك بن منذر في هذه القصة — لما أفتى عليه بآية الحرابة ورد إلى الخليفة الأمر فيما يختار له من العقوبة — أشار صاحب المدينة زياد بن أفلح هذا بأن يُصاب ، استبلاغاً في المثلة — يعني بذلك التقرب إلى ابن أبي عامر ونفى التهمة عنه — فعمل برأيه ، وذلك في سنة سبع وستين وثلاثمائة . وزياد هو القائل :

وأصبحت الدنيا بأوبتلك الرضا لدى وصل صافح لقفا الصدد
ولم لا ، ودهرى كله بك موق ؟ أرق — إذا ما شئت — من طرقت بردي

١٠٤ — فرحون بن عبد الله

يعرف بابن الوبلة^(١)

وهو محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ، ويُشهر بفرحون . كان والياً على شنترين بغرب الأندلس ، في أيام الحَكَم المستنصر بالله أو ابنه هشام المؤيد بالله ، وقدم عليه أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى منتجعاً ، فأمر بإنزاله ، فقصر به متولياً ذلك ، فكتب إليه الرمادى :

أيها العارض والمهم لدى لمستقيه وبلا
حين لا يهدى إذا ما أنت تُسقي العارض طلاً

(١) الأصل : الدبلة ، والتصويب من دوزى ، ص ١٥٥ .

قائداً أفنت مغازير به العدا سبياً وقتلاً
 إنَّ ضيفاً قاصداً قد ت له : أهلاً وسهلاً
 قد توسعت له فيه ما يسرُّ الضيفَ نزلًا^(١)
 ما له فرش على الأر ض سوى وجه مُصَلَّى
 فأنا لولا [اصطبار]^(٢) ردَّ منه الوعرَ سهلاً
 لم تجرد عيني لنومٍ بمبيتِ السوءِ كخلاً

فوردت الأبيات على فرحون وهو خارج إلى الغزو ، فحجل من ذلك ، وأمر
 له بما طلب ، وقرن ذلك بجارية ، وكتب إليه معتذراً من التقصير :

أيها السيد أهلاً بالذي أهديت أهلاً
 ما يُناويك مُناوٍ إن وصلت القولَ وصلاً
 شاعراً نذباً نبيلاً محسناً جيداً وهزلاً
 ما تولى الشعرَ إلا ردَّ منه الوعرَ سهلاً
 شعره سَحَّ ووبل إذ يكون الشعرُ طلاً
 محكمٌ غضٌّ بديعٌ لا يكادُ الدهرَ يبلى
 / فله ما قلتُ أهلاً ثم رجياً ثم سهلاً
 أيها السيد مهلاً بأخيك المحضِ ، مهلاً^(٣)
 إن شكواك إينا ولدتُ في النفس خنبلاً
 ونقتُ نومي فلهـا تكتحل عيناى كخلاً

[١٢٩-ب]

(١) قرأها دوزى : نخزلاً ، وصوبها إلى : خذلاً .

(٢) بياض بالأصل ، وقد أكلته بما يناسب الوزن والمعنى .

(٣) الأصل : أهلاً ، ولكن السياق والمقابلة مع الشطر الأول يقتضيان هذا التعديل .

ما على عمدي ولكني (م) جَهَانَا الأَمْرَ جهلا
 وظننا بالعمكازي^(١) إنه أكرمُ بذلا
 فابسطن عذري وإن لم أكُ للأعذار^(٢) أهلا
 يا أخي أنت ومولي وقليلٌ لك مولي
 قد بعثنا بفراشٍ فاهجرن وجه المصلي
 ووصلناه بغيدا ، كبدري يتجلى
 فتفضل بقبولٍ لا عدمت الدهر فضلا
 وورا ذلك مني سترى فضلا وفضلا

وله أيضا :

يارسولي أبلغ إليها شكاتي
 قل لها : قد قضى هواكٍ عليه
 فالحظية ترى إذا شئت مئيتا
 كان يحيا بأيسر اللحظات
 واعجبي أن تكون لحظة عين
 منك تُهدى الحياة للأموات

١٠٥ - علي بن وداعة بن عبد الودود السلمي ، أبو الحسن

قال فيه الحميدي : أميرٌ كان قريبا من الأربعمائة . وقال ابن بسام ،
 وذكر صاعداً اللغوي : انتهت به الحال إلى أن أُغريم ، فاستغاث علي بن وداعة ،
 أحد الفرسان الأبطال ، ونبهاء الدولة كان في ذلك الأوان . قال : ومن شعره فيه :

(١) كذا في الأصل ، ولعله اسم الشخص الذي وُكِّلَ إليه إنزال الشاعر والحفاوة به .

(٢) الأصل : فابسطن عذري وإني لم أكن للأعذار أهلا

والبيت على هذه الصورة مختل الوزن ، وقد أبدل دوزي (ص ١٥٧) كلمة « للأعذار »

بـ « للعدو » ، وما أثبتناه أصلح وأقوم .

أبا حسنٍ ، ربيعةٌ من سُليمٍ سِنَانٌ زانَ عاليَةَ الرماحِ
 وإني عائدٌ بك من هنا^(١) تَحُشُّ دُعائِي تحتَ القِداحِ
 ففكرتُ على ابن عمك وانتِلهُ فليس حِمِي ابنِ عمك بالمباحِ
 فإن الجار عندك بين جنبي عُقابِ الدَّجْنِ كاسرةِ الجناحِ
 نظنك طالماً ببني سُليمٍ عليها عند مفتضحِ الصباحِ
 إذا ساورتَ قرَنَكَ في مِكرٍ جعلت له ذراعَكَ كالوشاحِ

ومن شعر ابن أبي وداعة :

زار الحبيب فرحياً بالزائرِ أهلاً ببدرٍ فوق غصنِ ناضرٍ
 / قبلتُ من فرحى ترابَ طريقهِ ومسحتُ أسفلَ نعلهِ بمحاجرِي
 وخشيتُ أن يَنقَدَّ إخصُّ رجلهِ من رقةٍ فبسطتُ أسودَ ناظرِي

[١٣٠-١]

(١) في الأصل بالتاء المفتوحة ، وصحتها كما أثبتناه . والهاء الداهية ؛ وقد حسب ناشرو الذخيرة أنها مستعملة هنا جمعاً لأنهم قرأوا الكلمة الواردة بعدها نَحْتَنَ . وصحة قراءتها كما هي هنا . انظر : الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١) ص ٣٨ .
 وقد روى ابن يسام في الذخيرة (نفس المرجع ص ٣٧ وما بعدها) تفصيلاً ما جعل صاعدا يستغيث بعلي بن وداعة ، وخلاصته أن صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي ساءت حاله بعد الغز الذي كان فيه أيام المنصور ، و« طولب في أخريات تلك الدولة ، وانتهت به الحال إلى أن أُغرم في خبر طويل » فاستغاث بعلي بن وداعة شعراً ونثراً ، فانتفع بعلي بن وداعة ، ولا كانت فيه شفاعة ، فتوجه إلى الخليفة هشام يرجوه معاونته ، ثم قتل ابن وداعة ولم يبق عند صاعد أمل ، إذ اضطربت الأحوال وارتجت الفتنة وضاع أمر صاعد « بين غلاء السعر ورخص الشعر » . ورفض رجال هشام المؤيد أن يأذنوا لصاعد في مبارحة الأندلس خوفاً من لسانه ، فخرج مستخفياً ولبأ إلى أبي زيد البكري صاحب جزيرة شلطيث سنة ٤٠٣ هـ ، ومن هناك ذهب إلى صقلية حيث تحسنت حاله ، ثم عاد إلى الأندلس ليأخذ أهله وعياله ، ومدح الخليفة المستعين فلم يظفر منه ببطائل ، فماد إلى صقلية وتوفى فيها سنة ٤١٠ هـ .

١٠٦ - يعلى بن أحمد بن يعلى

كان أبوه من رؤساء الدولة الأموية وقوادها الجيلة ، وكان يعلى هذا
في دولة المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر . ومن شعره ، وقد بعث إليه
بورد مبكر :

بعثتُ من جنتي بوردٍ غضٍ له منظرٌ بديعُ
قال أناس رأوه عندي : أعجبه عامنا المريعُ
قلتُ : أبو عامرِ المعليّ أيامه كلُّها ربيعُ

وتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وله يرثى أبا على البغدادي من أبيات :

أما العلم موتُ أبي عليّ منارِ العلم والفضل الرضيُّ
سأبكي بعده سرا وجهراً كما يبكي الوليُّ على الوليُّ
ولو لم أبكه حزناً ووجداً إذا ما كنتُ بالرجل الوفيُّ
إذا قلبٌ خلا من حب مَيِّتٍ فقلبي ليس عنه بالخليُّ

وله :

إني هجرتُ الغاياتِ جميعاً ونزعتُ عن كلّني بهنّ نزعاً
ورفضتُ لذاتي فصرتُ لناصرٍ بعد الإباية^(١) سامعاً ومطيعاً
ونهى النهي قلبي فأقصر وارعوى واعتاض بعد الكبرياء خشوعاً

ورأيتُ رشدي واضحاً بعد العمى فكصتُ عن غيِّ الضلالِ رجوعاً
يا حسرةً ساعاتها ما تفضي كيف النجاةُ وقد أسأتُ صنيعاً؟

ومن ملوك إفريقيا ورجاهم في هذه المائة :

١٠٧ - محمد القائم أبو القاسم بن المهدي عبيد الله

/ قد تقدم الاختلافُ في نسب عبيد الله إلى الحسين بن علي ، رضوانُ الله [١٣٠-ب] عليه ، فمن مُسلمٍ ما ادعاه ومن دافعٍ له فيما حكاه ، وهو الأكثر وهو الأصح والأظهر .

واختلف أيضاً في اسم القائم هذا ، فقيل عبد الرحمن وقيل حسن وقيل محمد ، وبهذا الاسم كان يُذكر في الأمداح^(١) ، قال علي بن محمد الإيادي التونسي :
عجبتُ بأسطولِ الإمامِ محمدٍ وبحسنه وزمانه المستغربِ
لبستُ به الأمواجُ أحسنَ منظرٍ يبدو لعين الناظر المتعجبِ
وتقدم أيضاً ذكرُ وروده المغربَ مع أبيه وما قيل في تبنيهِ وهو يومئذ

(١) أشار إلى الاختلاف في اسمه محمد بن علي بن حمّادُه في كتابه « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » (بتحقيق م. فوندرهايدن ، باريس - الجزائر ، ١٩٢٧) ص ١٢ ، ورجع أن صحة الاسم محمد واستدل على ذلك بأن أبا القاسم القائم عندما سار إلى المغرب الأوسط في حياة أبيه في صفر سنة ٣١٥ لحرب محمد بن غزير الزناتي ومن تبعه من زناتة اختط مدينة المسيلة وسماها « المحمدية » باسمه ، وهذا يدل على أن اسمه محمد ، بخلاف من يقول إن اسمه عبد الرحمن .

حَدَّث . ثم بويج له بالخلافة بعد عبيد الله للنصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وأخفى القائم موته^(١) سنة .

وكان في حياة أبيه — على الخلاف فيه^(٢) — أظهر منه في خلافته ومصير الأمر إليه : غزا قبل ذلك الإسكندرية في عسكر عظيم فلما معها مع الفيوم وصار في يديه أكثر خراج مصر وضيّق على أهلها وحاربه مؤنس الخادم بها . وكان خروجه من رقادة في سنة إحدى وثلاثمائة ، ولست بقين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وصله جيش حباسة^(٣) بن يوسف صاحب المهدي في مائتي مراكب فنزل فسطاط مصر والإسكندرية ، وقوى على مؤنس^(٤) بالرجال والأموال ، وشخص لحربه فكانت بينهما وقعة قتل فيها خلق من الفريقين ، ثم انصرف حباسة^(٥) ومن معه عن الإسكندرية راجعين إلى المغرب بعد هزيمة وقعت على المغاربة .

(١) أي أنه أخفى موت أبيه سنة . وقد أشار ابن عذارى إلى حزن القائم على أبيه حزناً شديداً في ص ٢٠٨ (ج ١) من البيان المغرب .

(٢) أي على رغم الخلاف في بنوته له . ويحتمل أيضاً أن يكون المراد : على الخلاف في أمر عبيد الله نفسه .

(٣) الأصل : حباسة ، والأصح ما أثبتناه . وقد كتبه ناشر « النجوم الزاهرة » حباسة بفتح الحاء ، والأغلب الضم . راجع المناقشة في ضبط الاسم في « النجوم » : ١٧٢/٣ .
(٤) مؤنس الخادم القائد العباسي الطائر الصيت ، وقد سماه ابن حَمَّادُ ه « مؤنس الخادم الذي يعرف بالفحل أو يدعى المظفر » (ص ١٢) .

(٥) هذا التفصيل من ابن الأبار يحل خلافاً كبيراً بين المؤرخين ، فبعضهم (مثل الطبري والكندي) يقولون إن القائد كان حباسة بن يوسف ، وبعضهم الآخر (مثل عريب بن سعد وابن خلكان والمقريزي) يقولون إن القائد كان القائم ، وانفرد أوتيسا بالقول بأن عبيد الله المهدي أرسل ابنه القائم بجيش مدداً لحباسة بعد استيلائه على الإسكندرية والفيوم (انظر المناقشة عند حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ ص ١١٣ هامش ١) . وقد فصل ابن عذارى (البيان المغرب : ١٧١/١ - ١٧٢) أخبار هذه الحملة تفصيلاً شافياً ، وذكر السبب في قتل المهدي لحباسة بن يوسف وعروبة بن يوسف وجميع قرابتهما . وهناك تفاصيل أخرى عن هذه الحملة في « أخبار بني عبيد » لمحمد بن علي بن حمادة ، ص ١١ - ١٢ .

ثم غزا في حياة أبيه ثانية ، وعند وصوله إلى الإسكندرية — وذلك في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة — خرج عاملُ المقتدر معها ودخل الجزيرة^(١) من أرض مصر في خلق عظيم .

وكتب القائمُ إلى مكة وإلى مَنْ حولها يدعوهم إلى طاعته ويعدم الجليل ، وقال : « نحن أهل بيت الرسول ، ومن أحق بهذا الأمر منا ؟ » ، وضمن الكتابَ أبياتاً يقول فيها :

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم أم اصدعت من قلة الفهم والأدب ؟

فويها لكم خالفتم الحق والهدى ومن حاد عن أم الهداية لم يُصِبْ

/ فيا معرضاً عنى وليس بمنصفى وقد ظهر الحق المبين لمنه رغب [١-١٣١]

ألم ترني بعث الرفاهة بالشرى وقت بأمر الله حقاً وقد وجب

فلما وصل إليهم الكتاب بعثوا به إلى المعتدر ، فأرسل إلى أبي بكر الصولي

بعد قراءته الرسالة والشعر ، فدفع إليه الشعر وقال له : جاوبه عنه ،

فكتب إليه :

عجبت وما يخلو الزمان من العجب لقول امرئ قد جاء بالبين والكذب

(١) الأصل : الجزيرة ، والتصحيح من « القضاة والولاة » للكندي ، بتحقيق روفن

جست ، ص ٢٧٥ . والثابت من مراجعنا أن القائم لم يستطع دخول الجزيرة إذ ظل فيها

« تكين » عامل مصر حتى وصلت عساكر المهدي ومراكبه في النيل قادمة من الإسكندرية ،

وانتصرت تكين على القائم وظفر بمراكبه في شوال ٣٠٧ ، ثم أقبل إلى مصر مدد بغداد يقوده

مؤنس الخادم في محرم ٣٠٨ ، واستمر القتال بين الجانبين ، وفي أثناءه استولى القائم على الفيوم

وجزيرة الأشمونين وعدة بلاد ، فأتت نجدة أخرى من بغداد يقودها جنسي الخادم المعروف

بالصفواني ، فكانت بين الجانبين حروب طويلة في الفيوم والإسكندرية ، ثم انصرف القائم

عن مصر إلى برقة عائداً إلى إفريقية ، وعزل تكين عن ولاية مصر في ١٣ ربيع الأول ٣٠٨ .

انظر: أبو الجاسم في النجوم الزاهرة: ٣/١٩٥-١٩٧ :

وجاء بملحونٍ من الشعر ناقصٍ فسحقاً له من مدحٍ أفضل النسبِ
فمن أنت يا مهدي السفاهةِ والخنا فقد قتت بالدين الخبيث وبالريب
فلم يجيبوه . وهي قصيدة طويلة ، منها في ذكر الخلفاء من بني العباس :

ومعتدٍ من بعدهِ وموفقٍ يرددُ من إرثِ الخلافةِ ما ذهب
نوازِلُهُم^(١) في كلِّ فضلٍ وسؤددٍ وإن لم يكن في العدِّ منهم لمن حسب

أنشدها أبو إسحاق إبراهيم بن تميم القيرواني الحصري في كتاب « زهر
الآداب وثمر الألباب » من تأليفه . وقد أجرى ذكر الموفق أبي أحمد بن المتوكل
ومدح ابن المعتز له ، قال : ويلقب بالناصر وبالموفق ، كانت حاله قد ترققت في
أيام المعتمد إلى غاية لم يبلغها الخليفة^(٢) . وقد ذكره الصولي في قصيدته لصاحب
المغرب ، وقد اقتصر^(٣) خلفاء بني العباس من أولهم ، وذكر البيتين . والموفق
هذا هو الذي قتل صاحب الزنج القائم بالبصرة ، بعد مواقعات كثيرة ومحاربات
شديدة ، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدته الطويلة الجليلة :

أبا أحمدٍ أبلت أمةَ أحمدٍ بلاءٍ سيرضاه ابنُ عمكَ أحمدُ
حصرت عميدَ الزنج حتى تماذلت قواه وأودى زاده المتزود
فظل - ولم تقتله - يلفظ نفسه وظل - ولم تأسره - وهو مقيد
فما رُمته حتى استقل برأسه مكانَ قناةِ الظهر أسمرُ أجرد

(١) الأصل : موازٍ لهم . والتصويب من « زهر الآداب » للحصري القيرواني ،
بتحقيق زكي مبارك ، ١٩٣/٣ .

(٢) في « زهر الآداب » للحصري القيرواني (بتحقيق الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ،
يلون تاريخ) ، ج ٣ ص ١٩٣ : خليفة ،

(٣) في الأصل : اقتصر ؛ والتصويب من زهر الآداب ، نفس الجزء والصحيفة ،

/ وكان صاحب الزنج يدعى الاتماء إلى بيت علي رضي الله عنه ، ومنحاه [١٣١-ب]
 نحو العبيديون بعده ، وينال من بني العباس نيل هؤلاء منهم ، وفي ذلك يقول :
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورِ بِيغْدَا دَ وَمَا قَد حَوْتُهُ مِنْ كُلِّ عَاصِي
 وَخُصُورِ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرًا وَرِجَالِ عَلَى الْمَعَاصِي حِرَاصِ
 لَسْتُ لِابْنِ الْفَوَاطِمِ الْغُرِّ إِنْ لَمْ أُجِلِّ الْخَيْلَ بَيْنَ تِلْكَ الْعِرَاصِ
 وقرأت في كتاب أبي الحسن علي بن بحر بن أبي السرور الروحي الإسكندري
 أن المهدي عبيد الله سير ولي عهد أبي القاسم ابنه إلى مصر دفتين : الأولى في
 سنة إحدى وثلاثمائة ، قال : وعاد في سنة اثنتين وثلاثمائة ، والثانية سنة ست
 وثلاثمائة ، وحكى أنه ملك الإسكندرية فيهما .

وقال غيره : في أيام عبيد الله بطل الحج وأخذ الحجر الأسود ، أخذه
 القرامطة وأقام عندهم اثنتين وعشرين سنة إلا شهراً ، وقتل المقتدر ببغداد وأظهر
 عبيد الله عندما بلغه الخبر أن دعواته قتلوه بأمره ، وجلس لذلك مجلساً^(١) .

وحكى الصولي أن الذي قتله رجل من أهل المغرب بربري يقال له عليون
 الصنهاجي ، رماه بحربة — وهو على فرسه يصلح بين الجند — في ظهره فخرجت
 من صدره ووقع ميتاً .

وكان « القائم » في حياة عبيد الله القائم بالأمور والدولة [] ، فلما أفضت

(١) وردت نفس العبارة في تاريخ بني عبيد لابن حماد ، فأكلتها منها (ص ١٧) .
 وما قاله عبيد الله الشيعي لا يستبعد ، والخبر الذي يرويه ابن الأبار عن الصولي بعد ذلك يقوى
 هذا الاحتمال . ويقويه كذلك ما جاء في النجوم الزاهرة (٣/٢٣٣) : « وكان غالب عسكر
 مؤنس (القائد الذي خرج على المقتدر وقتل المقتدر وهو يحاربه ، وهو نفسه مؤنس الخادم)
 من البربر ، فلما انكشف عن المقتدر أصحابه ، جاءه واحد من البربر فضربه من خلفه ضربة
 سقط منها إلى الأرض ، فقال : ويلك ! أنا الخليفة ! ، فقال : أنت المطلوب ! وذبحه بالسيف ،
 وشال رأسه على رمح . . . » .

الخلافة إليه ظهر أبو اليزيد^(١) الخارجي مخلد بن كيداد عليه فعجز عن مقاومته ولم يستقل بمدافعتة ، فتغلب على البلاد في جموع البربر الملتفة عليه إلى أن حصره في المهديّة . وأبو يزيد من بني يَفْرَن^(٢) ، ويُقال إن الذي قُتل في فتنته أربعمائة ألف . والإنذار به والتحدث بخروجه^(٣) بني « المهديّة » عبيدُ الله وجعلها دار ملكه وقرار سلطانه . وقال بعد تحصينها وعند انتقاله إليها : « اليوم أمنت على الفواطم »^(٤) ، يريد حُرَمَه .

وكان قيام أبي يزيد في آخر خلافة القائم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفي القائم يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من شوال سنة [أربع وثلاثين وثلاثمائة] .

[١-١٣٢] وكان^(٥) القائم ولّى ابنه إسماعيلَ عمده وفوضَ إليه أمره ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ، وأدخل عليه جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم فقال : « هذا مولاكم وولي عهدى والخليفة من بعدى ، وهو صاحب هذا القاسق وقاتله » ، يعني أبا يزيد^(٦) .

وقال ابن حبان في تاريخه « المقتبس من أنباء أهل الأندلس » : وفي العشر الأواخر من ذي الحجة منها — يعنى سنة أربع وثلاثمائة — قدم محمد بن محمد ابن كليب من القيروان فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعي صاحب المهديّة

(١) المشهور « أبو يزيد » بدون أداة التعريف .

(٢) الأصل : يفرن ، والصواب بالفاء كما أثبتناه ، واسمه الكامل كما أورده ابن عذارى (البيان المغرب ، ١/٢١٠٦) : مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن وريمت بن تفراسن (في نسخة أخرى : تفراس) بن سميدان ابن يَفْرَن .

(٣) يقال إن عبيد الله المهدي تنبأ بخروج أبي يزيد بن كيداد ، وأنه بني « المهديّة » لتكون حصناً له ولدولته عند قيامه .

(٤) المشهور أنه قال : « الآن أمنت على الفاطميات » .

(٥) الأصل : إن .

(٦) وردت نفس العبارة عند ابن حمادة في تاريخ بني عبيد ، ص ٢١ .

هلك فيها وهو محصور من قبل أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الفكارى المعروف بصاحب الحمار القائم عليه فى جموع البرابرة ، وأن شيعته قدّمت إسماعيل ولده ، وأنه ظفر من شجاع أبى النفس ، أقدم على أبى يزيد وجموعه ولاقاه بمدينة سوسة فانهزم أبو يزيد قدّامه إلى القبروان ثم إلى سيبية . زاد غير ابن حيان : وما زال يتبعه إلى أن ظفر به حياً وقيداً بالجراح فمات منها وهو فى أسره ، فأمر به فسُلخ وطيف به .

وإسماعيل المنصور هذا أبو الطاهر ، وابنه أبو تميم معد بن إسماعيل المعز لدين الله ، كانا خطيبين مفوهين ، ولم أقف لهما على شعر أكتبه فى هذا المجموع ، وسيأتى ذكرهما بعد إن شاء الله . وكانت خلافة القائم اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر ، وتوفى وهو ابن خمس وخمسين سنة ومولده بسلمية .

١٠٨ - تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو علي-

شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع ولا مدافع ، وكان فيهم كابن المعتز فى بنى العباس غزارة علم ومعانة أدب وحسن تشبيه وإبداع تخييل ، وكان يقتفى آثاره ، ويصوغ على مناحيه فى شعره أشعاره . ولأه أبوه المعز لدين الله معد بن إسماعيل المنصور صهده ، وبه كان يُسكنى ، فخلع برأى جوهر الصقلى لأنه كان عقيماً لا يولد له ، وولى أخوه عبد الله فتوفى فى حياة أبيه ، ثم ولى العهد أخوه أبو المنصور نزار العزيز بالله ، وانتقلا من إفريقية إلى مصر بانتقال أبيهما معد ابن إسماعيل فى آخر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وشعر تميم مدون ، ومحاسنه كثيرة ، وتصرفاته بديعة . ووقع منه فى كتابتي

الحصري « زهر الآداب وثمر الألباب » و « نور الطرف ونور الظرف » كل نادر غريب .

[١٣٢-ب] / وكان تميم لما استقر بمصر وتوفي أبوه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين [وثلاثمائة] وولي أخوه نزار يمدحه ويداربه طلباً للسلامة منه ، لأنه لم يكن يأمن عاديته^(١) بسبب انخلائه عن العهد . وكذلك كان ابن المعتز يداري المعتضد والمكتفي ابنه ويمدحهما ويمدح عمه الموفق رغبة في التخلص منهم ، لأنه كان أهلاً للخلافة فعصمه الله بذلك من هؤلاء ، وقدّر أن طاح على يدي المقتدر بعد أن بويغ له من الليلة التي قبض عليه في صبيحتها ، ولقب بالراضى بالله — وقيل بالمنتصف بالله — وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين .

ومن شعر تميم في أخيه نزار :

يا ابن الوصي المرتضى ، يا ابن الإما
مـ المحتبى ، يا ابن النبي المرسل^(٢)
ما بال مالك ليس يرميه الندى
إلا يوافق منه موضع مقتل ؟
أنت المحصل^(٣) في زمان أصبحت
أملكه كالقول غير محصل
لو لم تكن في جحفل لغدوت من
عزّمت رأيك وحدها^(٤) في جحفل
عجباً لأبصارٍ تراك ولو درت
مقداراً فضلك كن عنك بمعزل

(١) في الهامش بخط مخالف : غائلته .

(٢) راجعت هذه الأبيات على أصل القصيدة كما وردت كاملة في « ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي » (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ ، ص ٣١١ وما بعدها ، وقد أورد ابن الأبار مختاراته منها على غير نسقها في القصيدة ، وهذا البيت والأربعة الأبيات التالية له وردت في آخر صفحة ٣١٣ وأول ٣١٤ .

(٣) المحصل ، كما ورد في الشروح الضافية المعلقة على متن الديوان : المميز ، وأصل التحصيل إظهار اللب من القشر وتمييزه عنه .

(٤) الديوان ، ص ٣١٤ : وحدها .

وهي قصيدة طويلة . ومنها في وصف فرس له يدعى السرور :

نعم العين على الوغى في مازقٍ لبستُ به الأبطالُ نَقَعَ القَسَطَلِ (١)
 فرسٌ أشمٌ (٢) المَنَكِبِينَ مُقَابِلِ (٣) يرمى الجنادل من يديه بجندلِ
 تُدْبِيكَ (٤) عن أنسابه أعضاؤه حُسناً ، وعن أخراه عِتْقُ الأوَّلِ
 وكأنما مبيضٌ أعلى وجهه وجبينه ضوء الصباحِ المقبلِ
 وكان دَفَةً [سَرَجِه وِلْجَامِه] (٥) [شُدًّا] (٦) على ظهر السَّمَكِ الأعزلِ
 ويسابق البرقَ [المَئَارَ بِخَطْوِه] (٧) ويزيدُ فيه على الصبا والشَّمَالِ
 صافي الصهيل كأنَّ [في ترجيعه] (٨) غرد يغنى في الثقلِ الأولِ
 ذوقونسٍ [مالت نواحي عُرفه] (٩) مستشرفُ الأعلى رحيبُ الأسفلِ
 وكأنما فَلَقُ الصباحِ بوجهه مالا بدا مترقفاً في جدولِ

(١) هذا هو مطلع القصيدة كما وردت في الديوان ، ص ٣١١ ، وضمونها هناك :
 وقال يمدح الخليفة العزيز بالله ، ويصف فرساً يدعى « السرور » .
 والمآزق : الموضع الضيق الذي يُقتتل فيه ، والنقع : الغبار الساطع المرتفع ، والقسطل :
 الغبار في الحرب .

(٢) الأشم : العالى المرتفع .

(٣) مقابل : كريم النسب من أبويه ، أصيل فد طرفيه .

(٤) الأصل : تغنيك ، والتصويب من الديوان (ص ٣١١) .

(٥) لم يرد من هذا الشطر في الأصل إلا : وكان ذو ، فصححته وأكلمته من الديوان

(ص ٣١٢) .

(٦) ساقطة في الأصل .

(٧) ساقطة في الأصل .

(٨) لم يرد من هذا الشطر في الأصل إلا الكلمات الثلاث الأولى ، هكذا : صافي الصهيل

كأنه .

(٩) وهذا أيضاً لم يرد منه إلا الكلمتان الأوليان ، هكذا : ذو قوس .

والقونس : أعلى الرأس ومقدمه ، وقونس الفرس : ما بين أذنيه ، وهو عظم ناقى

بينهما .

وله يمدح أخاه :

ألسنا [بنى] بنتِ النبيِّ الذي به
 أليس أبونا خِـدَنَه ووصيَّه
 فكفُّوا بنى العباسِ عنا جِـمَاحِكُمْ^(٢)
 [١-١٣٣] / متى لم تكونوا دوننا وتُـسَـابِقُوا
 بَمَنْ نُصِرَ الإسلامُ في يومِ خيبرِ
 أليس عليٌّ كان كاشفَ غَمِّها
 ومَنْ فرَجَ الغَمَّاءَ عن وجهِ أحدِ
 فبات على ظهر الفراش بديله
 وكم مثلها من مفخر وفضيلة
 وإن^(٥) قلتُم إنا جميعاً لهاشم
 فلم^(٧) تدفون الحقَّ والحقُّ واضحٌ ؟
 أمية كانت قبلكم في اغتصابها
 تخلَّص من زَيْغِ العمى الثقلانِ^(١)
 وفارسَه في كلِّ يومٍ طِمانِ
 فقد طالما خُتِمَ بكلِّ مكانِ^(٣)
 بصالحنا^(٤) في كلِّ يومٍ رهانِ
 ويومَ حُـنِـينِ والقنا مُتـدَـانِ ؟
 وما كان للعباسِ تمَّ يدانِ
 بمكةَ لما ربيعَ كلُّ جَنانِ
 يقيه ردى الأعداءِ غيرَ جبانِ
 حواها عليٌّ وهو ليس بِوَأَن
 فما تستوى^(٦) في الجُـثَّةِ العَضُدانِ
 دنا منكم ما كان ليس بدانِ
 أحقُّ ، فبادت^(٨) وارتدَّتْ بهوانِ

(١) اختار ابن الأبار هذه الأبيات من قصيدة تميم في مدح أخيه العزيز مطلعها :

دعاني ، فليس الرأي ما تريان نهاني الحجا من كل ما تصفان

وقد ورد المصراع الأول من هذا البيت في الأصل محرفاً هكذا :

* ألسنا بيت النبي الذي به *

(٢) الأصل : جاكم .

(٣) ورد هذا الشطر في الديوان ، ص ٤٤٩ هكذا :

* فقد آن أن نغزو بكل مكان *

(٤) الديوان : لصالحنا .

(٥) الديوان (ص ٤٥٠) : فإن .

(٦) الديوان : يستوى .

(٧) الديوان : فكم .

(٨) الديوان : فبارت .

أخذتم بغصب إرثنا وصعدتم
وجتم بأسماء يروق استماعها
رشيدٌ ولم يرشدٌ ، وهادٍ وما هدى
ومعتصمٌ لم يعتصم بإلهه
ومعتضدٌ بالإفك خاب اعتضاده
أصبحوا قد قام « العزيز » الذي له (٢)
كأن رواق العز (٣) من نور وجهه
أغرث كينصل السيف يمضي اعترامه
كأن المنايا والعطايا نوافل
حويت أبا المنصور كل فضيلة
كأنك في سمالك إذ قتت خاطباً
شبيه نبي الله جدك أحمد
وكم علوي فاطمي مفضل
ومن يدعى منهم مكانك في العلا
إذا ما كفاك الله ما أنت متق
وإني لسهم من سهامك ماطر (٤)
/ أراك بعين النصح في كل حالة

سنابر ما كانت لكم بأمان (١)
والفاظٍ حُسنٍ ما لهن معان :
لحق ، ومأمونٌ بغير أمان
ومقتدرٌ لم يقتدر بيان
ومنتصرٌ بالبقي غير معان
تذلّ خطوبُ الدهر بمد حران
سما بداء في أفقها القمران
بكل رقيق الشفرتين يمان
يجود بها من مُنصل وبنان
وأمسكتها دون الوري بعنان
وأعيننا طراً إليك روان
ويشبه فرع البانة الغصنان
ولكنهم ما فيهم لك ثان
فقد جاء بالبهتان والهديان
شفاني مما أتق وكفاني
على كل من عادك سُم سنان
على كل ما فيه (٥) اعتقدت تراني [١٣٣-٧]

(١) الأصل : بأمان ، والتصويب من الديوان .

(٢) الديوان : [الذي] به .

(٣) الديوان : الملك .

(٤) الأصل : قاطر ، والتصويب من الديوان ، ص ٤٥١ .

(٥) الديوان : فيك .

ومن ذا الذي يرعاك رعيًا توذّه^(١) على كل غيثٍ أو بكل عيان^(٢)
 أخ ووليٍّ مشفقٍ وابنٍ والدٍ شفيقٍ ومذّاحٍ بكل لسان^(٣)
 وكان العزيزيُّ إلى إكرامه ويُجزل عطائه ويمامله بما قتله^(٤) علماً من صدق
 وده وإخلاصه في مدحه .

ويحكى أنه تنزه إلى « بركة الحبش » فلما قرب من قصور أخيه تميم سأل
 عنه ، فأسرع إليه من عرفه ، فخرج راجلاً حافياً حتى لقيه ، فسلم عليه بالخلافة ،
 وقال : « يا أمير المؤمنين ، قد وجدت على عبدك الضيافة » ، قال : « نعم » ،
 ودخل إلى بستانه وقد أمر بجنيبةٍ من الجنائب التي كانت بين يديه ، وأقسم
 على تميم أن يركبها ويسايرها ، فلما توسط البستان نظر إلى ثمر يلوح الذهب عليه ،
 فتمعجب منه واستطرفه ، ودنا من شجرة فأخذ منها ليمونة واحدة ، فقرأها وإذا
 عليها مكتوبٌ بالذهب :

أنا الليمونُ قد غُذيتُ عروقي ببردِ الماءِ في حرزِ حرزِ
 حسنتُ فليس يحسنُ أن يحَيِّي بأمثالي سوى الملكِ العزيزِ

فجعلها في كفه وقال : هذه ضيافتى عندك . وانصرف إلى قصره فبعث إلى
 أبي جعفر بن مهذب^(٥) صاحب بيت المال ، فقال له : « ما عندك من الدنانير
 ضرب هذه السنة ؟ » — وكان ذلك في أولها — فقال له : « مائة ألف وستون

(١) الديوان : عنى بوده .

(٢) في الأصل : عيان .

(٣) في الأصل : لساني .

(٤) كذا في الأصل ، والمعنى مفهوم رغم نبو كلمة « قتل » هنا ، إذا صححت قراءتي لها .

(٥) ورد الاسم في الأصل : جعفر بن مغرب ، وجعلها مولر : قرهب . وقد غلب

على ظني أن المراد هنا هو أبو جعفر بن حسين (أو أبو جعفر حسين) بن مهذب ، وقد ذكره

المقريري (الخطوط ٢/١٦٤ واتعاظ الحنفا ، ص ١٣٩) ووصفه بأنه صاحب بيت المال أيام

المنز . والغالب أنه استمر على هذه الوظيفة أيام ابنه العزيز .

ألقا ، فأمره محمها من ساعته إلى الأمير تميم مع راشد العزيزي ، وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : استعن بهذا على مؤوتك . فقبل الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة حسنة يمدحه فيها ويشكره .

وكانت أيام العزيز بمصر أعياداً ، رفاهية ودعةً وتمهداً . فكان تميم إذا جاء الليل أمر مائتي فارس من عبيده بحراسة الناس الخارجين في أيام النيروز والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا ينحون فيها على أموالهم رغبة ويخرجون إلى بركة الحبش متزهين ، فيضربون عليها المضارب الجليلة والسراذقات / والقباب ، ومنهم من يخرج بالقيان والمُسَمِّعات والمخدرات ، [١٢٤-١] وخيلُ تميم تحرسهم في كل ليلة إلى أن ينصرفوا ويركب تميم في عُشاري^(١) تتبعه أربعة زوارق وأكثر ، مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً ، فإن كانت الليالي مقمرة وإلا كان معه من الشمع ما يعود به الليل نهاراً ، فإذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً أمرهم بإعادته ، وسألهم عما ينقصهم فيعطيه ، وربما رغبوا إليه أن يُسمعهم من غنائه ، فيقف عليهم ويأمر من يغني لهم ، وينتقل عنهم إلى غيرهم فيفعل هذا عامةً ليله ، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه على هذه البركة ، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضي هذه الأيام ويفترق الناس^(٢) .
ولتيمم يفخر :

(١) العشاري طراز من السفن متوسطة الحجم كان يستعمل في الأنهار والبحار للرحلات الصغيرة . وقد تلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة ، وقد ورد ذكرها عند المقرئزي والنويري وابن جبير وابن بطوطة وعبد اللطيف البغدادي ، أي أنها كانت معروفة في الشرق والغرب على السواء ، وعن العرب أخذها الأوربيون ، فسميت في إيطاليا باسمها العربي *usciera* (أوشيري) وفي إسبانيا *esquife de nave* . ويبدو أنها سميت عشاريات لأنها كانت تتسع لعشرة أشخاص .

انظر : دوزي ، ملبق القواميس : ١٣٠/٢ .

(٢) روى هذا الخبر بنصه المقرئزي في الخطط : ١٤٥/٣ .

لا تُبَطِرُ السَّراةَ لى خَلقاً ولا
لى فى المِشارِقِ والمِغارِبِ جِولَةً
أغدو على ضرائها متخشعاً
يغدو بها قلبُ الزمانِ مصدعاً
وله :

اليهنِ المصالى أنتى أنا ربها
غذتني - مذ كنتُ - النبوة والهدى
وأنى إذا مارمتُ صعباً تيسراً
فحسبى أن كانا هما لى عنصراً
وله :

وإنى لألقى كلَّ خطبٍ بمهجةٍ
وأستصحبُ الأهوالَ فى كلِّ موطنٍ
يهون عليها منه ما يتصعبُ
ويُمزج لى السمُّ الزعافُ فأشربُ
ولم يك إلا بالقنأ يتكسب^(١)
ولا فى المثانى لذتى حين تُضرب^(٢)
وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ولكننى للمدح^(٣) أرتاحُ والعلأ
ومَن بين جنبيه كنفسى وهمتى
وله فى التشبيه :

عللانى بها فقد أقبل اللبى
لُ كلونِ الصدودِ من بعد وصلِ

(١) الأصل : يتكسب ، والتصويب من يتيمة الدهر للشعالبي ، ٤٢٧/١ . وقد وردت فى الديوان أيضاً : يتكسب (ص ٤١) .

(٢) كذا أيضاً فى مخطوطتين مما اعتمد عليه فى نشر الديوان ، وفى الباقى : تُطرب ، وقد أخذ المحققون بهذه الرواية الأخيرة .

(٣) الديوان (ص ٤٢) : للمجد ، وهو أجود .

(٤) الديوان : يروح له ، وقد وضعها المحققون بين قوسين ، للدلالة على أنهم لا يرتاحون لهذه القراءة .

وانجلى الغيمُ بعد ما أضحك الروضَ بكاءِ السحابِ فيه بوبلٍ
عن هلال كصولجانٍ نُضارٍ في سماء كأنها جامٌ ذبلٌ^(١)

/وله :

[١٢٤-٣]

[رب صفراء علّنتني] بصفرا ، وجنح الظلامِ مُرخى الإزارِ^(٢)
وكانَ الدُّجى غدائرُ شعريِّ وكانَ النجومَ فيها مداريِّ^(٣)

وله :

وانجلى الغيمُ عن هلالٍ تبدى في يد الأفق مثلَ نصفِ سوارٍ

وله :

كانَ السحابُ الغرُ أصبحن أكوّساً لنا ، وكانَ الراحَ فيها سنا البرقِ
إلى أن رأيتُ النجمَ^(٤) وهو مغربٌ وأقبلَ راياتُ الصباحِ من الشرقِ
كانَ سوادَ الليلِ والصبحُ طالعٌ بقايا مجالِ الكحلِ في الأعينِ الزرقِ

وله :

ما ترى الليلَ كيف رقَّ دُجاءُ وبدا طيلسانهُ ينجابُ

(١) الذبل (كما ورد في شروح الديوان ، ص ٣٣٨) عظام ظهر دابة بحرية يتخذ منها الأسورة والأمشاط والحواتم وغيرها .

(٢) لم يرد من الشطر الأول من هذا البيت إلا « جى صفر » ، فأكلته وقومته من الديوان (ص ١٨٣) ، وقد ورد الشطر الثاني من هذا البيت هكذا :

* ءَ وجنح الظلامِ جسون الإزار *

وفي نسخة أخرى: مُرخى الإزار .

(٣) ورد لفظ « مداري » في الأصل دون ياء ، وقد قومته من الديوان (ص ١٨٣) .
وورد في هامش الديوان المطبوع : المداري جمع مدراة ، وهي المشط .

والبيتان من قصيدة في الغزل ، وقد ترك ابن الأبار بين البيت الأول والبيت الثاني بيتين وردا في الديوان .

(٤) الأصل : النجوم ، والتصويب من الديوان .

وكانَّ الصِّباحَ في الأفقِ بازًّا والدجى بين مغلبيه غرابُ

وله :

ألا سقنيها^(١) قهوةً ذهبيةً فقد ألس الآفاق جنحُ الدجى دعبجُ
كان الثريا والظلامُ يحفها^(٢) فصوصُ لجينٍ قد أحاط بها سبجُ
كان نجومَ الليلِ تحت سوادهِ - إذا جنَّ - زنجيٌ تبسم عن فلجُ

وله :

كان كؤوس الشربِ وهي دوائرُ قطائعُ ماء جامدٍ تحمل اللهبُ
فبتنا نسقى الشمسَ والليلُ راكدُ ونقرب من بدر السماء وما قربُ
وقد حجب الغيمُ الهلالَ كأنه ستارةُ شربٍ^(٣) خلقها وجهه من نجب
كان الثريا تحت حُلْكة ليلها مداهنُ بلورٍ على الأفقِ تضرب

وله :

خذها إليك - ودع لومي - مُشغمةً من كفتِ أحوي^(٤) أسيل الخدِّ مُذهبه
وانظر إلى الليل كالزنجي منهزماً والصبحُ في إثره يعدو بأشهبه
والبدرُ منتصفٍ^(٥) ما بين أنجمه كأنه ملكٌ في صدر موكبه

وله :

أوفى فأشرقَتِ البلادُ لنوره حُسنًا وأرسلَ بالشفاء رسولاً^(٦)

(١) الديوان (ص ٨٦) : ألا سقنيها .

(٢) الديوان (ص ٨٦) : يحفها .

(٣) الديوان (ص ٦٢) : سيربٍ ، وشرحها الناشران ، هامش ه ، هكذا : ويعنى .

بها جماعة .

(٤) الديوان (ص ٧١) : أقي .

(٥) الديوان (ص ٧١) . منتصب .

(٦) هذه الأبيات غير واردة في الديوان .

/ ما كنتُ أحسبُ أنَّ بَدْرًا قَبَلَهَا نَقَلَ الخَطِيءُ كَرَمًا وَعَادَ عَلِيًّا [١-١٣٥]
يَا عَلَّةَ زَارِ الحَيِّبِ مِنْ أَجْلِهِمَا اللَّهُ أَنْتِ ، لَقَدْ شَفَّيْتِ غَلِيًّا
وله ، وهو من مختار شعره في النسيب :

أَعْذِلْ قَلْبِي ؟ وَهُوَ لِي غَيْرُ عَازِلٍ وَأَعْصِي غَرَامِي وَهُوَ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي (١)
وَمَنْ لِي بِصَبْرٍ أَسْتَزِيلُ بِهِ الجَوَى وَلَا (٢) جَلْدِي طَوْعِي وَلَا كَيْدِي مَعِي
نَاوًا وَالْأَسَى عَنِّي بِهِمْ غَيْرُ مُنْتَأٍ وَوَدَعْتُهُمُ وَالْقَلْبُ غَيْرُ مَوَدِّعٍ (٣)
وله :

يَا مُعْطِشِي مِنْ وَصَالٍ كُنْتَ وَارِدَهُ
هَلْ فَيْكِ لِي رَحْمَةٌ إِنْ صِيحْتُ : « وَاعْطِشِي (٤) ! » ؟
أَنْتَ الحَيَاةُ الَّتِي تَحْيَا النَفُوسُ بِهَا حَقًّا فَإِنْ فَقَدْتِكِ النَفْسُ لَمْ تَعِشِ
تَوَفَى تَمِيمٌ فِي خِلاَفَةِ أَخِيهِ العَزِيزِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، وَتَوَفَى العَزِيزُ سَنَةَ سِتِّ
وَتَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ (٥) .

(١) الديوان ، ص ٢٦٧ :

أعذر قلبي وهو لي غير عاذر أم اعصي غرامي ، وهو ما بين أضلعي

(٢) الديوان : وما .

(٣) الديوان : مودعي .

(٤) هذه الأبيات غير واردة في الديوان .

(٥) قال ابن خلكان في الوفيات (٢٧٠/١) إنه « توفي في ذي القعدة سنة ٣٧٤ ، وزاد العتقي في تاريخه أنه توفي يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث خلت من الشهر المذكور ، وأن أخاه العزيز نزار بن ألمعز حضر الصلاة عليه في بستانه ، وغسله القاضي محمد بن النعمان وكفنه في ستين ثوباً . . . وقال عبد الملك الهمداني في كتابه الذي سماه « المعارف المتأخرة » إنه توفي سنة ٣٧٥ والله أعلم . وقال غيرهما إنه ولد سنة ٣٣٧ » .

١٠٩ - خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو العباس

مولده بطرابلس وهر من أبناء جندها ، وكان في أول أمره يطلب العلم والأدب ويصحب التصوفية ويبعث في المساجد ، إلى أن خالف أهل طرابلس بلده سنة تسع وتسعين ومائتين ، فكان هو المتولى لعذابهم وأخذ أموالهم ، وذلك في أول دولة عبيد الله المهدي . واتبع القائمَ أبا القاسم محمد بن عبيد الله المهدي في مسيره إلى محاربة أهل مصر ، وهو إذ ذاك ولي عهدٍ فلحقه بالإسكندرية ، وكان المتولى لجباية الأموال والنظر فيها ، وانصرف إلى المهديّة فقدم على خيل إفريقية ، وكان أمرُ جندها إليه مع النظر في البحر .

وخرج إلى صقلية والياً على أهلها فأهلكهم جوعاً وقتلاً ، وهرب كثير منهم إلى بلد الروم . وكان يقول بعد وصوله إلى إفريقية مفتخراً : « المكثري يقول إنني قتلت وأهلك ألف ألف ، والمقل يقول ستائة ألف » . وكان خروجه إليها في أول دولة القائم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

وقد كان المهدي عبيد الله سخط عليه في آخر دولته تخاف ، ولما توفي أمته القائم واستعمله ، فجار أشد الجور ، « ونعوذ بالله من الحور بعد الكور »^(١) .

[١٣٥-ب] ثم إن القائم/ صرفه عن صقلية واستقدمه منها ، وقدمه لحرب أبي يزيد الخارجي ، وأخرجه إلى مدينة القيروان في ألف فارس من وجوه العبيد ، فأساء معاملتهم حتى أضغنههم ، ودبروا عليه . وقصده أبو زيد فدخل القيروان وحصره بداره إلى أن أخذ أصحابه فاعتقلهم ثم قتلهم جميعاً بباب أبي الربيع وأمر بهم فصلبوا .

(١) حديث نبوي شريف ، والحور هو النقصان ، والكور الزيادة .

ومن شعره يمدح المهدي ويناقض مروان بن أبي حفصة :

قف بالمنازل واسألن أطلالها ماذا يضرُّك إن أردتَ سؤالها ؟
 هل أنتَ أولُ مَنْ بكى في دمنه درستَ وغيَّرتَ الحوادثُ حالها ؟
 يا دارَ زينبَ هل تُردِّين البُكا عن مقلَّةٍ سفحتُ عليكِ سجالها ؟
 بدَّلتِ بالإنسِ الخرائدِ كالدمى وحشَ الفلاةِ ظبَاءَها ورثالها
 ولقد عهدتُ لآلِ زينبَ حبرةً فيها ، ودنيا أقبلتِ إقبالها
 بيضاءَ ناعمةً يجول وشاحها وتهزُّ دقةً خصرها أكفالها
 ولها قوامٌ كالقضيبِ وفوقه جعدٌ يوافق كفه خلخالها
 وكان في فيها بُعيدَ رقادها عسلاً أصاب من السماء زلالها
 ولقد عصيتُ عواذلي في حبها والنفسُ تعصى في الهوى عذالها
 ومنها :

صلى الإلهُ على النبيِّ محمدٍ وعلى الإمامِ وزاده أمثالها
 إن الإمامَ أقام سنةَ جدِّه للمسلمين كما حذوتَ نعالها
 أحيا شرائعها وقومَ كتبها وفروضها وحرامها وحلالها
 وهدى به اللهُ البريةَ بعدما طلب الغواةُ الظالمون ضلالها
 إن الخلافةَ يا ابنَ بنتِ محمدٍ حطتُ إليك عن النبيِّ رحالها
 وله وقد افتصد القائمُ :

قل للطبيب الذي أوصى ليفصده رفقا ولا زلتَ بالإسعاد ترتفقُ
 / كيف استطعتَ ترى بالله طامته ومن سنا نوره ما بشرق الأفقُ ؟
 أم كيف تُخرج من كفِّ تقبلها دما ومنها بحارُ الجودِ تندفقُ ؟

إني لأعجبُ من كَفِّ مَسَسَتْ بِهَا خَيْرَ الْوَرَى كَيْفَ لَمْ يَنْبُتْ بِهَا الْوَرِقُ
 وله عند توديع القائم في خروجه إلى القيروان وكتب بها إليه :
 وما ودعتُ خَيْرَ النَّاسِ طَرًّا وَلَا فَارَقْتُهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسِ
 وكيف تطيبُ نفسي عن حياتي أفارقها ، وعن قري وشمسي ؟
 ولكني طلبتُ رضا جَهْدِي وَعَفْوَ اللَّهِ يَوْمَ حُلُولِ رَمْسِي
 فعاش مملَكًا ملاح شمسٌ على الثَّقَلَيْنِ من جنِّ وإنس
 وبعد وروده القيروان كان من قتله وصلبه ما كان ، وما أفضع^(١) مصرع
 من احتقب الأثم والعدوان !

١١٠ - جعفر بن فلاح^(٢) الكتامي ، أبو الفضل

هذا من رجال الدولة العبيدية ، ولم يقع إلى من خبره ما أذكره ها هنا سوى
 امتداح أبي القاسم بن هاني إياه ، وحسبه بذلك نباهة وكفاه ، وذَكَرَ ابْنَهُ
 إبراهيمَ معه في مدحه . وفي بعض النسخ التي وقفت عليها من شعر ابن هاني

(١) الأصل : ولما أفضع .

(٢) الأصل : بلّاح . وجعفر بن فلاح بن أبي مرزوق قائد مشهور من قواد الدولة
 الفاطمية في عهدها الأول ، وكان يعمل أولا تحت إمرة جوهر الصقلي ، وقد بعثه هذا إلى الشام
 ليقضى على بقايا الإخشيديين ، وكان الحسن بن طنج قد تحصن بالرملة وملكها ، فسار إليه
 جعفر بن فلاح وهزمه في ذي القعدة ٣٥٨ / سبتمبر ٩٦٩ وأسره وبعث به إلى القسطنطينية ، حيث
 أرسل إلى المغرب ومات هناك سنة ٩٨٢ / ٣٧١ . وأخذ جعفر يستعد للمسير إلى دمشق ، فشرع
 الحسن بن أحمد القرمطي بأن الفاطميين خطر يهدد سلطانه ، خاصة وقد سار جعفر بن فلاح
 إلى طبرية ثم دمشق ودخلها سنة ٣٥٩ ، وأسقط الدعوة للخليفة العباسي ، وخطب للمعز
 الفاطمي ، فسار إليه القرمطي والتقى به في ٦ ذي القعدة ٣٦٠ / سبتمبر ٩٧١ فأسر جعفر وقتل =

أن المدوح إبراهيم بن جعفر لا أبوه جعفر ، ووجدتُ منسوباً إليه :
 ويومٍ كأنَّ الغيمَ تحتَ سمانهٍ حكى مقلتي سحاً ولم يحكيني ضناً
 كأنَّ النوادي بالثاني نضحنهُ وألبسنه ثوباً من الخزُّ أدكنا

١١١ - يحيى بن علي بن حمدون الجذامي بن الأندلسي^(١)

وله ولأبيه ولأخيه جعفر بن علي رئاسة معروفة ونباهة في أيام العبيدية
 مذكورة ، وعلي بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها
 ابنه جعفر فعظم شأنه .

ولأبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي فيه وفي أخيه يحيى مدائح شهيرة ،
 وكان^(٢) لما خرج من الأندلس إلى بني علي هؤلاء وقع ، وإليهم قصد ، / إلى [١٢٦-ب]
 أن أعلقوه بالمعز معد بن إسماعيل فاستفرغ فيه شعره وقصر عليه مدحاً^(٣) .

= وجعفر من زعماء الكتاميين ورجاهم الذين شادوا بناء الدولة الفاطمية . وكان ابنه أبو الحسن
 علي بن جعفر بن فلاح من كبار وزراء الدولة الفاطمية بعد ذلك ، وكان يلقب بوزير الوزراء
 ذي الرياستين ، الأمر المظفر قطب الدولة .

المقرئزي ، اتعاظ الحنفا (بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال) ص ١٥٥ (هامش ه) -
 ١٦٧ - ١٨٠ - ٢٤٨ - ٢٤٩ .

ابن منجب الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة (القاهرة ١٩٢٤) ص ٣٠ - ٣٢ .
 البيان المغرب لابن عذارى : ٢٣١/١ .

(١) الأخبار التي يوردها ابن الأبار هنا تكل ما لدينا من أخبار بيت بني حمدون ،
 ومعظمها عند ابن عذارى (البيان المغرب ، ٢/٢٤٢ - ٢٤٤) وابن الخطيب (أعمال الأعلام ،
 ٦٠ - ٦٢) . وقد نقل ابن عذارى عن محمد بن يوسف الوراق (ص ٢٤٣) نسبهم وطرفاً
 من أوليتهم فقال إن جدهم الأكبر عبد الحميد كان الداخل إلى الأندلس من الشام ، ونزل في البيرة ،
 ثم انتقل حفيده حمدون ، جد جعفر ويحيى ، إلى بجاية ودخل في دعوة الشيعة . انظر بقية
 الخبر هناك .

(٢) المراد هنا ابن هاني الشاعر .

(٣) هذه الفقرة ظاهر فيها أسلوب ابن حيان مؤرخ الأندلس .

وهرب جعفر إلى الأندلس بعد مقتل زيري بن مناد الصنهاجي ، ولحق به أخوه يحيى فأقاما مكرمين عند الحَكَم المستنصر بالله إلى أن سعى بهما إليه ، فسخط عليهما وأمر بإزاعتهما ومَن معهما رَجَالَةً من منازلهم إلى المُطَبق بمدينة الزهراء ، والنداء عليهم بما كفروا من النعمة . وظهر من شهامة يحيى وتجلده في هذه المحنة ما شهر ، فكان ينادى على نفسه معارضا للنادي : « لا ، بل جزاء مَن آثر بني مروان على وَلَدِ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ونُمِيَتْ في الوقت إلى مَعَدِّ بن إسماعيل وهو في القيروان فأرَضَتْهُ وعَطَفَتْهُ على آل علي بن الأندلسي .

ثم إن الحَكَم عفا عنهما بسعي عبد الملك بن القاضي منذر بن سعيد البلوطي صاحب خطة الرد وتلطّفه في الاستشفاع بهشام بن الحَكَم فيهما ، وهو إذ ذاك طفل ، فأطلقا من مُعْتَقَلِهِمَا ، وتراجعت حالهما .

وحظي جعفر في أيام هشام عند المنصور محمد بن أبي عامر — بعد وفاة الحَكَم — وخص به ، ثم قُتِل في طريقه إلى قصر العقاب^(١) حسبا يُذَكَّر في آخر هذا المجموع بحول الله ، فرجّم الناس فيه الظنون ، وأظهر ابنُ أبي عامر الحزن عليه وهو المتهم به .

(١) عندما أراد المنصور بن أبي عامر التخلص من غالب الناصري قائد الثغر وشيخ الموالي ، فكر في استقدام جعفر وعلى ابني حمدون ، وهما من موالي بني أمية ، وكانا يحكان منطقة طنجة وسبته باسم هشام المؤيد الأموي ، فأخذ المنصور يستحثهما على الحِيء إليه ، فعبر إليه جعفر منهما ، تاركاً شؤون العدو بيد أخيه يحيى . وأنزله المنصور عند مجيئه في قصر العقاب بقرطبة « بعد أن أعد له ما يصلح له فيه » ، وكان جعفر قد أتى بقوة من مقاتلة البربر تبلغ ٦٠٠ فارس ، فاشتد بهم ساعد محمد بن أبي عامر على غالب . وبعد أن تخلص المنصور من غالب ، دبر الخلاص من جعفر بن حمدون ، فدعاه إلى وليمة وقدم له الشراب فأفرط فيه ، وأرصد له من قتلوه وهو عائد بالليل إلى منزله في قصر العقاب سنة ٣٧٤ ، وقد تظاهر المنصور بالحزن عليه .

ودعا يحيى بن علي أخاه وأهله^(١) إلى أن قال لابن أبي عامر أولَ لَقِيَّةٍ لَقِيَّةَ غِبٍّ قتل أخيه : « قد علمنا من قبلك ، وهذا جزاء مثله ، ولا مقام بأرضك بعده » ، فقال له ابنُ أبي عامر : « لولا أن أصدّق ظنّك في أخيك لألحقتك به ، فاخرج إلى لعنة الله غير مكلّوه ولا مصاحباً ! » ووكل به من أزعجه فخرج إلى العدو . وسبق الإخبار عنه حذراً من بلقين بن زيري بن مناد فصار إلى سجلماسة ثم ركب الصحراء إلى مصر ، فقبضه العزيز بالله أبو المنصور نزار ، وهو يومئذ الخليفة بها ، وأدخله في يوم زينة ، ثم جعل يعترف بالزلة ، ويسأل الصفح والإقالة ، فقال له نزار : « كلبتُك بالزهراء قد أتت على ذلك كله »

وعلم بلقين — واسمه يوسف^(٢) ، ويكنى أبا الفتوح — نفوذ يحيى إلى مصر فقامت عليه القيامة ، وعثر على ابن له عامر^(٣) تخلف عنه بالمغرب فقبض عليه

(١) العبارة هنا مضطربة . وقد ورد اللفظ هنا : وله ، فقومته على هذا النحو للسياق . وواضح أن هنا شيئاً ساقطاً ، والمعنى مفهوم على أي حال . فإن المنصور دعا على بن حمدون ليطمئن من ناحيته ، وكان يخشى ثورته عليه وانضمامه إلى العبيديين بعد أن قتل أخاه . ولكن يحيى ظل على إيمانه بأن المنصور قتل أخاه ، فجعل يلمح بذلك . وكان يحيى أكبر من أخيه وأعظم ، وقد سبق أن وفد على الخليفة المستنصر سنة ٣٦٠ خالماً طاعة العبيديين وقادماً إليه بطاعة زناتة — وكانوا أتباعه — فاستقبله الحكم استقبالا عظيماً وولاه العدو هو وأخاه جعفر ، فظلا هناك إلى أن استعان بهما المنصور ، فقدم عليه جعفر منهما .

ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) هو بلقين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي القائد المعروف الذي استخلفه الفاطميون على المغرب عند انتقال المعز إلى مصر ، وهو منشئ دولة بني زيري في إفريقية . انظر عنه : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١/٢٢٨ وما بعدها .

ومن الطبيعي أن يغضب بلقين عندما يسمع أن العزيز نزار قد استقبل خصمه يحيى بن علي ابن حمدون زعيم زناتة وعدو الصنهاجيين وأنه عفا عنه وأكرمه بعد الذي كان منه .

(٣) لفظ عامر هنا غير مفهوم ، وقد يكون اسم ابن جعفر بن علي بن حمدون . وقد تكون

صحة اللفظ « عامر » بمعنى مغمور .

وقته . ولم تطل به^(١) المسرة بعد قتل جعفر حتى فاجأته المنية ، فهلك في سنة
ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

[١-١٣٧] ومن شعر يحيى بن علي ، وأنشده أبو عامر السالمى في كتاب التشبيهات/
من تأليفه قوله يصف فرساً :

ومتباً في خلقه لم يُبْحَسِ عارى الأديم من الملاحه مُكْتَسِ
صَلَّتْ إليه الخليلُ فهو إمامها وهو المقدمُ عندها في الأنفسِ
وكانَ لونَ أديمه من سَوْنِ وكانَ لونَ لجامه من نَرَجِسِ

تم بعون الله

الجزء الأول من كتاب

الحيلة السيرة

ويليه الجزء الثاني وأوله ترجمة :

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المستعين بالله ،
أبي أيوب .

(١) أى باب الفتوح يوسف (بلقين) بن زيرى ، فقد توفى في موضع يسمى واركنفو
في المغرب في ٢١ من الحجة ٣٧٠ (ابن عذارى ، ٢٣٩/١) .

فهرس الجزء الأول

صفحة	مقدمة للكتاب
٢	أول النص

المائة الأولى من الهجرة

١٢	١ - عمرو بن العاصي ، أبو عبد الله
١٧	٢ - ابنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أبو محمد
٢٠	٣ - هبة الله بن عباس ، أبو العباس
٢٤	٤ - عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو خبيب
٢٨	٥ - مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك
٢٩	٦ - ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد

المائة الثانية

٣٣	٧ - أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن للعباس
٣٥	٨ - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
٤٢	٩ - ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
٤٣	١٠ - ابنه الحكم بن هشام المعروف بالربضي ، أبو العاصي
٥٠	١١ - إدريس بن هبة الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٥٣	١٢ - ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داود
٥٦	١٣ - عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو مروان - وقيل أبو الوليد
٥٨	١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم
٥٩	١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو سليمان
٦١	١٦ - الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ، أبو الخطار
٦٧	١٧ - الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن الكلابي الضبابي ، أبو جوشن
٦٨	١٨ - الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي ، أبو جعفر
٧٢	١٩ - الحسن بن حرب الكندي

صفحة

- ٢٠ - يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي ، أبو خالد ٧٢
- ٢١ - الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ٧٦
- ٢٢ - سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبى ٧٩
- ٢٣ - أخوه عبد الله بن يزيد بن حاتم ٨٠
- ٢٤ - سليمان بن حميد الفافى ، أبوداود ٨٢
- ٢٥ - عبد الله بن الحارود العبدى ، ويقال له عبدويه ٨٤
- ٢٦ - مالك بن المنذر الكلبي ، أبو عبد الله ٨٦
- ٢٧ - العلاء بن سعيد بن مروان المهلبى ٨٧
- ٢٨ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مزين الأودى ٨٨
- ٢٩ - محمد بن مقاتل بن حكيم العكى ٨٨
- ٣٠ - الحبيب مولى ابن العكى ٩٠
- ٣١ - تمام بن تميم الدارمى التيمى ، أبو الجهم القائم على ابن العكى المذكور آنفاً ٩١
- ٣٢ - إبراهيم بن الأغلبن سالم بن عقال ، أبو إسحق ٩٣
- ٣٣ - يحيى بن الفضل بن النعمان التيمى ، أبو العباس ١٠١
- ٣٤ - خريش بن عبد الرحمن بن خريش الكندى ١٠١
- ٣٥ - عمران بن مجالد بن يزيد الربعى ١٠٤
- ٣٦ - عامر بن المعمر بن مثنان التيمى ، تيم الرباب ١٠٦
- ٣٧ - حمزة بن السبال ، المعروف بالحرون ١٠٧
- ٣٨ - إبراهيم بن محمد الشيعى ١٠٩
- ٣٩ - عمرو بن معاوية القيسى ١١٠
- ٤٠ - يهلول بن عبد الواحد المدغرى ١١١

المائة الثالثة

- ٤١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام
ابن عبد الملك بن مروان ، أبو المطرف ١١٣
- ٤٢ - ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أبو عبد الله ١١٩
- ٤٣ - ابنه الأمير عبد الله بن محمد ، أبو محمد ١٢٠
- ٤٤ - يعقوب ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ١٢٤
- ٤٥ - أخوه بشر ابن الأمير عبد الرحمن ١٢٦
- ٤٦ - القاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أبو محمد ١٢٧
- ٤٧ - المطرف ابن الأمير محمد ، أبو القاسم ١٢٨
- ٤٨ - إبراهيم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أخوهما ١٣٠
- ٤٩ - القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ١٣١
- ٥٠ - عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الحاجب ، أبو حفص ١٣٥

صفحة

- ٥١ - هاشم بن عبد العزيز الوزير ، أبو خالد ١٣٧
- ٥٢ - ابنه عمر بن هاشم ١٤٢
- ٥٣ - تمام بن عامر الثقفي الوزير ، أبو غالب ١٤٣
- ٥٤ - منصور بن محمد بن أبي البهلول ١٤٥
- ٥٥ - عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبيدة الوزير ، أبو عثمان ١٤٦
- ٥٦ - سوار بن حمدون القيسي الحاربي ١٤٧
- ٥٧ - سعيد بن جودي السعدي ، أبو عثمان ١٥٤
- ٥٨ - سليمان بن وانسوس الوزير ، أبو أيوب ١٦٠
- ٥٩ - عامر بن عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي ، أبو مروان ١٦١
- ٦٠ - عبد الرحمن بن وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم ١٦٢
- ٦١ - زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد ١٦٣
- ٦٢ - الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عقال (ويلقب بخزر) ١٦٨
- ٦٣ - ابنه محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو العباس ١٦٩
- ٦٤ - إبراهيم بن أبي إبراهيم أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي عقال الأغلب ١٧١
- ٦٥ - ابنه عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو العباس ١٧٤
- ٦٦ - ابنه زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو مضر ١٧٥
- ٦٧ - محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو العباس ١٧٩
- ٦٨ - يعقوب بن المضاء بن سوادة بن سفيان بن سالم بن عقال التميمي ١٨٢
- ٦٩ - أحمد بن سفيان بن سوادة بن سفيان بن سالم بن عقال ١٨٢
- ٧٠ - مجهر بن إبراهيم بن سفيان ١٨٥
- ٧١ - أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال ١٨٦
- ٧٢ - الحسن بن منصور بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر بن نافع بن محمية المسلي ١٨٧
- المذحجي ، أبو علي ١٨٧
- ٧٣ - عبد الله بن الصائغ (المعروف بصاحب البريد) ١٨٩
- ٧٤ - عبيد الله الملقب بالمهدي ، أبو محمد ١٩٠
- ٧٥ - أبو عبد الله الشيعي ، داعية عبيد الله المهدي ١٩٤

المائة الرابعة

- ٧٦ - عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، أبو المطرف ١٩٧
- ٧٧ - ابنه الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله ، أبو العاصي ٢٠٠
- ٧٨ - عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد ٢٠٦
- ٧٩ - عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ، أبو الأصبغ ٢٠٨
- ٨٠ - محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ٢٠٨
- ٨١ - عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر ، ويعرف بابن القرشية ٢١٠

صفحة

٨٢	- محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ،
٢١٢	أبو عبد الله
٨٣	- الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
٢١٤	- عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن
٨٥	- عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الرضى ،
٢١٥	أبو بكر - الملقب بالحجر
٨٦	- مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، أبو عبد الملك
٢٢٦	- إبراهيم بن إدريس الحسى
٨٨	- أحمد بن محمد بن أضحى الحمدانى
٢٣٠	- لب بن عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية ، أبو عيسى
٢٣٢	- موسى بن محمد بن سعيد بن موسى
٢٣٧	- أحمد بن عبد الملك بن شهيد الوزير ، أبو عمر
٢٣٩	- ابنه عبد الملك بن أحمد الوزير ، أبو مروان
٢٤٠	- عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الوزير ، أبو وهب
٢٤٤	- أخوه غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام
٢٤٥	- جهور بن عبيد الله بن أبي عبدة الوزير ، أبو الحزم
٢٥٢	- أخوه محمد بن عبيد الله
٢٥٢	- عبد الرحمن بن بدر بن أحمد
٢٥٤	- إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد ، أبو بكر
٢٥٦	- عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب
٢٥٧	- جعفر بن عثمان المصحفى الحاجب الوزير ، أبو الحسن
٢٦٨	- محمد بن عبد الله بن أبي عامر الحاجب ، المنصور أبو عامر
٢٧٧	- عبد الله بن عمرو بن أبي عامر ، أبو حفص
٢٧٨	- زياد بن أفلح ، مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد
٢٨٠	- فرحون بن عبد الله ، يعرف بابن الويلة
٢٨٢	- على بن وداعة بن عبد الودود السلمى ، أبو الحسن
٢٨٤	- يعلى بن أحمد بن يعلى
٢٨٥	- محمد القائم أبو القاسم بن المهدي عبيد الله
٢٩١	- تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو على
٣٠٢	- خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو العباس
٣٠٤	- جعفر بن فلاح الكتامى ، أبو الفضل
٣٠٥	- يحيى بن على بن حدون الجذامى بن الأندلسى